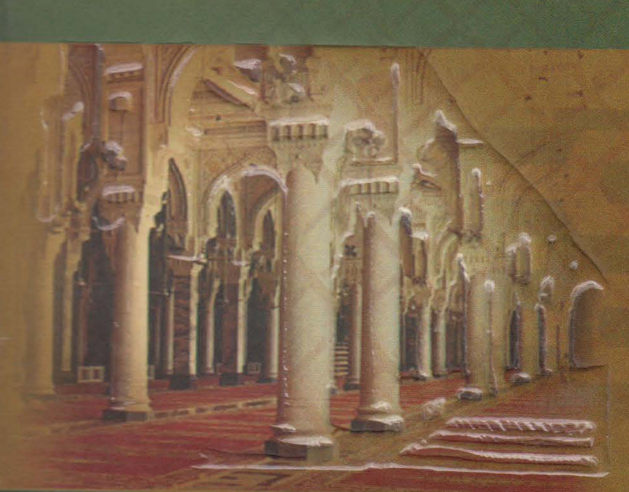
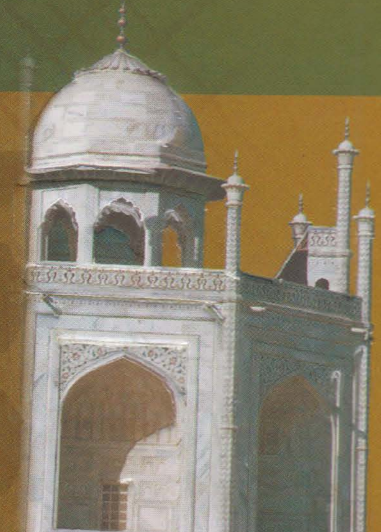
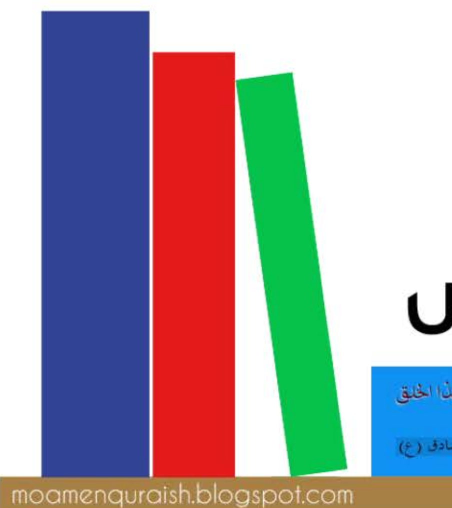
د. أحمد راسم النفيس

المصريون والتشيع الممنوع





دار المحجة البيضاء



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

المصريون والتشيع الممنوع

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م



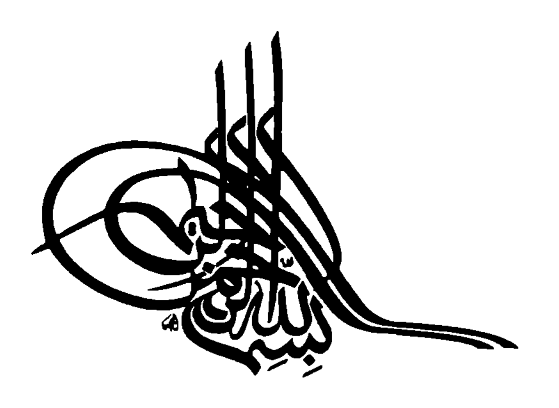
حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب.: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

المصريون والتشيع الممنوع

تأليف

د. أحمد راسم النفيس

دار المحجة البيضاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

جلست أمام التلفاز أتابع ما يقوله الأستاذ الدكتور رجل المرحلة الإعلامي الساطع ونجمها اللامع وخطيبها البارع وهو يقول: (المصريون سنيو المذهب شيعيو الهوى) ثم انفض السامر وتركني الرجل أضرب أخماسا في أسداس محاولا فهم ما قاله وما هو السر الكامن وراء ذلك الاختراع المصري الصميم (سني المذهب شيعي الهوى) هل هي عبقرية الزمان والمكان كما يقول هواة التلاعب بالألفاظ أم عبقرية السلطة وأجهزتها الأمنية من يوم أن صار التشيع ممنوعا عملا بالوصية الأموية السلطوية الخالدة (إنّا لا نحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا) ومن باب أولى فالسلطة أيّ سلطة لم تصل في تألهها وجبروتها في محاولة للحيلولة بين المرء وقلبه. ولو استطاعت لفعلت ويبقى الاحتمال الثالث أنها عبقرية الإنسان المصري الذي استبقى الولاء لأهل البيت عليهم السلام حبا وإنتماءاً في قلبه رغم أنف من ذكرناهم سابقا من الأولين والآخرين.

ذلك الولاء والانتماء الراسخ في القلوب أوّلاً والذي بدا واضحا في ضعف الاستجابة لنداءات تلك الجماعات الناصبية المسمّاة بالإسلامية والتي لو أتيحت لها الفرصة لجعلت من مصر الكنانة وآل البيت مصر الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة جزائر

ومجازر مليونية أخرى فهم قد رضعوا الدم هم وأسلافهم الأيوبيون والأمويون والخوارج.

هذا الولاء الذي يظهر في احتفال المصريين إلى يومنا هذا بذكرى النصف من شعبان يوم مولد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وهي مناسبة شيعية خالصة لا يحتفل بها إلا الشيعة في العالم.

صحيح أن مشايخنا يزعمون أنها ليلة تحويل القبلة من دون دليل ولا بينة ولا برهان ولا حتى إيراد رواية تاريخية صحيحة أو ضعيفة!! ولكنها كانت ولا زالت عنواناً على انتماء المصريين لمنهج أهل البيت عليهم السلام وحبهم وولائهم الذي دام كل هذه القرون رغم أنف يوسف بن أيوب وقراقوشه البشع، ذلك القراقوش المتجدد في صور وأشكال مختلفة وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وبغض النظر عن رأينا الشخصي فيما يقوله الأستاذ الدكتور والذي يميل إلى اعتبار كلامه دالا على حسن النية والمقصد إلا أن تكرار ذلك الطرح بصيغ مختلفة مثل (المصريون أحبوا أهل البيت ولكنهم لم يتشيعوا) تلك الصيغ التي تريد أن تجعل من التشيع قهوة منزوعة الكافيين أو لبنا منزوع الدسم ولذا فنحن نرى أن من الواجب علينا أن نوضح السبب الكامن وراء انقطاع التشيع الفقهي للمصريين والتزامهم الولاء العملي لأهل البيت وأئمتهم عليهم السلام وهو المعنى الحقيقي للتشيع كما أن معنى التدين هو الالتزام بأحكام الدين وقواعده وليس الاكتفاء بالتغني بجمال الدين والتدين وحب المتدينين.

والأهم من هذا كيف ولماذا يصبح الاتباع الفقهي لأئمة أهل البيت عليهم السلام خطأ حرص المصريون (الحكماء) على عدم الوقوع فيه

بينما وقع فيه غيرهم؟؟ مع أننا لا نعرف عن الأستاذ الدكتور نجم المرحلة إطلاعا فقهيا ولا اهتماما بالتميز بين أحكام الدين ولا إحاطة بالفقه المقارن فهلا أطلعنا الأستاذ الدكتور وغيره من حكماء آخر الزمان على العلة الكامنة وراء هذا الاختراع العجيب؟؟.

يمكننا أن نجيب على الشق الأول من السؤال المتعلق بالتشيع الفقهي الذي (تجنب المصريون) الوقوع فيه حتى لا يكتشف تشيعهم السياسي لأهل البيت. هذا التشيع الذي ينزع غطاء الشرعية الزائفة التي حرص كل الجبابرة على الالتحاف بها والادعاء أنهم على (السنة والجماعة) وأن شيعة أهل البيت هم (البدعة والفرقة) إلى آخر تلك المهاترات الدعائية التي قام العشرات بل والمئات من علماء الشيعة بالرد عليها.

إذن فالصراع كان بين هؤلاء الجبابرة والفراعنة الظلمة من الذين حرصوا على ترسيخ شرعية السيف وبناته (الظلم والجهل والتخلف والمرض والفقر) كأداة رئيسية لامتلاك السلطة في مقابل حركة ومنهجية التشيع التي جعلت من العدل المنافي لكافة أنواع الظلم والعدوان هو المرتكز الأساسي لشرعية نظم الحكم وهو ما سعى إلى تحقيقه أئمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من علي بن أبي طالب عليه السلام ومرورا بأبي عبد الله الحسين عليه السلام وحركته الشهيرة من أجل العدل والحرية الإنسانية.

إنه نزاع لم يكن يوما قاصرا على شخصية من يحكم المسلمين كما يقول البلهاء أو هواة ادعاء البلاهة للتهرب من الاستحقاقات التي تتوجب للعقلاء بل هو نزاع ممتد لمجموعة القيم الاجتماعية والسياسية التي تشكل الأساس الصلب لبناء الأمم والمجتمعات تلك

القيم التي ارتبط التمسك بها في الولاء لأهل البيت عليهم السلام والعكس صحيح.

إنّ نظرة واحدة على حالة الانتهاك القيّمي التي سادت (أمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم) بعد انتهاك حرمة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم وسفك دمائهم والتمثيل بجثثهم وانتهاك حرمة نسائهم وحمل رؤوسهم على الرماح من بلد إلى بلد تلك القيمة (التي كان ينبغي لها أن تكون قيمة عليا) هون على أوباش الأمة المستندين على سربال القداسة الواهي الممنوح لهم من وعاظ السلاطين في مقابل ما منح ويمنح لهم من أموال المسلمين المنهوبة. جعل من تلك الممارسات خبزاً يومياً لكل من علا وتجبّر في الأرض ولو كان من سلالة ابن جلا وطلاّع الثنايا.

أين احترام قيمة العدل في حياة المسلمين؟؟.

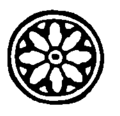
أين احترام مصلحة الأمة العليا

وسنرى في هذا الكتاب كيف أنّ المنافقين من يومهم إلى يومنا هذا يطلقون على غزوات القائد المهيب صدام الدين التكريتي وصلاح الدين التكريتي الهمجية ودأبهما في الاستيلاء على كل ما أمكنهما من مال أو سلطة وقمع كل من عداه (توحيدا للأمة) مهما جرَّ على هذه الأمة من مصائب وويلات بسبب هذا التوحيد المزعوم!

ونعود إلى قضية المصريين الذِّين أحبّوا أهل البيت عليهم السلام وما زالوا يحبونّهم ويوالونهم وهي حقيقة لا مراء فيها وإن رُغمتَ أُنوف الوهابيين وأزلامهم. ونظرة واحدة على أضرحة من ذكرناهم تثبت صحة ما نقول. وأمّا أنّهم لم يتشيعّوا فهذا ليس صحيحاً على الإطلاق، لأنهم قد تشيعّوا بالفعل وفرض عليهم غير ذلك فرضاً

بالحديد والنار. وسنروي في هذا الكتاب القصّة الكاملة لتلك المأساة الأخلاقية والسياسيّة وهي التي عانى وما زال المسلمون يعانون منها وهي التي أوصلتهم إلى ذلك الدرك من الانحطاط الذي يعانون منه الآن من دون أن يجرؤ أي واحد منهم على الاقتراب ممّن صنعوا تلك المآسي، فهم الذّين أوصلونا إلى ما نحن فيه بالنقد أو التحقيق. وسيرى القارئ الكريم أنّ التشيع في مصر كان خياراً جماهيرياً جرى قمعه بالحديد والنار حتى لم يجد الشيعة المصريون بدّاً من مسايرة النظم الجائرة شكلاً والبقاء على الولاء القلبي لأهل البيت عليهم السلام وهذا تفسير قول الشاعر (المصريون شيعيو الهوى سنيو المذهب).

إذن فحالة السعار الدموي المعادية لأهل بيت العصمة والطهارة ومن شايعهم هي التي حالت بين المصريين الشيعة وبين إعلان مذهبهم، ذلك السعار الذّي وضع بذرته في الأرض ابن أبي سفيان وعصابته القتلة من بني أمية وهي حالة امتدت إلى أسلافهم من خوارج آخر الزمان ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]. والذين يزعم بعضهم أنهم قد اختاروا الديمقراطية منهجاً ووسيلةً وحيدةً إلى السلطة وأنّهم على العهد في الاحتكام الدائم لصناديق الانتخابات فهل يستقيم ذلك العزم مع تلك الطريقة التي يفكر بها هؤلاء؟؟.



(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

نموذج للسعار المعادي للشيعة والتشيع لأهل البيت عليهم السلام

منقول عما يسمى شبكة سحاب للحوار العربي

سؤال: (لماذا تفرّقون بين السنّة والشيعة مع أننا بحاجة للوحدة؟

الجواب: سؤال تكرر ومازال يتكرر هذه الأيام. وجوابه ما يلي:

كيف يكون هناك وحدة بين الإسلام وبين روافض الإسلام... بين أنصار الله وشيعة الشيطان؟ الوحدة يا أخي لا تكون على حساب عقيدتنا وديننا. بل إنّ وحدة الأمة تقوم على وحدة العقيدة كما قال السيد قطب: (ومن ثمّ لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام - أي العقيدة - في تجمّع عضوي حركي منذ اللحظة الأولى تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده... ربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته). وتذكّر أنّه لمّا عبد بنو إسرائيل العجل وجاءهم موسى وأخذ بلحية أخيه. اعتذر له هارون قائلاً: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[1]. وكان رأي هارون أن يترك بني إسرائيل على ما هم عليه من عبادة العجل انتظار رأي موسى،

---

(١) سورة طه، الآية: ٩٤.

وخشية أن يفرّق بين بني إسرائيل، فعاتبه موسى أشد العتب فانّ تفريق الناس بالتوحيد خير من بقائهم على الشرك مجتمعين. ولا ننسى ما ثبت في البخاري أن الملائكة وصفت الرسول ﷺ أنه (فرقّ بين الناس).

✍ **تعليق**: يمثل هذا الرد السفيه نموذجاً لعقول أكثر سفاهة تعتمد سياسة السب والشتم واللعن والإرهاب الفكري أداة وحيدة لتسيد الساحة سيراً على خطى سيدهم الأكبر من آل أبي سفيان الذي سن سياسة القتل وسفك الدماء وإبادة شيعة أهل البيت عليهم السلام بل وإبادة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم ثم أطلق أجهزته الإعلامية المحترفة لتتهمهم بسبّ الصحابة وزوجات النبي وكأن ذلك الكذّاب كان لديه أدنى حرص على مقامات هؤلاء فكيف بمن قاتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقتل خيار الصحابة الذّين اصطفوا في معسكر الشرعية معه أن يدّعي حرصاً على مقام أزواج النبي ﷺ أو بقية الأصحاب ناهيك عمّا قام به الباقون من نسله المشئوم مثل يزيد ومن أسسّ لهم ابن أبي سفيان أساس دولة الظلم والطغيان من سفك لدماء العترة الطاهرة بدءا من قتل الحسن بن علي عليه السلام ثم الحسين بن علي عليه السلام سيّد الشهداء والعشرات غيرهم من أهل البيت عليهم السلام ومن شيعتهم من أصحاب النبي الأكرم ﷺ مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي الكندي وغيرهم من خيرة الصحابة والتابعين.

والأسوأ من هذا أنّ لدى سؤاله عن تفريق وحدة المسلمين جاء الجواب غير مبال بهذا التمزيق وبإقرار ضمني بأن الشيعة من المسلمين ولكن الواجب يقضي بالتفريق والتمزيق عملاً بما استدّل به الأستاذ المبجّل من حادثة موسى وهارون وقول الملائكة عن رسول الله ﷺ أنّه فرّق بين الناس!!!!.

ونمضي مع الحربي الدموي وهو يقول: (و إذا كان الرافضة يريدون الوحدة فلِمَ يضطهدون السنة في بلادهم ويستبيحون دماءهم من أيام القرامطة إلى أيامنا الحالية في إيران (ما هي علاقة القرامطة بالشيعة؟؟؟!!!) واعلم أننّا لسنا نحن من بدأ بالتهجم على الرافضة إذ أنّهم هم من ابتدأ بذلك. ولو أن شتائمهم كانت موجهة إلينا فحسب، لكنّا صفحنا عنهم. ولكن عدائهم ولعناتهم موجهة إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله (هل الشيعة هم الذين لعنوا الإمام علي على المنابر أكثر من ٨٠ عاما أم الأمويون أيّها الكذاب؟؟؟) وأزواجه أمهات المؤمنين وإلى أصهاره وأصحابه ومن تبع سنّته. ويعترف الرافضة أن أول من بدأ سب الصحابة (رضوان الله عليهم) هو ابن سبأ اليهودي مؤسس مذهبهم. فليس لنا أن نعفو عنهم ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إن الله اختارني واختار لي أصحاباً. فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً).

وأذكرّك بما ورد في صحيح مسلم عن حادثة الإفك - أنّ أم المؤمنين عائشة قالت: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ.

وهذا الحديث يدلّ على دخول أمهّات المؤمنين في أهل البيت، ويدلّ على وجوب قتل من سبّ أمهات المؤمنين. وأن كلّ من يدافع عمّن يسبّ أمهات المؤمنين هو منافق. ومن يقذف الطّاهرة الطّيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدّنيا والآخرة كما صحّ ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي! والله يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[(١)] فهل تريدنا أن نقول: لا، نحن لا نعذرك يا رسول الله في هؤلاء! فنكون منافقين ندافع عن المنافقين؟

✍ **تعليق:** مرة أخرى يلجأ الكاتب إلى أسلوب الاحتياط الذي يقطع بأن الرجل يرتاب في أمر نفسه ومعتقده وما يدعيّه على الشيعة من الكفر فيقول (لسنا نحن الذين بدأنا) ثم يخلط في تهجماته بين شيعة أهل البيت والقرامطة تماماً. مثل رجال السلطة المجرمين الذّين يلجأون لتلفيق القضايا والاتهامات لخصومهم السياسيين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧ - ٥٨.

فالقرامطة لم يكونوا يوماً من الشيعة. بل كانوا أعدى أعداء التشيع وأهل البيت. ثمّ يلجأ كعادته وعادة أسلافه إلى التهمة (الأقوى) الموجهة إلى الشيعة وهي سبّ الصحابة وهي تهمة مضحكة لأن المطّلع على كتب التاريخ يكتشف حجم الصراعات السياسية والمعارك الحربية التي حدثت في صدر الإسلام الأوّل بين الصحابة يوم الجمل وصفين والنهروان ولا شك أن مجرد قراءة هذه الأحداث والإطلاع عليها يمكن لها أن توقعك في الفخ المسمى سبّ الصحابة. فما بالك بمن وقف في صف الإمام المظلوم علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته الطاهرة وماذا عسانا أن نصنع حتى يرضى عنا النواصب من أحفاد آل أبي سفيان وأحفاد الخوارج من قتلة الإمام أحفاد عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟؟

☝ **سؤال**: لماذا تسمونّهم بالرافضة؟

☜ **جواب**: لسنا نحن من سمّينّاهم بالرافضة ولكنّهم هم من اخترع هذا الاسم لطائفتهم. وقصة ذلك أنهم جاءوا إلى زيد بن علي بن الحسين، فقالوا: تبرأ من أبي بكر حتى نكون معك، فقال: هما صاحبا جدّي بل أتولاهما، قالوا: إذن نرفضك فسمّوا أنفسهم رافضة!! وسميّ من بايعه ووافقه زيدية. (انظر مقدمة ابن خلدون). وهذه التسمية ذكرها شيخهم المجلسي في كتابه (البحار) وذكر أربعة أحاديث من أحاديثهم.

وأورد الكليني في الروضة من الكافي رواية طويلة عن محمد بن سلمان عن أبيه وفي جزء منها أنّ أبا بصير قال لأبي عبد الله عليه السلام (..جعلت فداك فإنّا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم،

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: الرافضة! قال: قلت: نعم، قال: لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به......) جـ٨ (مقامات الشيعة وفضائلهم) ص (٢٨). (نبز أي لقب).

✍ **تعليق**: كعادة هؤلاء الكذابين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب قام ذلك الكذّاب الحربي بقص الرواية وترك ما تبقّى منها على طريقة لا تقربوا الصلاة لأن باقي الرواية تقول (رفضتم الشر ورفض أعداؤكم الخير) أما عن القصة المنسوبة لزيد بن علي (رضوان الله عليه) فهي قصة ملفقة عن نشأة الشيعة والتشيع ولا قيمة لها على الإطلاق (انظر كتابنا عن الشيعة والثورة).

على أنه لمّا تبين لهم أن هذا الاسم هو اسم لفرقة مارقة قد أخبر الرسول ﷺ بظهورها وأمر بقتل أتباعها، حاول بعضهم أن ينكر هذا الاسم، ونحن نسميّهم بذلك لرفضهم الإسلام.

فقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يُسَمَون الرافضة يرفضون الإسلام»** أخرجه أحمد وصححّه شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما الحديث الذي أشار له الكليني فهو ما قاله علي أبن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة ـ وإنك من أهل الجنة، سيكون بعدنا قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون»، ثم قال علي: سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا يكذبون علينا مارقة، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما».

✍ **تعليق**: كل تلك الروايات مكذوبة على رسول الله ﷺ إذ

كيف نصدّق أن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمر الناس بموالاة أهل البيت عليهم السلام وجمعهم يوم غدير خم قائلا في الخبر المتواتر المشهور (من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ منَ عاداه) يصدر عنه مثل هذا الكلام والواقع أن هؤلاء الأدعياء الذين لا يكفون عن التشدق بكلمات حديث حسن، صحيح، ضعيف. هم أبعد الناس عن الصدق والأمانة وأجرأهم على الكذب على الله ورسوله وصالح المؤمنين وأجهلهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسنتّه وبما صحّ عنه وما لم يصح.

(هؤلاء الشيعة يشهدون الشهادتين ويصلّون ويأذنون ويحجّون فكيف نكفّرهم؟ والمرتدون الذين حاربهم أبو بكر الصديق واستباح دمائهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلّون ويأذنون ويصومون ويحجون ويدّعون الإسلام... لكن لم ينفعهم ذلك كله وقد رفضوا أن يدفعوا الزكاة لخليفة المسلمين والرافضة ينكرون الزكاة ويدفعون الخمس لأئمتهم فقط).

✍ **تعليق**: كذاب يا شيخ في ادعائك على الشيعة بأنهم ينكرون الزكاة وعليك أن تأتي بدليل أيها الأفاق.

أما استشهادك بما حدث فيما يسمى (بحروب الردّة) فهو استشهاد مردود لأن هؤلاء المسلمين الّذين قتلهم جيش أبي بكر بقيادة خالد بن الوليد لم يكونوا حتى من الممتنعين عن الزكاة وكانوا من المصلين المسلمين المتريثين في البيعة لأبي بكر لعدم قناعتهم بها كما هو ثابت في كتب التاريخ وما ارتكبه خالد في حقهم من قتل غير مشروع وانتهاك لحرمات النساء و(زواجه) من ليلى بنت مسعود النهشلية زوجة مالك بن نويرة في نفس الليلة وما قاله له عمر بن

الخطاب (قتلتَ امرأ مسلماً ثم نزوتَ على امرأته) وإطلاق أبي بكر لأسارى بني نويرة ودفع الدية لهم هو دليل دامغ على أن ما حدث كان جريمة بشعة ما زال الأحفاد مصرّين على تكرارها انتصاراً لمذهب لا يمكن له أن ينتصر بغير هذه الأساليب.

(وبعض هؤلاء المرتدين قد ساوى بين مسيلمة الكذاب وبين رسول الله فحُلَّ دمه وخرج من دين الإسلام فكيف بمن يرفع أئمته إلى مرتبة الله عز وجل؟! ويدعي أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأنّ الأئمة يعلمون ما كان وما يكون، وأنّ الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم. وهذا خلاف قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[1] بل إن هؤلاء من صنف الرافضة الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كما ثبت في صحيح البخاري. وقد أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم أكثر الناس عبادة حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله) ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لمّا ظهر منهم تكفير الصحابة).

✍ **تعليق**: من الغريب أن التكفيريين من حملة فكر الخوارج في (ثوبه المعاصر) يستخدمون سلاح التضليل والتكفير من أجل محاربة شيعة أهل البيت عليهم السلام، الأعداء الطبيعيين للخوارج الذين

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

كان مبدأ ظهورهم خروجاً على إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام وكان أهم فكرهم هو التكفير بالمعصية او بما يعتقدون أنه المعصية. . هذه واحدة.

والثانية: أنّ إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام لم يحارب الخوارج ولا غيرهم لأسباب فكرية أو اعتقادية وانما حاربهم حينما خرجوا على الشرعية والقانون وقتلوا من قتلوا من عباد الله الصالحين وهم في هذا أقرب الناس شبها بأحفادهم من المصابين بداء السعار المعادي لشيعة أهل البيت مثل هذا الحربي الدموي، فكيف يزعم هذا الجاهل أن الإمام قد حرق هذا أو أباد هذا لتلك الأسباب الموهومة والمختلقة التي ليس لها سند من الحقيقة أو التاريخ.

سؤال: أليس الأجدر أن نحارب اليهود بدلاً من أن نحارب من يشهد أن لا إله إلا الله؟

جواب: وكيف نستعين بالمنافقين ممّن قال الله عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١). وقال أيضاً: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

ولعلك يا أخي نسيت هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قاتل اليهود مع

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

أنهم يشهدون أنه لا إله إلا الله. أو أنك نسيت أن مؤسس هذه الديانة هو بن سبأ اليهودي وأن هؤلاء الرافضة كانوا دوماً عبر التاريخ حلفاءاً لليهود والصليبين وكل أعداء هذه الأمة، فهل تكفي لا إله إلا الله؟!

وأحب أن أعود مرة أخرى إلى حرب أبي بكر للمرتدين (الذين يترضى الرافضة عنهم). فقد لاحق مثنى بن حارث الشيباني المرتدين إلى أن دخلوا أرض المدائن من بلاد الفرس. فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه وأستفسر عن ملاحقته ومطاردته للمرتدين ودخوله أرض الفرس فقال مثنى: إني أخشى أن أوتى من وراء ظهري فلو أمّنت ظهري فأقاتلهم وإن دخلوا ديوان كسرى.

(وقفتي في حديثي مع قول مثنّى رضي الله عنه وجوابه لأبي بكر رضي الله عنه الذي قال فيه ما ذكرناه): إني أخشى أن أوتى من وراء ظهري...!! فهل أمّن المسلمون اليوم من أن يؤتوا من وراء ظهورهم..؟؟ والأمم تتداعى عليهم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها..؟؟!! إن ما كان يخشاه مثنى رضي الله عنه علينا أن نخشى مثله اليوم ألف مرة وفي كل ثغر وأرض ورباط.. وقد تعرّت صدورنا أمام أعدائنا وانكشفت ظهورنا لكل غادر وخائن.. بل صار بيننا دعاة يدعوننا لأن نستعين بالمشركين الذين لا يزيدوننا إلا خبالاً وبأن نترك ظهورنا لكل فاجر وفاسق وزنديق.

نعم، لقد حارب صلاح الدين الأيوبي الرافضة قبل النصارى بل قضى على الدولة العبيدية (الفاطمية) قبل حربه للصليبيين ولولا ذلك لاستحال عليه تحرير القدس. وبفضل الله ثم بفضل صلاح الدين الأيوبي لا يوجد رافضي واحد في بلاد شمال أفريقيا بعد أن رضخت تحت الشعوذة الرافضية سنين طويلة. فبوجود الدولة

العبيدية وجدت الدولة الصليبية في فلسطين وبوجود الدولة الرافضية في إيران اليوم وبتمزق المسلمين وجدت الدولة اليهودية في فلسطين. فإن كانت هذه الفرقة والتمزق مؤلم لنا. فإنّ في وجود اليهود والرافضة كدولة في قلب العالم الإسلامي وبتعالي أصوات جاهلة لا تقرأ ولا تعرف التاريخ وتنادي بالوحدة مع الرافضة طامة عظيمة تمد في عمر مأساة العالم الإسلامي وتعرقل سبيل وحدتهم ونهضتهم كأمة خير تعطي للبشرية ما أخذته أعوان الشياطين. توّحد ربها ولا تشرك به شيئاً. وهذه شهادة من التاريخ تشهد لنا كيف أن الرافضة كانت سبباً في إخفاق المسلمين من مواصلة فتوحاتهم. إذ يذكر المؤرخون بأن دار الخلافة في اسطنبول اضطرت في سحب جيوشها الفاتحة التي كانت على مشارف فيينا عاصمة النمسا بسبب هجوم إيران الرافضية عليها... فكم من خير أفسدته أيادي آثمة جاثمة على صدورنا يخدعوننا بالكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثم يطعنوننا من وراء ظهورنا. نعم إن قتال الرافضة واجب قبل اليهود والنصارى فإن خطر اليهود معلوم لأنه يهودي وكذلك الصليبي. ولكن الرافضة يستقبلون قبلتنا ويأكلون ذبيحتنا ويصلون صلاتنا ويطعنوننا من وراء ظهورنا بعد أن يستغفلون منا المستغفلين.

✍ **تعليق**: الحربي الدموي يمتطي جواد الوطنية والمعاداة للصهيونية!! أليس من حقّنا أن نسأله عن الدور الخياني المشبوه الذي لعبه شيوخ الوهابية الأوّلون في خدمة الصليبية العالمية وتمهيد الأرض لإقامة الدولة الصهيونية عندما قاموا بدور الطابور الخامس المسئول عن إضعاف الدولة العثمانية تمهيداً لتفكيكها بينما كان شيعة العراق يدافعون عن هذه الدولة التي أذاقتهم الويل والثبور وعظائم الأمور دفاعاً عن بيضة الإسلام؟؟.

أليس من حقنا أن نسأل ذلك الشيخ عن علاقة الوهابية وشيوخها ببعض الأسماء مثل المستر همفر والكابتن شكسبير والحاج عبد الله فيلبي رحمه الله؟؟!!) وغيرهم من الأسماء واللائحة تطول ليستبين الناس حقيقة من غرق حتى شحمة أذنيه في العمالة للاحتلال البريطاني الصليبي الذي جاء للمنطقة ممهدا لقيام دولة إسرائيل بصورة مباشرة.

والأهم من هذا أليس من حقنا أن نسأل ذلك (الحبر الجليل) لماذا لم تدم إنجازات يوسف بن أيوب الذي حارب الشيعة والتشيع؟ ولولا ذلك لما استطاع مقارعة الصليبيين كما يزعم ذلك المختل. وكان أن نجح الصليبيون في إعادة احتلال بيت المقدس هذه المرة صلحا عام ٦٢٦هـ بعد كل هذه الكوارث التي أنزلها يوسف بن أيوب بالشيعة وغيرهم ثمّ تلا ذلك الاجتياح المغولي التتري للعالم الإسلامي... فلماذا لم تصمد هذه الإنجازات؟؟.

لكن الشيخ فلان قال أن الشيعة ليسوا كفارا!

وهل المسألة مسألة أهواء؟! قد بيّنا لك حكم الله في الشيعة (من القرآن والسنة) وأرفقنا ذلك بأقوال السلف والخلف في الرافضة، ومن هؤلاء: رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والبخاري وابن حزم الأندلسي والغزالي والقاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير والعلامة ابن خلدون وأحمد بن يونس والقاضي شريك وابن مبارك وابن الجوزية والكثيرين غيرهم، ومن المعاصرين أبو العلاء المودودي (باكستان/ بنغلاديش) وبهجة البيطار (سوريا) والهلالي

(المغرب) والألباني (سوريا/ الأردن) ومصطفى السبيعي (مؤسس الإخوان المسلمين في سوريا) والبشير الإبراهيمي (الجزائر) ومحب الدين الخطيب (الهند) وأبو طلال القاسمي (مصر) ومحمد رشيد رضا (كان من أشهر دعاة التقريب ثم انقلب ضد الشيعة) وكثير غيرهم. ثم تريدنا أن نكذبهم ونصدق الشيخ فلان؟! معاذ الله من ذلك.

واعلم يا أخي أن من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله كما فعل اليهود والنصارى من قبل. وأنا أعجب أنني كلما قلت لبعض الناس: قال الله، قال رسولُه. قال: الصحابةُ سادةُ الأجيالِ «يقول لي: شيخي قال لي عن شيخه، والشيخُ عندي عمدةُ الأقوالِ!» أن كان الأمر كذلك فهل يجوز لنا أن نكتم هذا تفادياً للمشاكل؟ معاذ الله ممّا تقول! كيف نفعل ذلك وقد قال الله ربّ العزة في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[2]. وقال أيضاً في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٧٤ - ١٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[١]

وقال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع وسبّ أصحابي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». وقال أيضاً: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ عِلْمًا فَيَكْتُمُهُ إِلا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ»[٢]. وقال أيضاً: «إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَمَنْ كَتَمَ حَدِيثًا فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ»[٣].

ولا يكفي أن ننهاهم عن ذلك بل يجب على كل مسلم ألا يتخذ منهم أولياءاً وأصحاباً وإلا حلّت على هذه الأمة لعنةً كلعنة بني إسرائيل:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه فلمّا رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيّهم داود وعيسى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.
(٢) رواه الترمذي وأبو داوود وابن ماجة وأحمد
(٣) رواه بن ماجة.
(٤) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٨٠.

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». ثم قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر ولتأخُذُنَّ على يد المسيء ولتأطرّنه على الحق أطراً أو ليُضربُنَّ الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنّكم كما لعنهم!» ثم تريدنا أن نكتم ما آتانا الله من العلم لنصيب بذلك عرضاً من الدنيا قليل!! والله لا نفعل ذلك أبدا. أما آن لنا أن ننسى الماضي وننهي هذا النزاع الذي دام ألف وأربعمائة من السنين؟ هل من فرصة للتقريب؟

وهل ينتهي الصراع بين الخير والشر؟ وبين أنصار الله وأنصار الشيطان؟ وهل ندم الرافضة عن تاريخهم الإجرامي ضد الإسلام؟ بل هل توقفوا عن عدائهم له؟ لو كانت شتائمهم موجهة لنا فحسب لربما عفونا عنهم. لكنها موجهة لأهل بيت رسول الله وأزواجه وأصهاره وأصحابه. فكيف نعفو عنهم؟ هذا الصراع سيدوم كما أخبر حبيبنا المصطفى ﷺ حتى خروج الدجال فيقتله المسلمون وأنصاره من اليهود والمشركين والرافضة.

وكيف يمكن التقريب مع من يؤمن بتحريف كتاب الله ويزعم بتنزل كتب إلهية على أئمته بعد القرآن الكريم؟ ويرى الإمامة أعلى من النبوة، والأئمة عنده كالأنبياء أو أفضل!! ويفسر عبادة الله وحده التي هي رسالة الرسل كلهم بغير معناها الحقيقي ويزعم أنها طاعة الأئمة. وأن الشرك بالله طاعة غيرهم معهم، ويكفرّ خيار صحابة رسول الله ﷺ ويلعن زوجاته أمهات المؤمنين ويحكم بردّة جميع الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة على اختلاف رواياتهم، ويشذ عن جماعة المسلمين بعقائد في الإمامة والعصمة والتقية ويقول بالرجعة والغيبة والبداء!! أنصحك يا أخي أن تقرأ خطبة الشيخ الحذيفي إمام المسجد النبوي سابقاً عن التقريب بين السنة والشيعة.

وأهم ما ينبغي معرفته: أنه بعد أن كان غلاتهم في العصور السالفة أقلية، صاروا بعد ذلك إلى هذا اليوم كلهم غلاة بلا استثناء، وقد اعترف بذلك اكبر خبثائهم (عفوا اقصد) علمائهم في الجرح والتعديل (آية الله المامقاني) في كل ترجمة كتبها للغلاة.. بأنّ ما كان عند الأقدمون الغلاة، أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من ضروريات المذهب. وكما هو معلوم أن علماء أهل السنة قد كفرّوا غلاة الشيعة القدامى، وبذلك تعرف حكم متأخريهم.

إذا كان الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن فلن يؤمنوا لكم أبداً. ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]... فلماذا إضاعة الوقت في الحوار معهم؟

لعلك يا أخي نسيت قول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2]. لاحظ قوله: (فقليلاً ما يؤمنون) أي أن قلة نادرة منهم تدخل الإسلام. وقد عرفنا منهم أم المؤمنين صفية ﵂ والصحابي الجليل عبد الله بن سلام ﵁ وآخرون ممن حسن إسلامهم. فإن كان ذلك في اليهود فكيف في الرافضة؟

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3].

أنسيت يا أخي قصة أصحاب السبت كانوا طوائفا ثلاث. طائفة الذين اعتدوا في السبت وظلموا أنفسهم. وطائفة ممّن لم يفعلوا السوء لكنّهم لم يستنكروه ولم يعتزلوا فاعليه. وطائفة الذّين

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

نهوهم عن السوء وأمروهم بالمعروف ولم يساكنوهم بل بنو جداراً حول حيّهم حتى لا يخالطوهم. فلما جاء عذاب الله مسخ الله الطائفتين إلى قردة وخنازير ونجّى الذين ينهون عن السوء. فذلك قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1].

وقد ذكرنا قصة إسلام أحد علمائهم الكبار (آية الله أبو الفضل البرقعي) وقصة إسلام أحد شبابهم وهناك أيضاً عالمهم الكبير (موسى الموسوي)، وأنا شخصياً قد أسلم على يدي رافضي إيراني. واعلم أن الله تبارك وتعالى مع علمه بأن فرعون لن يؤمن لموسى، فقد أمره أن يبلغه ليقيم عليه الحجة، وهذا فرض كفاية علينا إن لم يفعله أحد أثمنا جميعاً. فاحمد الله يا أخي أن هناك من يقوم عنك بفريضة الكفاية في نصح هؤلاء ونهيهم عن السوء والمنكر.

في الختام يبقى لي سؤال: من نحن؟

نحن هم الطائفة المنصورة الباقية على نهج سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد (عليه أتم الصلاة والتسليم). ونحن من الفرقة الناجية التي ذكرها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بقوله:

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

وقَالَ أيضاً: «آفْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَ سَبْعُونَ فِي النَّارِ وَ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ». (أخرجهم ابن ماجة والترمذي وأبو داوود وأحمد والدارمي وكثير غيرهم).

ونحن التابعون بإحسان ممن قال الله عنهم:

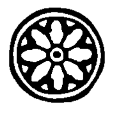
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

ونحن الذين ينتهجون المنهج الوسيط فلا نبغض صحابة رسول الله ﷺ كما يفعل الشيعة والخوارج، ولا نعبد قبورهم من دون الله كما يفعل بعض الصوفية. وإنما نحن على سنّة رسول الله ومنهج السلف الصالح. ألآ نحن هم أهل السنّة والجماعة.

. . . .

أرجو أن يكون في هذا الفائدة والإفادة لكل من تكلّم في هذا الموضوع سواءً من أهل السنة أو الرافضة أو غيرهم

سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك. أ. هـ



(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

المصريون والتشيع الممنوع

انتهى النقل (بعجره وبجره وأخطائه اللغوية) عن ذلك المأفون الذي اخترناه كعينة للمصابين بمرض السعار الدموي الموجه ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام، ذلك السعار الذي يدفعهم دفعا للتحريض على القتل وسفك دماء المسلمين. لعلّ القارئ يلاحظ أنه لم يستثن أحدا من هذا التحريض الدموي بمن فيهم المتصوفة مستخدما سلاح التهجم والجرأة على الحقيقة على طريقة (سكتنا له دخل بحماره) وكلما قوبل هذا الصنف من السفهاء بالحلم والإغضاء ارتفع صوته وعلا نباحه وكثرت شتائمه وتمادى في ادعاءاته عن (الرافضي الخبيث الذي أسلم بين يديه)، ناهيك عن الصوفية والشيعة وهم أغلب المسلمين هم عبّاد للقبور من وجهة نظر هؤلاء لأنهم يتبركون بها ويتعلقون بأرواح ساكنيها عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام من أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

نعود إلى ما قاله ذلك المسعور عن (صلاح الدين يوسف بن أيوب) الذي قضى على الدولة الفاطمية حتى يتمكن بزعمه من القضاء على الصليبيين. وكأنّ القضاء على الصليبيين وإخراجهم من ديار المسلمين لا يمكن له أن يتحقق إلا بسفك دماء المسلمين وصلبهم على جذوع النخل كما فعل ابن أبيه الأوّل والثاني وهكذا أغلب أعداء الشيعة إن لم يكن كلهم من المعروفين (بالأصالة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

والعراقة!!؟؟) ولذا فقد قررنا أن نحكي القصة الكاملة وصولا إلى اللحظة التي قام فيها أبناؤه بتسليم القدس إلى الأنبروز في اتفاقية خيانية بشعة تعد (كامب ديفيد) إلى جوارها فتحا مبينا.

والواقع أن هؤلاء يعانون من عصاب قهري تسلطي يدفعهم للمطالبة بعودة (صلاح الدين) التكريتي بل والتمسك بأي صدام تكريتي يسير على نهجه ويمارس ما مارسه ذلك المملوك التكريتي الكردي (بطل القومية العربية؟؟!!) طالما أنه سينهي المشهد بحرب مع الأمريكان أو الإفرنج ولا يهم بعد هذا كم قتل من المسلمين الأبرياء سُنة كانوا أم شيعةً وكم انتهك من حرماتهم وكم نهب من أموالهم. فالمهم هو أن يقوم البطل بدوره القومي، العنتري الصوت في مواجهة العدو الأجنبي، ذلك الدور الذي يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كان عدد ضحاياه من المسلمين بالملايين. كما فعل التكريتي صدّام أو بمئات الآلاف كما فعل التكريتي يوسف حتى ولو عاد الاحتلال الصليبي للقدس بعد ذلك ببضع سنين فالمهم هو النهاية السعيدة لفيلم (يوسف شاهين) عن (يوسف أيوب) والمهم أن تكون غالبية القتلى من الشيعة ولن يحاول المخرج أن يمّد الفيلم أربعين سنة إضافية ليعرض لنا كيف قام (أبناء صلاح الدين) بتسليم القدس للصليبيين بعد ذلك صلحاً وفقا لمعاهدة كامب أنبروزو!!! وهم نفس الأبناء أي أبناء صلاح الدين هم من سلّموا القدس للصهاينة بعد ذلك بثمانية قرون غنيمة باردة في معاهدة كامب ديفيد!

لاحظ أننا نتكلّم عن غالبية القتلى لا عن كل القتلى فكلا النموذجين قد أشبع المسلمين من غير الشيعة غزواً وقتلاً وسفكاً للدماء من أجل توطيد حكمه وتثبيت ملكه وهو في طريقه من أجل السلطة لم يردعه رادع عن سفك دماء المستضعفين أيّاً كان مذهبهم.

وكلا النموذجين وجد من وعاظ السلاطين من يثني عليه خيرا ويبرر له جرائمه ويصفه بالفاتح العظيم لأن (بغض أهل البيت وقتل شيعتهم هي من وجهة نظر هؤلاء حسنة لا يضر معها سيئة وحبهم والتزام نهجهم جريمة لا ينفع معها حسنة) (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميّين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون).

من هو الناصر صلاح الدين الأيوبي؟؟

تبدأ الأحداث عام ٥٥٩هـ تلك الأعوام الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية حيث كان العالم الإسلامي منقسماً بين الولاء الظاهري للدولة العباسية ومقرّها بغداد والخلافة الفاطمية ومقرها القاهرة. أما السلطة الحقيقية فكانت بأيدي العبيد أو المماليك الذين شكّلوا القوة العسكرية الضاربة لتلك الدول التي انهارت أو أوشكت على الانهيار تحت وطأة الصراعات الداخلية والغزو الصليبي الأجنبي القادم من أوربا.

إذن فالسلطة الحقيقية كانت بيد هؤلاء المماليك الذين لم يكن لهم من همّة إلا معارك الاستيلاء على السلطة والمال فيما بينهم أو مقارعة الغزو الصليبي وهي المهمة الأصلية التي جرى شراؤهم من أجلها ومن ثم شكلّت أساس ومبرّر وجودهم والقوة المتداولة بين أيديهم.

الظاهرة الثانية التي ارتبطت باستيلاء هؤلاء المماليك على السلطة وليس الفاطميين والتي سنلاحظها خلال روايتنا لواقع الانحطاط والتخلف الذين عانى منهما العالم الإسلامي أثناء تلك الفترة. هو سياسة الإقطاع المالي والزراعي التي اعتمدها ذلك النظام السياسي الفريد في تخلفه وانحطاطه. حيث كانت الأقاليم

والبلدان تمنح لهذا المملوك أو ذاك من قبل المملوك الأكبر الحاكم بأمره في العاصمة دمشق أو غيرها. وكثيراً ما شنت الحروب والغارات ودفعت الرشاوى من المملوك الأصغر للمملوك الأكبر أو لسيّده المفترض ليقطع بلدة أو إقليما من بلدان العالم الإسلامي الفسيح سلماً أو حرباً فتجّيش الجيوش ويصطّف الألوف ليقتل الكبش الخروف ويستولي من لا يستحق على أموال من لا يملك وينفقها على شراء المزيد من العبيد. وسنرى كيف أن يوسف بن أيوب قتل ابن عمه أسد الدين شيركوة وصادر أمواله ولم يترك شيئاً لأيتامه الصغار وهكذا دواليك دواليكَ وتلك الأيام قد تداولها المماليك بعد أن أمر عبد عبدا فاتخذ قوم تلدا.

فمن هو صلاح الدين إذن؟؟

إنه يوسف بن أيوب بن شاذي ثم وقف النسب فلا حسب ولا نسب وكما قال أبو شامة في كتاب الروضتين نقلا عن ابن أبي طي الحلبي عن أبيه نجم الدين: (هو الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ولا يعرف في نسبه أكثر من والده شاذي وقد ادعى ابنه سيف الإسلام «ابن صلاح الدين يوسف» لما ملك اليمن أنهم من بني مروان بن محمد الجعدي المعروف بالحمار آخر خلفاء بني أمية قال وقد نقبت عن ذلك فأجمع الجماعة من بني أيوب أن هذا كذب وأن جميع آل أيوب لا يعرفون جدا فوق شاذي وكذلك أخبرني السلطان الملك الناصر صلاح الدين).

كان مولد نجم الدين أيوب ببلد شبختان وقيل بجبل جور وربي في الموصل وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً وشهامةً فولاّه قلعة تكريت. فقام في ولايتها فلما قام السلطان مسعود بالملك أقطع تكريت لمجاهد الدين بهروز الخادم.

وكان بهروز أميراً ينفذ أمره في جميع العراق من الموصل إلى أصفهان. فأَمّرَّ نجم الدين في ولاية تكريت وأضاف إليه النظر في جميع الولايات المتاخمة له. ثمّ أن السلطان مسعود طمع في أخذ السلطنة بالتحالف مع أتابك زنكي بن آقا سنقر وزحفا إلى بغداد فهُزِما هزِيمةً نكراءاً ولجأ إلى نجم الدين وشقيقه أسد الدين شيركوه في قلعة تكريت الذّين أحسنا وفادته ثم قتل أسد الدين كاتب صاحب القلعة وكان نصرانياً، وألقاه من أعلى القلعة وبلغ الأمر إلى بهروز بما جرى فكتب إليه بتسليم القلعة والرحيل عنها فخرجا إلى عماد الدين زنكي بالموصل الذي أقطعهما شهرزور(١).

لماذا الحديث في قضية الأنساب؟

سنرى بعد فترة وجيزة أن الطعن في نسب الفاطميين إلى آل الرسول الأكرم محمد ﷺ كانت إحدى الأوراق التي استخدمت من قبل آل شاذي (ولا شيء قبله) في الهجوم عليهم وإبادتهم وياللعجب.

وصول الشجرة التكريتية إلى مصر

قلنا من قبل أن السلطة الحقيقية في (الدولة الإسلامية) كانت ولا زالت (للعسكريتاريا المملوكية) التي بقيت حاكمة ومتحكمة في مقاليد السلطة حتى عصرنا هذا، لا نستثني الدولة الفاطمية أو العباسية. والطريف أن هذا النفوذ المملوكي قد إمتدَّ حتى بعد قيام الدولة العثمانية وصولا إلى الدولة العلوية (نسبة إلى محمد علي باشا) تلك الدولة التي كان آخر ملوكها فاروق الأول والتي انتهى

---

(١) أبو شامة المقدسي (عن الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية).

أمرها قبل ميلاد كاتب هذه السطور ببضعة أيام، وحتى عندما قضى محمد علي باشا والي مصر على نفوذ هؤلاء فإنّه لم يقضِ على وجودهم كطبقة خادمة للسلطة تتنعم بعطاياها وتتقدم بمرشحيها إلى المناصب الكبرى ربّما إلى يومنا هذا. صحيح أنّ أبناء الفلاحين قد قدّموا العديد من الخطوات على مدى التاريخ بدءاً من ثورة عرابي باشا. إلا أننا نعتقد أنّ آثار الوجود السياسي المملوكي ما زالت فاعلة وممتدة حتى لحظة كتابة هذه السطور.

والرواية كما يحكيها (أبو شامة المقدسي) ص ٤١٥ من كتاب (الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية) نقلا عن يحيى بن أبي طي الحلبي في السيرة الصلاحية «أن الملك الصالح طلائع بن رزيك» «وكان من المعروفين بالتشيع لمحمد وآل محمد وكان قد تولى الوزارة (عام ٥٤٩هـ) للهجرة في خلافة الفائز الفاطمي حتى أوائل العاضد (عام ٥٥٥هـ). ثم اغتيل في دهليز القصر بمؤامرة من عمة العاضد، وكان للصالح طلائع بن رزيك نشاط حربي كبير ضد الصليبيين في الشام ومحاولات للتحالف مع نور الدين محمود ضد من استقر منهم بالشام وفلسطين». ولمّا قُتل الصالح أوصى عند موته رزيك بشاور قائلا له: لا تزلزله من ولايتك فإنّه أسلمُ لك. وكان شاور متولي قوص والصعيد الأعلى فلما دُفِنَ الصالح استوزر ابنه رزيك ولُقِّبَ بالعادل واجتمع إلى رزيك أولاد عمته ومن جملتهم عزّ الدين حسام وأشاروا عليه بعزل شاور فامتنع ثم ألحّوا عليه فأجاب ولغ شاور الخبر فجمع العربان وأهل الصعيد وأعلن العصيان وصار إلى القاهرة فخرج رزيك ليلا فتاه وقبض عليه وحمل إلى شاور وقد دخل القاهرة وتسلّمها وأخرجتْ إليه خلع الوزارة وتمّ أمرَه (وفقا لقاعدة الملك لمن غلب!!).

ملحوظة هامة: يقرّر أبو شامة المؤرخ الأيوبي المعادي للفاطميين: أن الملك الصالح طلائع بن رزيك وهو من أكابر الشيعة. كان صاحب نشاط كبير وجهاد ضد الصليبيين في الشام ومحاولات للتحالف مع نور الدين محمود ولكن وكما سيظهر بعد قليل أنّ النية كانت مبيّتة في القضاء على دولة الفاطميين والقضاء على كل تواجد للمذهب الشيعي في مصر. وأنّ شاوراً بالرغم من كثرة مناوراته والنزاعات التي احتدمت من حوله كان حريصاً هو الآخر على الدفاع عن حياض الدولة الإسلامية ولو كان هذا بالتعاون مع نور الدين ومماليكه وهذا يفند تلك المزاعم والاتهامات الباطلة عن التعاون والتحالف بين الإفرنج والفاطميين.

وتفرّق آل رزيك في البلاد ونجا حسام الذّي كان سبباً في هلاكهم بأموال وصار إلى حماة فأقام بها واشترى القرى إلى أن مات.

ونواصل الرواية: واستقر شاور ملكاً على مصر (أي رئيساً للوزراء) إلا أن عجلة الصراع على السلطة لا تتوقف عن الدوران. فبدأ (ملهم وأخوه ضرغام) في التآمر عليه وشرعا في مراسلة رزيك في سجنه واستحلفا له جماعة من الأمراء فما كان من طي ابن شاور إلا أن قتل رزيك في سجنه ونمي الخبر إلى ملهم وأخيه ضرغام فثارا على شاور وقُتل ابنيه طي وسليمان وأسر الابن الثالث (الكامل) واستقر أمر ضرغام وزيرا (والملك لمن غلب!!) ثم بدأ الآخرون في التآمر عليه فأحضرهم إلى دار الوزارة وقتل منهم سبعين أميرا ويقال أنه جعلهم في توابيت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه. فكان ذلك كما يقول المؤرخون أكبر الأسباب في هلاكه وخروج دولة المصريين

(الفاطميين) عن يد أصحابها لأنه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء[١].

والملاحظ أنّ أبا شامة وهو من أعدى أعداء الدولة الفاطمية نظرا لتشيعها لآل الرسول الأكرم ﷺ يصف الفاطميين بالمصريين. كاشفاً عما كان يجري من تآمر في الخفاء على إزالة هذه الدولة من الوجود وتنكيس أعلامها والاستفادة من صراعاتها الداخلية وهو ما حدث بالفعل عندما ذهب شاور إليهم لاجئاً ومستجيراً فكانت الاستجابة له الفرصة الذهبية التي أمسك بها هؤلاء ليتمكنوا من اختراق مصر من الداخل وتبقىٰ أن ورقة مقاومة الغزو الصليبي كانت هي الأخرى مجرد ورقة من أوراق الصراع على السلطة والسعي الحثيث لإسقاط الدولة الفاطمية. إذ لو كان (شاور) خائنا وعميلا للإفرنج كما صوّرته وسائل الإعلام الأيوبية التكريتية التي ما زالت تعمل بجد واجتهاد حتى الآن.. فأي منطق في مساعدة هذا الخائن على استعادة سلطته وإرسال جيشاً بصحبته.

ونمضي مع السرد التاريخي (وأمّا شاور فإنه خرج من القاهرة قاصداً دمشق بعد قتل ولديه ولمّا وصل إلى بُصرى اتصل خبره بنور الدين فندب جماعة للقائه واستضافته في أحد قصوره ثم أرسل إليه وفداً يسأله عن غايته من قدوم دمشق، فهبوا إليه كما طلب منهم. فلم يفصح شاور عن حاجته ثم اجتمع به في الميدان الأخضر لتبادل التحية والعهدة على الراوي).

(ثم أرسل ضرغام حين استقر به الأمر رسالةً إلى نور الدين يظهر فيه الطاعة ويعرض بخذلان شاور فأظهر نور الدين القبول في

(١) أبو شامة المقدسي (عن الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) ج٢ ص ٤١٧.

الظاهر بينما هو مع شاور في الباطن).

ويبدو أن المراسلات السرية بين شاور ونور الدين كانت قد أسفرت عن اتفاق للذهاب إلى مصر وخَلْعُ ضرغام وإعادة شاور إلى كرسي الوزارة صاحبة السلطة الفعلية في الدولة الفاطمية. ولهذا أرسل (نور الدين في استدعاء أسد الدين شيركوة وتحدث معه في أمر مصر وأمره بالاستعداد وكان شاور قد أطمع نور الدين في أموال مصر ورغَبَّهُ في ملكها وأنه إذا ملكها كان من قبله فيها وانطلق العسكر بقيادة أسد الدين إلى مصر والتقى الفريقان في بلبيس (مدينة بين القاهرة والإسماعيلية) ووقف الفريقان مصطفين من غير حرب إلى أن حمي النهار والتهب الحديد على أجساد الرجال، فضرب أكثر أهل مصر الخيم الصغار وخلعوا السلاح ونزلوا عن الخيول، فأمر شاور الناس بالحملة فَهُزِمَ المصريون وذهب ضرغام منهزماً ثم قُتِلَ وأحتُزَّ رأسُه ودخل شاور القاهرة وقَتلَ ملهما أخا ضرغام وأطلقَ سراح ابنه الكامل من دار ملهم واستقام أمر شاور في الوزارة وأقام أسد الدين على المقسم ينتظر أمر شاور، فيما ضمن لنور الدين من الأموال فأرسل إليه شاور ثلاثين ألف دينار وطلب منه الرحيل فلما سمع أسد الدين ذلك أرسل إليه قائلا: «إن نور الدين أوصاني عند انفصالي عنه إذا ملك شاور تكون مقيماً عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد (الإيرادات) والثلث الآخر لشاور والعسكر والثلث الآخر لصاحب القصر. فقال شاور: أنه لم يلتزم بشيء من هذا. بل طلب نجدة نور الدين وقد سيّرت لكم نفقة فخذوها وانصرفوا وأنا أتصرف مع نور الدين» فرفض أسد الدين واستعد الفريقان للقتال فكاتب شاور ملك الفرنج واتفق معه على إرسال قوات ولكل مرحلة ألف دينار فقطع (مري) ملك الفرنج من عسقلان إلى فاقوس في سبع وعشرين مرحلةً

واستلم في مقابل هذا سبعة وعشرين ألف ديناراً ولمّا تحقق أسد الدين قرب الفرنج من القاهرة سحب قواته إلى بلبيس وبقي أسد الدين محاصرا ثمانية أشهر. ولما علم نور الدين بهذا جمع قواته لقتال الفرنج وشن الغارة عليهم في إمارات الساحل فهزم الفرنج وطلبوا الأمان وانتهى القتال، فلما علم الفرنج الموجودون في مصر بذلك هموا بالانسحاب فاستمهلهم شاور حتى أتم صلحه مع أسد الدين على العودة من حيث جاءوا في مقابل ثلاثين ألف ديناراً إضافية وفك الحصار عنهم وانسحب الفرنج إلى إماراتهم التي كانوا فيها)(١). يا بلاش!!!

(فلما رجع أسد الدين إلى الشام والتقى بنور الدين وأخبره بالأحوال وأعلمه بضعف ديار مصر ورْغَبَّه في الاستيلاء عليها فرغب فيها نور الدين وأمره بتجنيد الأجناد واستخدام الرجال)(٢).

(ثم توجّه أسد الدين في ربيع الأول سنة اثنتين وستين للهجرة قاصداً الديار المصرية وكتم أمره فما راع شاور إلا ورود كتاب ملك الفرنج يعرّفه أنّ أسد الدين قد فُصل عن دمشق بعساكره، قاصداً مصر فطلب منه شاور إعادة النجدة والمقرر من الأموال يصل إليه على ما كان في العام الماضي فجاء مُري عبر البحر ونزل ببلبيس وعلم أسد الدين باجتماع الفرنج بشاور عند بلبيس فاتجه جنوباً وخرج على إطفيح وشن الغارة هناك واندلعت المعارك في طول مصر وعرضها بين الفريقين شاور ومعه الفرنج وأسد الدين ونائبه صلاح الدين الطامعيَن في ملك مصر. ثم اتفق الجميع على صلح يحصل أسد

(١) أبو شامة: ص ٤٢٢.
(٢) المصدر السابق: ص٤٢٤.

الدين بموجبه من شاور على جميع ما أنفقه في تلك الغزوة على أن يعطي الإفرنج منها ثلاثين ألف ديناراً ويعود كل منهم إلى بلده) وكما يقول المثل الشعبي يا دار ما دخلك شر (وكله على حساب المصريين البسطاء!!).

سعى شاور إلى تأمين نفسه من غارات نور الدين وقائده أسد الدين فكاتبه في ذلك وضمن له أن يحمل في كل سنة عن ديار مصر مالاً مصانعة(١).

وفي سنة أربع وستين للهجرة - طمع مُري ملك الإفرنج في مصر وقررّ الدخول إليها والاستيلاء عليها فجمع أركانه ومستشاريه فأجابوه إلى الخروج.

وحكى أبو شامة: أن ملك الفرنج لما وصل إلى الداروم كتب إلى شاور يقول له: «إني قد قصدت الخدمة على ما قرَرْته لي من العطاء في كل عام» فأجابه شاور: إن الذي قررته لك إنما جعلته متى احتجت إليك وإذا قدم علي عدو فأمّا مع خلوّ بالي من الأعداء فلا حاجة ولا لك عندي مقررّ فأجابه مري: أن لا بد من حضوري وأخذ المقرر فعلم شاور أنه قد غدر بالعهد ونقض الأيمان وأنه قد طمع في البلاد فأخذ في تجنيد الأجناد وحشد العساكر وهاجم مري بلبيس في صفر فقتل من أهلها جمعاً كثيراً وأسر من تبقّى منهم حتى بقوا في الأسر أكثر من أربعين عاماً.

ولمّا اتصل بشاور ما جرى على أهل بلبيس من القتل والأسر وأنهم جعلوها ظهرا لهم وقاعدة لانطلاقهم أشفق من ذلك واستأذن على العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال: «اعلم أن البلاد قد

(١) أبو شامة: ص ٤٢٨.

ملكت علينا ولم يبق إلا أن تكتب إلى نور الدين وتشرح له ما جرى وتطلب نصرته ومعونته» فكتب جميع ذلك وأرسله إلى نور الدين.

ويذكر أبو شامة رواية مختلفة (أن هذه الرسالة إنما كتبت برأي أبي شمس الخلافة لأنه لما رجع من عند مُري بعد أخذ بلبيس اجتمع بالكامل بن شاور وقال له إن أباك قد وَطَّنَّ نفسه على المصابرة وأَخَّرَ أمره.. يسلم البلاد إلى الفرنج ولا يكاتب نور الدين وهذا عين الفساد. فاصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور الدين فليس لهذا الأمر غيره. فقصده الكامل وكتب الكتاب فلما وصل إلى نور الدين انزعج انزعاجاً عظيماً وأنفذ أسد الدين **وكان ذلك من مناه** وأرسل الفقيه عيسى الهكاري إلى مصر برسالة ظاهرة إلى شاور يعلمه أن العساكر واصلة وبرسالة سرية على العاضد وأمره أن يستحلفه على أشياء عينها وأن يكتم ذلك من شاور)[١].

ثم أمر شاور بإحراق مصر (مصر القديمة الآن) وأخرج أهلها منها ولما تيقّن الضعف عن حسم المواجهة مع الفرنج عسكرياً لجأ إلى المخادعة مع مري وعقد معه هدنة على ٤٠٠ ألف ديناراً عجّل له منها بمائة ألف ديناراً وأخذ يماطل فيما تبقّى انتظاراً لقدوم العسكر فلم يشعر الفرنج إلا بهجوم عسكر الشام عليهم. فلما رأوهم رحلوا إلى بلبيس.

وعاد أسد الدين إلى مصر

من العرض التاريخي الذي سبق نرى بوضوح أسباب ضعف (المسلمين..!!) سواء في معسكر الفاطميين وعاصمتهم القاهرة أو في معسكر أعدائهم الكائن في دمشق. إنها تلك الحروب المتبادلة

(١) أبو شامة: ص ٤٣٢.

من أجل المال والسلطة واستسهال سفك دماء المسلمين وأن الفريقين كانا في الهمّ شَرَق.

فالإفرنج يحتلون أجزاء واسعة من بلاد المسلمين في الشام وفلسطين وبيت المقدس ويهيمنون على المواقع الاستراتيجية ويتدخلون في الحروب الدائرة بين المسلمين واتفاقات الصلح التي تجري بينهم لا فارق بين مصري أو شامي. إلا أن توجه الصليبيين العسكري كان باتجاه الاستيلاء على مصر وهو نفس هدف المعسكر النوري والأيوبي المنطلق من الشام ساعياً لإضعاف الدولة الفاطمية والقضاء عليها فضلاً عن الطمع في الاستيلاء على ثرواتها وهو ما سنراه عنواناً للمرحلة القادمة.

أمّا عن شعار تحرير القدس من الاحتلال الصليبي ورفع راية العروبة والإسلام!! فهذا ما لا نلمح له أثراً وسط صليل السيوف وبرك الدماء السائلة. ذلك الشعار الذي لم يدخل حيز التطبيق إلا بعد عشرين عام من المعارك الداخلية المتواصلة والسلب والنهب داخل البيت المسلم إلا أن هذا الفرفور يبقى دائما صاحب الذنب المغفور لأنه قضى على الشيعة والتشيع وسحق الدولة الفاطمية ومحا (حي على خير العمل) من الأذان ومنع المصريين من إظهار ولائهم لأهل البيت تماماً مثل حفيده التكريتي صدام الذي دخل جيشه إلى ضريح الإمام الحسين بن علي عليه السلام وضربه بالمدفعية ولكن لم يحالفه الحظ لتحقيق النصر على إفرنج آخر الزمان من الأمريكان. ولو تحقق له ذلك النصر لكان هذا بوابة العبور الملكية للإبادة النهائية لشيعة العراق وربما لشيعة العالم أجمع. وهو ما حاوله ذلك المجرم المجنون رغم أنه كان مهزوماً حيث جابت فلوله المندحرة بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م تقتل وتدمر وتدفن عشرات الآلاف من

الشيعة في مقابر جماعية رافعة شعار (لا شيعة بعد اليوم) فما بالك لو أنه كان من الفائزين. وكما يقولون (إن هذا الشبل من ذاك الأسد)!!

صلاح الدين على خطى صدام والعكس صحيح

قلنا أن الرأي العام (الإسلامي) الحالي هو رأي عام يتميز بالجهل وانعدام الوعي رأي عام تقوده مجموعة من البسطاء الذين أعلنوا الحروب وشنوا الغارات من أجل إعادة بناء ما يظنون أنه (الدولة الإسلامية) وكلما ضاقت بهم السبل هتفوا أين صلاح الدين؟ من دون أن يعرفوا من هو صلاح الدين وماذا يريدون منه وفات هؤلاء أن كلهم صلاح الدين. ولكن الظروف والملابسات التي سهلت لصلاح الدين مهمة القمع والغزو والإبادة في الداخل وهزيمة الفرنج في بعض المعارك لم تعد قائمة.

فأوضاعنا الفكرية والسياسية لم تختلف كثيراً عن أوضاعنا في ظل المماليك الأيوبية ولازلنا نحمل عقولهم المضمحلة التي لا تعرف إلا الكرّ والفرّ والقتل والسحل وإلقاء الجثث من أعلى القلعة وإحراق الكتب أو مصادرتها.. عقلية أتابك سنقر وأتابك زنكي.

ناهيك عن هذه العبقرية المخابراتية الفذة التي تجعل كل خصوم (يوسف بن أيوب) السياسيين أو أولئك الذين يقفون في طريقه ويسلكون نحو الرقي والتقدم يموتون فجأةً بالخوانيق ليلة العيد وهم في أفضل صحة وأتم عافية. بدءاً من عمه أسد الدين شيركوة ثم الخليفة العاضد وسيّده نور الدين وابن عمه شيركوة إبن أسد الدين والفاعل دائما هو تلك الخوانيق اللعينة أو المباركة التي أرسلتها السماء لتفسح الطريق أمام هدية السماء لأهل الأرض الناصر صلاح الدين!!!.

انطلق العالم منذ أمد بعيد إلى آفاق الحرية والديمقراطية

والمجتمع المدني والاختراعات العلمية. أمّا نحن فما زلنا نفكر ونتصرف ونتعارك فيما بيننا على طريقة سنقر وزنكي وشيركوة وضرغام وملهم وهمام وصدام والقاضي الفاضل والواعظ ابن نجا وعلي الكيماوي ومحمد سعيد الصحاف. ولا زلنا نستخدم نفس أساليب يوسف بن أيوب الدعائية في وصف كل خصومه السياسيين بالعمالة للفرنج أو للأمريكان والمهم هو إفساح الطريق لصعود هذا الصنف من الزعماء ولو كان على حساب الهبوط المتواصل لمجموع الأمة واضمحلالها ووضع مجمل مستقبلها في مهب الريح!!

إنهم يبحثون دائماً عن هدف غائم لا وجود له إلا في عالم الأساطير حيث تطير الأسماك في الهواء وتسبح الطيور تحت الماء، وتتحقق كل أنواع الكرامات وتفر جيوش الغزو الأجنبي عندما يمسك الموحدون بمسواك تنظيف الأسنان فيصاب معسكر الأعداء بالهلع والرعب خوفا من أن يتعرضوا للالتهام!!.

أما سفن الأسطول الإسلامي فيكفي أن تحمل (صحيح البخاري) بين جنباتها لتنجو من الغرق وتنتصر في المعارك ويهرب من أمامها الأسطول السابع والسادس والخامس أو كما قال الشيخ الدكتور أحمد عمر هاشم.

فهل حاولنا أن نوحد صفوفنا؟ وهل حاولنا أن نصلح ذات بيننا، وهل حاولنا أن نعلّي من لهجة الحوار فيما بيننا؟ وأن نقنع من نعتقد أنهم منحرفون عقائدياً بصحة موقفنا وصوابيته بدلاً من أن نستخدم تلك الأساليب التي استخدمها ذلك المأفون الذي جئنا بنص ما قاله كعيّنة من فكر القتلة المصابين بسعار العداء لشيعة (أهل البيت) ذلك السعار الذي يدفعهم دفعا لقتل كل من يقف في طريقهم أو إحراق مكتباتهم كما فعل (يوسف بن أيوب) أو مصادرتها كما

يفعل الأيوبيون الجدد ولو كان موقفهم صحيحاً. واختار المصريون فعلا التسنن الفقهي والتشيع القلبي عن طيب خاطر فما هو الضرر الواقع عليهم من إفساح المجال لهم ليدلوا بآرائهم ويعرضوا بضاعتهم طالما أنّهم لم يقتلوا أحداً أو يحرضوا على قتله أو يفتوا بردته وخيانته كما اعتاد خطباء المنابر الندابون الذين يزعمون انهم قادة الاعتدال والوسطية.

هل حاولنا أن نسأل أنفسنا لماذا سبقنا العالم لإنتاج ما يحتاجه من السلاح والنظم العلمية بينما قام يوسف بن أيوب بتدمير دار الحكمة الفاطمية وما احتوته من كنوز العلم والمعرفة؟؟؟.

ويزداد طينهم بلة عندما يتحدثون عن الدور الذي قام به يوسف بن أيوب في التوحيد العقائدي للأمة وهو نفس الدور الذي حاول صدامهم التكريتي القيام به عندما أباد الآلاف من شيعة العراق في مجازره الجماعية وقامت جرافاته بدفنهم في مقابره الجماعية.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1].

وهم بهذا يظهرون حقيقة ذلك التوحيد المزعوم المتمثل في إبادة الآخر وإلغائه لتصبح الساحة كلها لوناً واحداً ومذهباً واحداً وحزباً واحداً.

لم يستفد هؤلاء القادة شيئاً من الكوارث التي ألحقوها بأمتنا أو ألحقوها بأنفسهم وهم الذّين جرّوا علينا معاداة العالم أجمع بعد (هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١) ولا زال هؤلاء مصرّين

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

على رفع شعار (التوحيد العقائدي في الداخل) و(الحرب العقائدية مع العالم) بدلا من أن يرفعوا شعار ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1].

ذلك الشعار الذي يعمل على رصّ صفوف الأمة الإسلامية واستبعاد لغة السلاح والقمع والقهر والعمل على تعزيز الوحدة الاجتماعية والوطنية والاستفادة من دروس التاريخ القديم والمعاصر. بدلا من أن نكرر نفس الأخطاء والجرائم التي جعلتنا في مرمى الأعداء وسهلت عليهم إصابتنا دائما في مقتل.

والأهم من هذا أن قادة التيار الإسلامي الذين يلقون إلى الرأي العام (الإسلامي) الجاهل أن سيئ الذكر يوسف بن أيوب قد فعل ما فعل من القضاء على الدولة الفاطمية لتعاملها مع الفرنج على حساب المصلحة الإسلامية العليا عادوا ليذكروا مساوئ هؤلاء المماليك وعسفهم وأن هذا العسف المملوكي الذي أسسّ له يوسف بن أيوب كان سبباً رئيسياً من الأسباب التي جرّت الفرنسيين إلى غزو مصر ودفعت الشعب المصري المضطهد والمسكين للتخلي عنهم، وتركهم يواجهون مصيرهم الأسود وهو عين ما حدث مع مماليك العوجة ومملوكهم الأكبر صدام الدين التكريتي عندما تخلى الشعب العراقي عنهم وتركهم في مواجهة الغزو الأمريكي الذي رفع شعار تحرير العراق من عسف وظلم وإبادة مماليك العوجة وحلفائهم المعاصرين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

في سبيل المال

آل أيوب في طريقهم لحكم مصر

(ولما رحل الفرنج عن القاهرة نزل أسد الدين بأرض يقال لها اللوق (باب اللوق الآن) وأخرج له شاور الإقامات الحسنة والخدم الكثيرة، ثم أرسل له العاضد هديةً عظيمةً وخلعاً كثيرةً وأخرج إلى خدمته أكابر أصحابه ولما خرج الفرنج منها أمّنت البلاد وتراجع الناس إلى بيوتهم وأخذوا في إصلاح ما أفسده الفرنج. أما شاور فإنه أخذ في التودد إلى أسد الدين وأرسل إليه الميرة والنفقات حتى استحوذ على قلبه ونوى إبقاءه في ملكه حتى انفذ إليه سرا: احرس نفسك من عساكر أهل الشام.

أما عسكر الشام فإنهم لما رأوا طيب بلاد مصر وكثرة خيراتها رغبوا في الإقامة فيها وقوي طمع أسد الدين في الاستيلاء عليها والاستبداد بملكها. ثم علم أنه لا يتم ذلك وشاور باق فيها فأخذ في إعمال الحيلة لقتله.. فجمع أصحابه وشاورهم في الأمر وقال لهم: (قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصي عليها لا سيما وقد تحققت أن عند الفرنج منها ما عندي وعلمت أنهم كشفوا عورتها وعلموا مسالك رقعتها وتيقنت أني متى خرجت منها عادوا إليها واحتووا عليها وهي معظم دار الإسلام وحلوبة بيت المال، وقد قوي عندي أن أثب عليهم قبل وثوبهم وأتخلص من شاور الذي لعب بنا وبهم ويغرنا ويغرهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع أموال هذه البلاد

في غير وجهها وقوّىٰ بها الفرنج علينا فتنخلت الرأي بين الأمراء أنه لا يتم هذا الأمر إلا بعد القبض على شاور. . فتفرّقوا على الإيقاع به والقبض عليه)[١].

إذن فالأمر لم يكن منافسة بين الفريقين على خدمة الدين والإسلام وإنما معركة على أموال مصر «حلوبة بيت المال»، التي قرر أسد الدين أنه أحقّ بها من الفرنج وأن شاوراً قد وقع في سلسلة من الأخطاء. (من وجهة نظر أسد الدين شيركوة) أهمها: محاولة الوقيعة بينهم وبين الفرنج وهو كلام ينسف من الأساس ما يتوهمه البعض من الولاء المطلق للإسلام والتجرّد من الدنيا إلى آخر تلك الدعاية الرخيصة الخالية من أي مضمون.

قتل شاور

(ثم إن شاوراً ركب يوماً في أبهته وجلالته للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين فسلم عليه ودخل في موكبه ثم سايره ثم مد يده إلى تلابيبه وصاح عليه فرجله. ولما رأى ذلك عسكر الشام وقعوا في عسكر شاور فنهبوا ما كان معهم وقتلوا منهم جماعة وحمل شاور إلى خيمة فقتل في الحال بأمر من العاضد وحمل الرأس إلى القصر وخلع العاضد على أسد الدين وقلده الوزارة)[٢].

موقف نور الدين من استيلاء أسد الدين على السلطة:

اغتم نور الدين غمّاً شديداً باستيلاء أسد الدين وابن أخيه

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٤٣٦.
(٢) المصدر السابق: ص٤٣٦.

يوسف على السلطة في مصر وهو العارف بهم وبأخلاقهم بل ورأى في ذلك نذير شؤم له ولأهله وقد نقل أبو شامة عن ابن أبي طي: (وحدثني الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي وقد جرى ذكر فتح مصر: أن نور الدين ابتهج به. لقد كان ودّه ألا يفتح وألا يصير أسد الدين وصلاح الدين إلى ما صارا إليه ولقد ظهرت الكراهية منه لذلك في ألفاظه ووجهه، ولقد أعمل الحيلة في إفساد أمر أسد الدين وصلاح الدين. فما تهيأ له لا سيما يوم بلغه حصول صلاح الدين على خزائن مصر فإنه أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحد أن يراه واهتم لذلك ولو لم يكن الفتح منسوبا إليه لما صبر على ما جرى. لا أغضى للملك الناصر على القذى ولقد كاتب العاضد عدة دفعات في أمر الأسد والصلاح فلم يحصل له فيهما النجاح وكثيراً ما يوجد في كتب نور الدين إلى العاضد التعريض بإنفاذ أسد الدين ولو أمكنه المجاهرة بالقول لقال)[١].

هلاك أسد الدين وولاية صلاح الدين وموقف نور الدين منه:

هل مات حقا أسد الدين من التخمة أم ماذا؟؟

استمرت ولاية أسد الدين عامين. حيث مات سنة أربع وستين وخمسمائة للهجرة وكان كما يقول المؤرخون: (وكان قرماً يحب الأكل يواظب عليه ليلاً ونهاراً فتواترت عليه التخم إلى أن ظهرت بحلقه خوانيق كان فيها هلاكه ويقال أنه أكل في ذلك اليوم مضيرة ودخل الحمام فلما خرج منها أصابه الخناق).

إنه نسخة من معاوية بن أبي سفيان الذي دعا عليه رسول

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٤٣٧

الله ﷺ بقوله: «لا أشبع الله بطنه وأي إنسان هذا الذي يموت من التخمة والخوانيق»؟؟!!.

ولما هلك أسد الدين جرى تعيين صلاح الدين يوسف بن أيوب وزيراً (فقرب أهل الفضل وتاب من الخمر (!!) وعدل عن اللهو وتيقظ للتدبير وسها عن السهو وتقمص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المبين)!!!.

أي أن السكير قد أصبح صلاح الدين!!.

(وأقبل العاضد على السلطان الملك الناصر وأحبّه محبة عظيمة وبلغ من محبته له أنه كان يدخل إليه القصر راكبا فإذا حصل عنده أقام معه في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره).

قال أبو شامة: (ولما اتصل بنور الدين من أخبره بوفاة أسد الدين وقيام وزارة صلاح الدين وما انعقد له من المحبة في قلوب الرعايا أعظم ذلك وأكبره وتأفف منه وأنكره وقال: كيف أقدم صلاح الدين أن يفعل شيئاً بغير أمري. وكتب في ذلك عدة كتب فلم يلتفت الملك الناصر إلى قوله، إلا أنه لم يخرج عن طاعته وأمره وأنه ما فارق قبول رأيه وإشارته وأمر نور الدين من بالشام من أهل صلاح الدين وأصحابه بالخروج إليه وطلب منه حساب مصر وما صار إليه وكان كثيرا ما يقول: ملك ابن أيوب!!!).

(ولما ملك الناصر صلاح الدين الوزارة بالقاهرة انتزع نور الدين حمص والرحبة من ناصر الدين ابن أسد الدين وفرق عماله وأعطاه (تل باشر) ثم أخذها منه وكان يتألم لمُلك الناصر ويقال إنه لما مرض قال: ما أخطأتُ إلا في إنفاذي أسد الدين إلى مصر بعد علمي برغبته فيها وما يحزنني شيء إلا علمي بما ينال أهلي من

يوسف بن أيوب. ثم التفتَ إلى أصحابه فقال إذا أنا متُّ فصيّروا بابني إسماعيل إلى حلب فإنه لا يبقي عليه غيرها)[(١)].

إذن فالرجل كان عالما بطبائع خدمه ومواليه من (الغز) الذين ما زال المصريون حتى الآن يذكرونهم بتلك الكلمة المشهور (آخر خدمة الغز علقة) ولذا فإنّ نور الدين وهو أحدهم كان ينتظر منهم هذه العلقة وقد كان ما توقعه من غدر صلاح الدين على وجه التحديد في حق ولده الملك الصغير إسماعيل.

أيضاً فإن هذا العرض السريع المنقول عن أبي شامة المناصر للناصر صلاح الدين في سياسته المعادية لشيعة أهل البيت عليهم السلام وللفاطميين، وما أنزله بهم يوسف بن أيوب يكشف أننا لم نكن أمام قديس أو ولي من أولياء الله الصالحين تربى في مدارس (الإخوان المسلمين) أو في محاضن الإسلام والدين. بل أمام مملوك يقتل حسب الطلب ويشرب الخمر ويقلع عن شربها في العلن لما آلت إليه الوزارة في الدولة الفاطمية (لزوم الشغل) وليس (لزوم الدين). وهو في هذا يستوي مع بقية مماليك المرحلة ممن أصبحوا أعمدة لتلك النظم المتهرئة.

فالجهاد لم يكن وظيفة المجتمع دفاعاً عن دينه وكرامته بل أصبح يومها مجرد صنعة يشترى من أجلها هؤلاء العبيد من بلاد الهند والسند وآسيا الوسطى. ولكن وفي ظل هذه الظروف السياسية التي اتسمت بالتخلف والانحطاط سرعان ما يتحول هؤلاء العسكر إلى قادة سياسيين أصحاب أمر ونهي وأصحاب قرار. بينما يمكث

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٤٤١.

الخليفة العباسي أو الفاطمي في قصره يرتع ويلعب على أن يُخطب باسمه على أعواد المنابر من دون أي سلطة فعلية تلك السلطة التي يجري تداولها على طريقة (المُلك لمن غلب) والويل للمغلوب وهو ما بقي سارياً حتى تأسيس الدولة العلوية في مصر بعد رحيل الغزو الفرنسي.

وحتى عندما آلت السلطة للدولة العثمانية التركية بقي نفس الحال في مصر (قلب العالم الإسلامي) فالدولة العثمانية أو (الباب العالي) يرسل من يحكم البلاد وسرعان ما يجري الانقلاب عليه. والويل كل الويل لمن لا يُفلح في الإفلات برأسه قبل أن يصل إليه (أبو طبق باشا) المسئول عن إبلاغ قرارات الإقالة والخلع!!

الانقضاض النهائي:

بدأ يوسف بن أيوب سياسةً منهجيةً في إضعاف الفاطميين وقص أجنحتهم واتهامهم بالتآمر مع الفرنج على دولته السنية.

(قال العماد: وشرع صلاح الدين في نقض إقطاع المصريين فقطع منهم الدابر من أجل من معه من العساكر).

اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم الأيوبي:

(وكان بالقصر خصي يدعى مؤتمن الخلافة متحكم في القصر فأجمع هو ومن معه على مكاتبة الفرنج ليقبضوا على الأسدية والصلاحية لأن صلاح الدين يخرج بمن معه فيؤخذ من بقي من أصحابه بالقاهرة ويتبع من معهم فتكون الدائرة عليهم)[1].

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٤٥٠.

واكتشف يوسف بن أيوب المؤامرة فأرسل إلى مؤتمن الخلافة مَن قتله في قصره بالخرقانية سنة أربع وستين للهجرة (ولما قتل ثار السودان وكانوا أكثر من خمسين ألفاً وكانوا إذا قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه وأذلوه. فندب يوسف بن أيوب عساكره واتصلت الحرب بين القصرين ودامت يومين وكلما لجأ السودان إلى محلة أحرقها صلاح الدين واحتووا ما فيها وأخرجوا إلى الجيزة وأُذلوا بالنفي عن منازلهم العزيزة فما خلصّ السودان بعدها من الشدة. وكانت لهم على باب زويلة محلة تسمى المنصورة وكانت بهم المعمرة المعمورة فأخلي بنيانها من القواعد فأصبحت خاوية ثم حرثها بعض الأمراء واتخذها بستانا فهي الآن جنة لها ساقية)[1].

الله أكبر ما هذه اللهجة التي يتحدث بها ذلك المؤرخ الأيوبي عن القتل والدمار ناهيك عن افتخاره بما لحق بهؤلاء السودان من الذلة والدمار الذي طال الزرع والأرض وما بني عليها ولا شك أن بُغض الشيعة ودولتهم هو (حسنة لا يضر صاحبها ما عمل من سيئة) وصولا لتحقيق ذلك الهدف (النبيل)!

فما هو الفارق بين هؤلاء و(قاعدة) أسامة بن لادن و(طالبان) الملا عمر؟ وما عرضناه في أول هذا الكتاب من حثٍّ على قتل الشيعة واعتبارهم أسوأ من اليهود!

وما زال لدينا المزيد من ذلك السواد الذي جللت به صفحات التاريخ الأيوبي والصدامي؟

قال أبو شامة: (ولما ولي صلاح الدين ساس الرعية وأظهر

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٤٥٠.

لهم من العدل ما لم يعلموه!! فاجتمع أهل البلاد وكرهوه. فأوقع براجلهم وأخرجهم من القاهرة إخراجا عنيفا وأخرج بعد ذلك فارسهم وشتت شملهم «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا». ولا أدري كيف تنطبق هذه الآية الكريمة على خصوم يوسف بن أيوب السياسيين من المسلمين إلا إذا قبلنا بمنطق التكفير السياسي القائم على قاعدة «بغض أهل البيت وشيعته حسنة لا تضر معها سيئة وحبهم سيئة لا تنفع معها حسنة».

الهجوم الصليبي على دمياط عام ٥٥٦ ودور الخليفة العاضد في صده.

في هذا العام تحرك الفرنج من معاقلهم في الشام وفلسطين قاصدين الاستيلاء على دمياط فاستغاث بنور الدين في دمشق الذي أرسل عساكره لتهاجم ديار الفرنج من خلفهم فدخل بلاد الفرنج فنهبها ولما رأت القوات المهاجمة لمصر ذلك رجعت إلى بلادها. أما الخليفة العاضد فقام بإمداد القوات المقاتلة بما تحتاجه من المال حيث يقول عنه يوسف بن أيوب: ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلي مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف ديناراً مصرية سوى الثياب وغيرها[١].

والشاهد أن الخليفة الفاطمي العاضد الذي راح ضحيةً لتنازع أمرائه وربّما لفرط طيبته وسذاجته كان نموذجاً للحاكم المضحّي بكل ما يملك وكما يروي ابن واصل عن الأمير حسام الدين بن أبي علي: (كان جدي في خدمة الملك الناصر صلاح الدين فحكى لي: أنّه لمّا

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٤٥٧.

وقعت هذه الواقعة، أي هجوم الصليبيين على دمياط شرع صلاح الدين يطلب كل يوم من العاضد شيئا من الخيل والرقيق والأموال ليقوي بذلك ضعفه فسيّرني يوماً إليه أطلب منه فرساً ولم يبق عنده إلا فرساً واحداً فأتيت إليه وهو راكب في بستانه المعروف بالكافوري الذي يلي القصر الغربي فقلت له: صلاح الدين يسلم عليك ويطلب منك فرساً. قال: ما عندي إلا الفرسَ الذي أنا راكبه فنزل من عليه وشق خفيه ورمى بهما وسلم إليَّ الفرس فأتيت به صلاح الدين ولزم العاضد بيته ولم يعد الركوب حتى موته).

قدوم نجم الدين أيوب إلى مصر

وفي هذا العام تحرك نجم الدين أيوب والد يوسف إلى مصر. واختلفت الروايات في سبب مجيئه ما بين قائل: بأنّ يوسف طلب والده ليستكمل به السرور ويجمع القصة مشاكلة لما جرى للنبي يوسف الصديق عليه السلام وقائل: أن الخليفة العباسي المستنجد بالله أرسل إلى نور الدين يعاتبه في تأخير إقامة الدعوة له بمصر فأحضر الأمير نجم الدين أيوب وألزمه بالخروج إلى ولده بمصر بذلك وحمّله رسالة منها: (وهذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت لا سيما وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته وهو عنده من أهم أمنيته).

إنها إذن مؤامرة دولية للقضاء على الدولة الفاطمية.

وما أشبه ما يجري في العراق الآن بما جرى في مصر قبل سبعة قرون وما أغرب وأبشع الازدواجية الأخلاقية التي استمرأها هؤلاء.

وقد قرأتَ اليوم مقالاً في إحدى الصحف لكاتب اعتاد أن يكون بوقاً للأسرة السعودية الطائفية الحاكمة وهو يعيب على مجلس

الحكم العراقي (طائفيته ووجود بعض علاقات القرابة بينهم وبين الوزراء) ولك أن تتخيل أن أسرة تسمي شعباً وبلداً باسمها وتحارب وتقتل كل من لا يدين بالولاء لها وهي تعيب على العراقيين واحداً على ألف من ممارساتهم اليومية.

وهكذا فقد تحول يوسف بن أيوب بفضل أحاديث الشعراء وخطب الدهماء وأساطير المنافقين الكذابين إلى نسخة من يوسف الصديق الذي جاء إلى مصر ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجداً!!.

(وسار نجم الدين إلى مصر وخرج الخليفة العاضد «الضحية المنتظر» لتلقيّه وخلع العاضد عليه ولقبه الملك الأفضل وأظهر السلطان من بره وتعظيم أمره ما أحرز به الشكر والأجر وأقطعه الإسكندرية ودمياط والبحيرة)[١].

ثم دخل عام ٥٦٦هـ قال ابن أبي طي: (و في هذه السنة شرع السلطان يعني صلاح الدين في عمارة سور القاهرة لأنه كان قد تهدم أكثره وولاه لقراقوش الخادم وقبض على القصور وسلمها إليه وأمر بتغيير شعار الإسماعيلية وقطع من الأذان «حي على خير العمل» وشرع في تمهيد أسباب الخطبة لبني العباس).

وفاة العاضد وإتمام الانقلاب الأيوبي:

ثم دخلت سنة ٥٦٧هـ حيث توفي فيها الخليفة العاضد وينقل ابن الأثير: (كان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٤٦٦.

لما ثبتت قدماه في مصر وزال المخالفون له وضعف أمر العاضد وهو الخليفة بها ولم يبق من العساكر أحد. كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية. فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى العلويين، فلم يصغ نور الدين إلى قوله وأرسل إليه يلزمه إلزاما لا فسحة له فيه).

(واتفق أن العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة له فاستشار الأمراء كيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية. فمنهم من أقدم على المساعدة ومنهم من خاف من ذلك. وكان قد دخل إلى مصر رجل أعجمي يُعْرَف بالأمير العالم فقال: أنا أبتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر ودعا للمستضيء بأمر الله ففعلوا ذلك).

(وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك. وكرهوا أن ينغصّوا عليه بذلك فتوفي يوم عاشوراء ولم يُعلَم؟

ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي لحفظه فحفظه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في الإيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان في القصر من العبيد والإماء فأعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه).

قال العماد: (وجلس السلطان للعزاء وأغرب في الحزن والبكاء (!!) ثم تسلم القصر بما فيه من خزائنه ودفائنه ووكل بهاء

الدين قراقوش بالقصر وجعل زمامه واستنابه مقام نفسه وأقامه فما دخل إلى القصر شيء ولا خرج إلا بمرأى منه ومسمع ولا حصل أهل القصر بعد ذلك على صفو مشرع. فلما توفي العاضد بطلت تلك القواعد ووهت المقاعد وأمر السلطان بالاحتياط على أهله وأولاده في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد وقرر ما يكون لهم برسم الكسوات والأقوات والأزواد).

قال العماد: (وهم إلى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكلؤهم!! ويحرسهم بعين حزمه في ليله ونهاره وجمع الباقين من عمومتهم وعترتهم من القصر في إيوان واحترز عليهم في ذلك المكان بكل إمكان وأبعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا فيكثروا وهم إلى الآن محصورون، محسورون لم يظهروا وقد نقص عددهم وقلص مددهم. ثم عرض من بالقصر من الجواري والعبيد والعدة والعديد والطريف والتليد فوجد أكثرهن حرائر فأطلقهن وجمع الباقيات فوهبهن وفرقهن وأخلى دوره وأغلق قصوره وسلط جوده على الموجود وابطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود. وأخذ كل ما صلح له ولأهله وأمرائه ولخواص مماليكه وأوليائه من أخائر! الذخائر وزواهر الجواهر ونفائس الملابس ومحاسن العرائس وقلائد الفرائد والدرة اليتيمة والياقوتة العالية الغالية القيمة والمصوغات التبرية والمصنوعات العنبرية والأواني الفضية والصوافي! الصينية والمنسوجات المغربية والممزوجات الذهبية والمحوكات النضارية والكرائم واليتائم والعود والتمائم والعقود والنثود والمنظوم والمنضود والمحلول والمشدود والمنعوت والمنحوت والدر والياقوت والحلي والوشي والعبير والجبير والوثير والنثير والعيني واللجيني والبسط والفرش وما لا يُعدُ إحصاءاً ولا يُحَدَ استقصاءاً

فوقع فيها الغناء وكشف عنها الغطاء وأسرف فيها العطاء وأطلق البيعَ بعد ذلك في كل حدث وعتيق ولبيس وسحيق وبال وأسمال ورخيص وغال وكل منقول ومحمول ومصوغ ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتنقلت إلى البلاد بأيدي المسافرين والواردين والصادرين)(١).

وقد بقي أبناء الخليفة العاضد في الحبس حتى عام ٦٢٨هـ أي أقلّ قليلاً من ستين عاماً ولا يعلم بالطبع هل أطلق هؤلاء الوحوش سراحهم أم أنهم ماتوا في ذلك الأسر حيث يقول: (أخبرني الأمير أبو الفتوح بن العاضد وقد اجتمعت به سنة ٦٢٨هـ وهو محبوس مقيد بقلعة الجبل بمصر أنّ أباه استدعى يوسف بن أيوب في مرضه وأوصاه بنا ونحن صغار فالتزم إكرامنا واحترامنا).

وأيّ إكرام واحترام هذا الذي لقيه أبناء العاضد من (صلاح الدين)؟ الذي ينبغي أن يضرب به المثل في (احترام حقوق الإنسان). هذا (الاحترام) يمثل عينة مما تنتظره الأمة من السائرين على نهجه والمسبحين بحمده والمشيدين بفضله هو ونائبه قراقوش الذي تربى المصريون إلى يومنا هذا على اعتباره رمزاً للبشاعة والتجبر ونموذجاً صارخاً للظلم الفاحش وأي ظلم أبشع من حبس هؤلاء المساكين الذين زالت دولتهم وأصبحوا بلا دافع ولا ناصر حبسا انفراديا مدى الحياة في القيود والأغلال وحرمانهم من أبسط حقوق الحياة من الزواج والإنجاب (حتى لا يكثروا ولا يتناسلوا) كل هذا لماذا؟

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٤٩٥.

لمجرد الخلاف في المذهب والاعتراف بفضل آل محمد!.

ثم يقولون لنا إن هذا كان نوعاً من التوحيد العقائدي وأن هذا كان تمهيداً لمقاومة الفرنج وتحرير بيت المقدس!!

أي إجرام هذا؟

ألم يكن الخليفة العاضد هو الذي زود يوسف بن أيوب بمليون ديناراً لمقاومة الهجوم الصليبي على دمياط؟.

ألم يكن العاضد هو الذي عينه وأقطعه وأكرمه.

أكاد أوقن أن داخل كل من يشيد بهذا الطاغية ويسبح بحمده قراقوش صغير يتهيأ للانطلاق فور أن تقوم لهم قائمة وسبحان المحيي المميت المعز المذل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[1].

أهل السنة ينكّلون بالمصريين:

عفواً أيها القارئ العزيز فهذا العنوان هو مجرد صياغة لما كتبه ذلك المؤرخ المهووس فنحن لا نؤاخذ أحداً بجريرة غيره قال: (ولما قطعت خطبة الجمعة للخليفة العاضد استطال أهل السنة على الإسماعيلية وتتبعوهم وأذلوهم وصاروا لا يقدرون على الظهور من دورهم وإذا وجد أحد من الأتراك مصرياً أخذ ثيابه وعظمت الأذية بذلك وجلا أكثر أهل مصر عنها إلى الأقطار وتحدث به السمار).

هل قرأتم قبل هذا مثل هذه الكارثة وهل أخبركم أحد بمثل هذا الحادث الجلل وهو جلاء أكثر أهل مصر عنها وتفرقهم في البلدان؟

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

هل حدثّكم أحد عن هذه الهستيريا الجماعية التي أشعلها صلاح الدين والتي وصلت إلى أن يُسلَب الإنسان ثوبه ويُنتهك عرضه وربما كان هناك ما هو أسوأ؟!

ثمّ يقولون لنا: أن المصريين أحبّوا أهل البيت ولكنهم لم يتشيعوا!! أو أنهم اختاروا أن يكونوا (سنيو المذهب شيعيو الهوى). أليست هذه نكتة تضحّك الثكلى. وأي منطق يحتم على من يريد أن يوالي أهل البيت ويشايعهم عقائدياً ومذهبياً أن يتسلح بالأسلحة النووية ويضعها تحت وسادته ليأمن غائلة يوسف بن أيوب وأزلامه من الأتراك ومن على شاكلتهم من الوهابيين والطالبانيين الذين عاثوا في الأرض فسادا كما حكى لنا ذلك المؤرخ المصاب بداء السعار المعادي للشيعة وأهل البيت.

أما أنا فقد رأيت آثارها بعيني رأسي بعد أكثر من سبعمائة عام من وقوعها عندما كنت أعمل في دولة عربية وكان معي طبيب من تنزانيا وهي دولة تقع في شرق أفريقيا ودخلتْ إلى حجرة الفحص أمرأة تبدو ذات ملامح مصرية صميمة وتحدثتْ معه بلغة لم أفهمها ثم غادرت وبعد أن خرجت سألني هل تعرف بأيّ لغة تتحدث هذه المرأة؟ فأجبته بالنفي. فقال: إنها تتحدث باللغة السواحلية وحكى لي تأريخهم وتاريخ من خرج منهم من مصر وكيف أن الشيعة المصريين بعد أن هاجروا من بلادهم لجأوا إما إلى الهند وهم طائفة البهرة أو إلى جنوب أسوان وهم من يطلق عليهم الآن الجعفرية أو إلى شرق أفريقيا حيث اختلطت لغتهم العربية باللهجات الأفريقية وشكلت اللغة السواحلية وهذه المرأة المصرية الصميمة قد أصبحت الآن أفريقية تنزانية.

كل هذا من أجل ماذا؟

هل حقا كان هذا من أجل السُّنة وهل سنَّ رسول الله ﷺ إخراج الناس من بيوتهم وقتلهم وتشريدهم وسلبهم ونهبهم؟ وكيف جرى اعتبار النداء للصلاة في الأذان ووصفها بأنها خير العمل بدعة وجريمة يعاقب عليها بكل ما ذكرناه آنفا؟؟.

هل لأنها لم ترد في الأذان كما يقولون؟؟ وهل وردت الصلاة خير من النوم فيها؟؟.

المسألة من الناحية الواقعية أن كل ما يمكن اعتباره شعاراً على الولاء لأهل البيت عليهم السلام هو من وجهة نظر هؤلاء جريمة يعاقب عليها بالقتل والغدر والحبس والنهب وتدمير المكتبات!!.

إي والله تدمير مكتبة القاهرة فريدة العصر!!

الجريمة الكبرى تدمير مكتبة القصر الفاطمي

بينما تبني مصر الآن مكتبة الإسكندرية بدلا من تلك التي دمرها أحد أسلاف يوسف بن أيوب.

تجاهل المؤرخون تلك الجريمة البشعة التي ارتكبها يوسف بن أيوب بتدمير مكتبة القصر الفاطمي بما فيها من ذخائر ونفائس لا يعلمها إلا الله ولا يدري أحد ماذا ضاع من كنوز التراث الإسلامي بسبب تلك الفاجعة التي ارتكبها هؤلاء الحمقى (دفاعا عن السنّة وقمعا للبدعة!!).

تناسى الكتّاب والمؤرخون في غمرة مدائحهم الحماسية هذه الواقعة التي تسببت في ضياع ما يناهز الثلاثة ملايين كتاباً ومخطوطة، بالرغم من أنها لا تحتاج إلى بحث لا تنقيب مثل واقعة

إحراق، مكتبة الإسكندرية. لأنها بكل تأكيد تتناقض مع المهمة التي نذورا أنفسهم لها وهي صناعة صورة القائد البطل الرمز الواحد الأحد الأسطورة، الذي ينبغي تقديمه في صورة (الحريص على العلم والعلماء والبحث العلمي وداعما لهم بكل ما يملك حتى أنه تنازل عن أثاث قصره من أجل طباعة الكتب واكتشاف الذرة!!) ومن هنا فإن عرض الحقيقة التي أوردها مؤرخون من نوعية أبي شامة رغم كونه (مؤرخ السلطة الأيوبية) الذي يشيد بجرائمها بصورة معتوهة وبلهاء صباحاً ومساءاً ويذيل أخبار تلك الجرائم (الهولاكية المملوكية) بعبارات تقطع إما بالبلاهة والتخلف العقلي أو الانحطاط والعمالة مثل (عفيت الآثار القديمة واستأنفت السنن الكريمة) ناهيك عن أن تقديم الصورة الحقيقية الواقعية تتناقض مع نداءاتهم المتكررة لذلك البطل المغوار والتي تطالبه بالعودة من قبره ليحررهم من قبور صنعوها لأنفسهم باختيارهم لهذا النمط من التفكير التآمري المنحط، الذي لا يرى وسيلةً لنصرة ما يعتقدون انه الحق سوى السلب والنهب وتدمير (مكتبة القصر الفاطمي) ولتذهب ثلاثة ملايين مخطوطة إلى الجحيم!

إذن فنحن أمام أسلوب قديم جديد هو أسلوب العبودية المختار لبطل يصنعه الوهم ووسائل الدعاية والإعلام.

بطل يأتي ليحرر ويدمر ويرهب أعداء الداخل والخارج بكلماته الحماسية الرنانة وسيوفه البتارة، حيث الكل في واحد ولا حقّ إلا للسلطان الواحد الأحد، الفرد، الصمد، الحاكم في الأرض بالقمع والغدر والإرهاب وهو ما رأيناه بأمّ أعيننا قبيل كتابة هذه السطور بشهور قليلة من مأساة الشعب العراقي المسلم الذي ابتلي بطاغية

العصر صدام حسين التكريتي الذي التف حوله كل المنافقين من أمثال أبي شامة ولكن هذه المرة بعنوان القومية العربية ومقاومة المخططات الأمريكية الصهيونية.

لقد كانوا يطالبون الشعب العراقي بالالتفاف حول طاغيته وتناسي (جراحات الماضي) وإلا جرى اعتبارهم من الخونة والعملاء للإمبريالية الأمريكية.

فهل كان من الممكن تناسي هذه الجراحات والإعدامات والإبادة بأسلحة الدمار الشامل الكيمياوي والحارق؟؟؟

لم يكن من الممكن تلبية مثل هذه الطلبات بعد أن سالت كل تلك الدماء وتحولت أرض العراق إلى أكبر مقبرة جماعية عرفها التاريخ. ثم جاءت الأحداث لتثبت أن كل من كانوا معه انفضّوا من حوله. لأن الوطن الذي يعامل فيه المواطن بمثل هذه الطريقة الهمجية الأيوبية أو التكريتية لم يعد ذلك المكان الذي يقدم الإنسان روحه وماله دفاعا عنه.

ثم نواصل حكاية ما فعله الأيوبي يوسف في حق إرث البشرية الحضاري الذي استلمه من سادته السابقين وأولياء نعمته.

قال: (ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا فلم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من تلك الدار التي بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان نسخة من تاريخ الطبري ويقال أنها كانت تحتوي على ألفي ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة وحصل للقاضي الفاضل قدراً كبيراً منها حيث شغف بحبها وذلك أنه دخل إليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه في البركة على

أنها مخرومات ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل ما حصل من الكتب)[١].

قال العماد: (وأخذت ذخائر القصر ومن جملتها الكتب فإني أخذت منها جملة في سنة ٥٧٢هـ وكانت خزائنها مشتملة على قريب ١٢٠ ألف مجلدة مؤيدة من العهد القديم وفيها من الخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطعه التعدي وكانت كالميراث مع أمناء الأيتام، يتصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام ونقلت منها ثمانية أحمال إلى الشام وتقاسم الخواص بالدور والقصور وشرع كل من سكن في تخريب معموره. . . . ووو ثم يقول ذلك المؤرخ المهووس (وعفى الآثار القديمة واستأنف السنن الكريمة والله أكبر جاء الحق وزهق الباطل!!!). أي أن هذا الإجرام والتخريب هو السنن الكريمة وهو الحق وغيره الباطل!!.

هل عرفتم لماذا ينادى هؤلاء المرضى صباحاً مساءاً أين صلاح الدين نريد صلاح الدين؟؟.

وهل عرفتم العلاقة بين التشيع لأهل البيت والعلم؟؟.

وهل عرفتم العلاقة بين العداء لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من ناحية والجهل والتخلف من ناحية؟؟

وهل عرفتم لماذا كان السلاح الأمضى في محاربة التشيع لأهل البيت عليهم السلام هو نشر الجهل والتخلف وإشاعة روح الخرافة والاختلال العقلي؟؟.

وهل عرفتم لماذا اخترنا الوقوف مع الحرية العقلية

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٠٧.

والديمقراطية في مواجهة تلك الروح الغوغائية المتلبسة بالدين، والدين منها براء؟؟.

فمهما كانت عيوب الحرية الفكرية والتجاوزات التي يمكن أن تحدث خلال ممارستها فإن ذلك أهون ألف مرة من تلك الأجواء الغوغائية الإجرامية التي تريد من خلال فرض وصايتها على الأمة أن تمارس القمع والقهر وحرمان الناس من الاختيار.

والغريب أن هؤلاء الغوغاء عندما يخرجون إلى بلاد العالم غير الإسلامي تراهم يسبحون بحمد الحرية واحترام حقوق الإنسان أما إذا يمموا وجههم شطر المشرق الإسلامي صاحوا أين أنت يا صلاح الدين، نريد صلاح الدين لا حياة بدون صلاح الدين. أي لا حياة بدون سلب ونهب وقتل ومصادرات من اجل إحياء ما يسمونه بالسنة وإماتة ما يسمونه بالبدعة والله شاهد على أنهم أسوأ وأحط بدعة عرفها التاريخ الإنساني.

كيف جرى سلب ونهب دار الحكمة؟

قال العماد: (وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بأرخص الأثمان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت، مقسمة الرفوف، مفهرسة بالمعروف (لاحظ وتأمل!!) فقيل للأمير بهاء الدين قراقوش (العبد الأمير؟؟!!) متولي القصر والحال والعاقد للأمر: وهذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى ثمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها من بيوت الخزانة إلى أرضها وهو تركي لا خبرة له في الكتب ولا دربة له في أسفار الأدب (أي أن الرجل كان حماراً يحفظ أسفاراً!) وكان مقصود دلالي الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويعكسوها فأُخرجت وهي أكثر من مائة ألف من أماكنها

وغربت من مساكنها وخربت أوكارها وأذهبت أنوارها وشتت شملها وبت حبلها واختلط أدبيها بنجومها وشرعيها بمنطقيها وطبيها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الأمصار ومصنفات الأخبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين جزءا مجلدا، إذ فقد منها جزء لا يخلف أبداً فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتباً مبترة فتسام بالدون وتباع بالهون والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عدة ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها وقد شارك غيره في ابتياعها حتى إذا لفق كتابا قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة.

قال: (فلما رأيت الأمر حضرت القصر واشتريت كما اشتروا ومريت الأطباء كما مروا واستكثرت من المتاع المبتاع وحويت نفائس الأنواع ولما عرف السلطان ما ابتعته وكان بمئين أنعم علي بها وأبرأ ذمتي من ذهبها).

الله أكبر ولله الحمد جاء الحق وزهق الباطل ونحن في انتظارك يا صلاح الدين ومكتباتنا كلها طوع بنانك تحطم منها ما تشاء وتخرب منها ما تشاء وتهب منها من (مالك ومال أبيك وجدك: شاذي ولا شيء قبله) ما تشاء لمن تشاء ثم يطلع علينا البلهاء والخبثاء يتساءلون عن (السر) الكامن وراء تخلف العرب والمسلمين العلمي والحضاري ليأتي الرد الأكثر بلاهة وتخلفا وتعاسة مطالبا بعودة صلاح الدين وحشد طاقات الأمة الثقافية والحضارية من أجل تحقيق هذا الهدف ألا وهو صناعة التخلف والانحطاط الحضاري فإن هذا وحده هو القادر على الحفاظ على عقيدة الأمة ممن يهددونها بالولاء لأهل البيت عليهم السلام!!!.

تدمير الاكتشافات العلمية الموجودة في القصر الفاطمي:

لم يكن ليوسف بن أيوب من همة إلا تغيير الخطبة والقضاء على التشيع وإبادة الأسرة الفاطمية الحاكمة ومنع تناسلهم وملاحقة الشيعة في كل فج عميق. أما الحفاظ على المكتشفات العلمية المملوكة لكل أمة لا إله إلا الله فلم يكن أمراً وارداً وربما لم يكن مطلوباً حتى لا يقال بعد ذلك أن الفاطميين كانوا أصحاب فضل أو قدموا أي إنجاز للإسلام والمسلمين. والرجل لم يعين لجاناً لجرد وحصر ما كان موجودا في قصور الفاطميين من كنوز وثروات علمية وفقهية ولا يعلم أحد إلا الله حجم الكارثة التي ألحقها (حمار الدين قراقوش) بتراث الأمة العلمي والحضاري وما هي المراجع التي فُقدت أو دُمّرت أو أُلقيت في البرك ناهيك عن أن وجود كتاب (تاريخ الطبري) بين تلك الكنوز الفكرية والثقافية ينفي تماما شبهة التعصب المذهبي التي يمكن توجيهها للفاطميين الذّين احتوت مكتبتهم على كتب من كل ألوان الطيف المذهبي ويبقى أن أخبار تلك الكوارث قد تسربت من بين السطور أو ذكرها مرضى السعار المعادي للتشيع في السطور والكلمات بين أناشيد المدح وقصائد الفخار بدلا من صفحات الخزي والعار ويكفيهم ما فعله ذلك العبد الجاهل عندما أعطى إحد تلك الاكتشافات لواحد من عبيده الأكثر جهلاً فقام بتدميره ولا نعرف إلى الآن ما هو؟ ولا نعرف ما حوته تلك القصور من كنوز ومعالم للبناء الحضاري حيث يقول مؤرخ آل أيوب: (. . .وعندما دخل القصر وجد فيه ذخائراً جليلة من ملابس وفرش وخيول وخيام وكتب وجواهر ومن عجيب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله سبر وكسر قطعة واحدة كان سمت حجمه مقدار الإبهام ووجُد فيه طبل للقولنج ووجد فيه إبريق عظيم من الحجر المانع ووجد فيه

سبعمائة يتيمة من الجواهر أما قضيب الزمرد فإن السلطان أخذه وأحضر صانعا ليقطعه فأبى الصانع فرماه السلطان (؟؟!!) فانقطع ثلاث قطع وفرقه السلطان على نسائه وأما طبل القولنج فإنه وقع إلى بعض الأكراد فلم يدر ما هو فكسره لأنه ضرب به فحبق (أي أخرج ريحا وضراطا) وأما الإبريق فأنفذه السلطان إلى بغداد)[1].

والمهم هو الخطبة وكل شيء بعد ذلك يهون ثم يتساءل الحمقى والمغفلون في بلاهة يحسدهم عليها نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم بعد أن أصبح انتصار الحق على الباطل يعني شيئا واحدا هو الخطبة العباسية وكله في حبك يهون!.

المكتبة التي كانت والحضارة التي ضاعت!!:

يقول المؤرخون: (ساهمت مكتبة بغداد مع مكتبة الفاطميين في القاهرة، ومكتبة الأمويين في قرطبة، في حفظ التراث الإسلامي، بل الإنساني، إلى أن أحرقها التتار عام ٦٥٦هـ. وقد ازدهرت حركة الكتب والمكتبات في مصر، وخصوصاً في العهد الفاطمي. إذ اعتنى الفاطميون بها عناية كبيرة، لأنها أداة لنشر دعوتهم، وأعد ملوكهم خزائن الكتب أهم خزائن قصورهم، ولهذا أنشأ المعز لدين الله الجامع الأزهر لنشر المذهب الإسماعيلي كما أنشئت المكتبة العزيزية أيضاً. وقد نقل المقريزي عن المسبحي مؤرخ الدولة الفاطمية ومعاصرها: «أنه كان في خزانة الخليفة العزيز بالله، الذي حكم بين عامي (٣٦٥- ٣٨٦هـ) عدد كبير من الكتب في

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٥٠٦.

العلوم المختلفة، إلى جانب العناية الكبيرة بالناحية الأثرية والتوثيقية، من اقتناء الكتب بخطوط مؤلفيها، إلى الاهتمام بالخط والتجليد. ساعد العزيز في إنشاء مكتبة وزيره يعقوب بن كلس، وكان أبو الحسن علي بن محمد الشابُشتي (-٣٨٨هـ)- نديمه وجليسه، وصاحب كتاب (الديارات) المشهور- قيماً على خزائنها.

كذلك ذكر المقريزي نقلاً عن ابن الطوير، وصفاً للخزائن والرفوف المقطعة بحواجز عليها أبواب مقفلة. وأنها كانت تحتوي ما يزيد على مئتي ألف من أصناف الكتب والمجلدات: في الفقه والنحو واللغة والحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء. ولمح المقريزي أيضاً إلى وجود قطعة من الحرير الأزرق رسمت عليها صورة الأرض بكل تضاريسها وتفاصيلها ومدنها وأماكنها المقدسة، مع كتابة أسماء ذلك كله

وقد انتقى القاضي الفاضل كثيراً من كتبها، ووقفها على مدرسته الفاضلية في القاهرة.

إن هذه المكتبة هي واحدة من ثلاث، كانت من أعظم المكتبات الخاصة التي عرفتها الدولة الإسلامية، إلى جانب بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة الحكم المستنصر الأموي في قرطبة، وكان لها جميعاً فضل كبير في حفظ التراث الإسلامي والتراث الإنساني المترجم إلى العربية. وثمة مكتبة مهمة أخرى، هي (دار الحكمة) التي أسسها الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥هـ، مستمداً تسميتها من مجالس الحكمة، التي كانت تطلق على مجالس الدعوة الشيعية، وكانت تسمى أيضاً دار العلم. وقد وصفها المسبحي بقوله: «فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت إليها الكتب من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها، ونسخ

كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت، وعلقت على جميع أبوابها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم، وسُموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم. فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم. وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر وفي سنة ٤٠٣هـ أحضر (الحاكم) جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق، وجماعة من الأطباء إلى حضرته، وكانت كل طائفة تحضر على انفراد للمناظرة بين يديه، ثم خلع على الجمع وصرفهم». . . . ووقف أماكن في فسطاط مصر على مكتبته، ووضع لها ميزانية ضخمة لصيانة الكتب وترميمها ٦٠ أستمرت المكتبة على هذا الوضع إلى عام ٥١٦هـ، حيث كثرت فيها المناقشات الدينية التي سببت فتناً، فأغلقت، ثم أعيد فتحها). منقول عن شبكة الإنترنت موقع مصياف جيران كوم.

أعياد النصر

وما أدراك ما أعياد النصر. التي شهدنا منها الكثير احتفالاً بمناسبات أغلبها من ذلك النوع الأيوبي الصميم حيث يقول المؤرخ المهووس: (ولما خطب بالديار المصرية لبني العباس ومات العاضد انقرضت تلك الدولة وزالت عن الإسلام بانقراضها الذلة!!) وفيهم يقول الشاعر المنافق:

أصبح الملك بعد آل علي مشرقاً بالملوك من آل شاذي
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم ومصر تزهو على بغداد

ويقول أبو شامة: (و قوله آل علي يعني بذلك بني عبيد، المستخلفين فيها وقد أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون فملكوا البلاد وقهروا العباد وقد ذكر جماعة من العلماء أنهم لم يكونوا أهلا لذلك ولا نسبهم صحيح بل المعروف أنهم بنو عبيد)[١].

ألم أقل لكم عند حديثنا عن نسب يوسف بن أيوب أننا سنحتاج إلى هذا الأمر بعد هذا فالشاعر المنافق يباهي بالتحول الذي أفضى لإزاحة الفاطميين الذين يشكك هؤلاء في نسبهم لآل محمد ويفاخر بمجيء (بآل شاذي ولا شيء قبله) وهذه هي عقدة هذا الصنف من البشر الذين يمقتون كرام الناس وخيارهم ويرفعون الأدعياء فوق مصاف الأنبياء.

إنها مباهاة على طريقة (اللي اختشوا ماتوا).

نبذة عن نسب الفاطميين منقولة عن كتاب: (علاقة الإسماعيلية بائمة أهل البيت) لآية الله السيد محمد تقي المدرسي:

(ولقد أثارت شخصية ميمون القداح موجة من التساؤلات بسبب حساسية موقعه من الحركة الإسماعيلية، ومغالاة أبناء هذه الحركة في حقه وجعله شخصية أسطورية وأيضا بسبب معاداة المعارضين لهذه الحركة الشديدة لميمون الذي اتهموه بكافة التهم التي يفتريها الطغاة ضد مؤسسي الحركات الثورية.

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٠٩.

ونرى أن ميمون القداح لم يكن سوى واحداً من الموالين المتشبعين بروح الثورة، وقد وفّر له قربه من الإمام الباقر عليه السلام ونجله الامام الصادق عليه السلام فرصة كافية لمعرفة أصول الحركة الرسالية.

وحين كلفه الإمام الصادق عليه السلام بالإشراف على تربية حفيده محمد ابن إسماعيل الحبيب إلى قلوب العائلة المفجوعة بوفاة أبيه إسماعيل ابن الإمام الصادق المبكر.. بدأ بتأسيس حركة ثورية معارضة للنظام الطاغوتي، وهو لا يتحمل سلبيات هذه الحركة، كما لا يتحمل الشهيد زيد بن علي عليه السلام سلبيات الحركة الزيدية في التاريخ، وقبل أن نسرد بقية قصة ميمون نلقي نظرة خاطفة على نظرات كتب الرجال والتاريخ حوله وذلك عبر ثلاث مصادر رئيسية:

أولا: عن كتاب جامع الرواة الموثق عند فقهائنا ومؤلفه العلامة الاردبيلي.. يقول عن (ميمون) القداح في المجلد الثاني ص ٢٨٦ ما يلي: «وجدت في كتاب جبرئيل بن احمد بخطه. حدثني محمد بن عيسى عن محمد بن الفضل الكوفي عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد عن ميمون بن عبد الله عن الباقر عليه السلام، وذكر ما يدل على تشيعه».

وجاء أيضا: «ميمون القداح مولى بني مخزوم المكي، مولى بن هاشم روى عنهما». وأورد العلامة الاردبيلي عدداً من الروايات التي رواها ميمون القداح عن الإمام الباقر عليه السلام والتي هي موضع اعتماد عند علماء المذهب الأمامية الاثنى عشري.

منها: عن علي بن الحكم عن معاوية بن وهب عن ميمون القداح عن أبى جعفر عليه السلام في باب - أن من عف عن حرم الناس عف عن حرمه - في أواخر كتاب النكاح عن ابن القداح عن أبيه عن

أبي جعفر عليه السلام في باب كراهية أن يبيت الإنسان وحده في كتاب المروة. عنه عن أبيه ميمون عن أبى جعفر عليه السلام فيه وفي باب اتخاذ الأجل بعد كتاب الدواجن، عنه عن أبيه ميمون عن أبى عبد الله عليه السلام في باب قسمة الغنيمة، عبد الله بن ميمون عن آبان عن ميمون القداح عن أبى جعفر عليه السلام باب النوادر في كتاب فضل القرآن. أما عن عبد الله ابن ميمون القداح يقول عنه العلامة الاردبيلي في جامع الرواة (ص ٥١٢ ج ١) ما يلي:

«عبد الله بن ميمون الأسود القداح كان يبري القداح المكي، مولى بني مخزوم روى أبوه عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام وروى هو عن أبى عبد الله عليه السلام وكان ثقة. حدثني مهدوية عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن ابن خالد صالح القماط عن عبد الله بن ميمون عن أبى جعفر عليه السلام قال: يا ابن ميمون كم انتم بمكة؟ قلت نحن أربعة، قال: أما إنكم نور الله في ظلمات الأرض. ثم يورد العلامة الاردبيلي عنده من الروايات التي رواها عبد الله بن ميمون القداح في أبواب الفقه المختلفة عن الإمام الصادق عليه السلام وعن أبيه عن الإمام الباقر عليه السلام.

ثانياً: أما المؤرخ المصري، المقريزي فيقول عنه: « قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن في انساب الخلفاء الفاطميين. تأليف الشريف المعروف (بأخي محسن) يقول فيها: (إن هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي الذي تنسب إليه الثنوية. وديصان هذا ولد ابناً يقال له ميمون القداح، وكان له مذهب في الغلو، فولد لهذا ابن يقال له عبد الله، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وولد لعبد الله هذا ابن يقال له احمد فبعد أن مات أبوه قام ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة وادعى بأنه من

نسل محمد بن إسماعيل. ويؤكد أخو محسن: بان عبد الله المهدي أو محمد المهدي هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن الثنوي الاهوازي أصلهم من المجوس).

ويرد المقريزي على هذا القول، فيقول: «إن بني علي ﷺ قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد، وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعوة لابن مجوسي أو يهودي؟ فهذا مما لا يفعله أي أحد ولو بلغ الغاية في السخف والجهل، وإنما جاء ذلك من قبل ضعفة بني العباس عندما غصّوا بمكان الفاطميين. فأنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب، ومصر، والشام، وديار بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم، فلاذت حينئذ إلى تنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم». «... وعندما عجزوا عن مقاومة الفاطميين والوقوف في وجههم أثناء حكمهم بلاد المغرب ومصر والشام، وديار بكر والحرمين واليمن وبغداد، عمدوا إلى الطعن في نسب الائمة الفاطميين ليسودوا صحائفهم وليجروا الناس إلى كراهيتهم، وان القضاة الذين سجلوا شهادة الطعن على السماع في بغداد كانوا من ألد أعداء الفاطميين ومن اخلص شيعة بني العباس ولم يعرف عنهم التجرد والنزاهة والصدق بل اشتهروا بكراهيتهم وبغضهم ونقمتهم على آل علي بن أبى طالب عليه السلام منذ ابتداء الدولة العباسية فتآمروا عليهم وطاردوهم وبطشوا بهم أينما وجدوا».

ثالثاً: أما المستشرق الروسي، البروفيسور فلاديمير ايفانوف فيستنتج من بحوثه حول الإسماعيلية:

أن ميمون القداح وولده عبد الله لم يكون من الفاطميين أصلاً، ولم يجمعهما بهم أية صلة رحم. إنهما لم يكونا ديصانيين او زنديقين، بل كانا فقيهين ورعين، وان الدعوة السرية الإلحادية التي تنسب إليهما لم تكن إلا من نسج الخيال.

ويرى ايفانوف أن الخلفاء الفاطميين أخفوا أنسابهم وفروع ذوي قرباهم، خوفاً من أعدائهم في البلاد الخارجة عن سلطانهم على أولئك الأقربين، وان قصة ميمون القداح وولده هذه، ما هي إلا أسطورة وخرافة.

ويورد الاستاذ ايفانوف الأحاديث التي وردت في كتاب الكافي في علم الدين برواية عبد الله بن ميمون، ووالده ميمون بن القداح، والأحاديث التي رواها عبد الله، ونسبها إلى والده ميمون، وعددها مائة وخمسون حديثاً، منها مائة وثلاثون نقلت من كتاب الكافي والبقية نقلت من كتاب تهذيب الأحكام.

ويخْلُص ايفانوف إلى أن الأحاديث المذكورة توضح: أن ميمون القداح كان على صلة بالإمام محمد الباقر عليه السلام وهناك ما يدل على انه كان ضمن خدم أسرة آلاما، وكان الإمام الباقر عليه السلام يصحبه في جولاته وكان إذا سار استند إلى ابن القداح.

ويستدل ايفانوف على ذلك بما ورد في الحديث الرابع، حيث يوصف ميمون القداح صراحة بأنّه مولى الإمام محمد الباقر عليه السلام وغلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويستدل ايفانوف أيضاً ببعض الروايات السنية التي تصف عبد الله بن ميمون بأنه «مولى الإمام جعفر الصادق عليه السلام». هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ينفي ايفانوف تهمة الإلحاد عن عبد الله بن ميمون ويستدل على ذلك بأنّ اسمه ورد في كتب الحديث السنية، مثل: ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ،

والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وابن حجر المتوفى ٨٥٢ هـ، وعبد الله الخزرجي الأنصاري المتوفى ٩٢٢ هـ.

ولم تنسب إليه في كتب السنة، أية دعوة للإلحاد أو الزندقة، ويصفه أكابر رواة الحديث السنة بصفات مختلفة من ضعيف، وسقيم. ولكن لم يرمه أحد منهم بشبهة الإلحاد ومن ثم يستنتج أن ميمون القداح كان من الموالي وكان مقيما بمكة وله أهمية محلية. وكان خادماً مخلصاً للإمام محمد الباقر عليه السلام ثم ولده جعفر الصادق عليه السلام، ومن الممكن انه كان تاجراً، وربما كان أيضاً مشرفاً على أملاك الأئمة في مكة، وقد كان يُعدُّ رجلاً ذو شخصية، وكان له عدة أولاد منهم عبد الله وأبان، وربما إبراهيم، وكان ولده أبان عالما يحفظ القرآن، ومن المحتمل أن يكون أخوه عبد الله معلما للكتابة وانه دوّن خلال خدمته للإمام ما سمعه منه، وان مجهوده فيها يبدو كان مقتصراً في تدوين الأحاديث التي سمعها من الإمام جعفر الصادق عليه السلام وليس هناك ما يدل على انه كان مشتركاً في أية حركة الحادية.

ونحن لا نشك بأن الحركة الإسماعيلية على ما هي عليه في الوقت الحاضر قد انحرفت تاريخيا عن خطها الصحيح، بعد أن وقعت في تناقض موت إسماعيل قبل أبيه الإمام الصادق عليه السلام وبين إمامته في ظل إمامة الصادق عليه السلام.

كما لا نشك بان الزيدية قد انحرفت هي الأخرى عن خطها الصحيح، ولا نشك أيضا بأن كثيرا من فئات الموالين قد انحرفوا عن الخط الرسالي الصحيح الذي رسمه لهم الأئمة المعصومين عليهم السلام. بيد أن انحراف أي حركة عن خطها الصحيح، لا يدل على أن هذه الحركة كانت منحرفة من أساسها، كما لا

نستطيع أن نتخذ من انحراف بعض المسلمين اليوم عن خطهم الصحيح، دلالة على كونهم منحرفين منذ البداية.. أو أن الرسالة منحرفة من أساسها. كما لا نستطيع أن نستدل من انحراف النصارى واليهود عن الحنفية الأولى دليلاً على انحراف الرسالة.

إذن.. إن تكليف ميمون القداح من قبل الامام الصادق عليه السلام بالإشراف على إبنه إسماعيل يدلّ على أن الحركة الإسماعيلية كانت حركة ذات أهداف سياسية سليمة منذ البدء). أ - هـ.

انتهى النقل الذي أوردناه بنصه لنثبت للقارئ كم الافتراء الذي استخدم في الهجوم على القوم بل وعلى كل ما هو نظيف وموال لأهل البيت عليهم السلام. ومدى بشاعة وانحطاط أساليبهم في اغتيال خصومهم ومناوئيهم مادياً ومعنوياً واقتصادياً كما أننا وبرغم اختلافنا الفكري والمذهبي مع الطائفة الإسماعيلية إلا أن الحقيقة تبقى هي الحقيقة والحق أحق أن يتبع ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ اعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(1) ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(2).

ومع كل هذا يبقى أن الطعن على الفاطميين في أنسابهم والافتراء عليهم بأنهم أبناء اليهودية والديصانية والمجوسية والثناء على الأكراد والتكارتة من (أبناء شاذي ولا شيء قبله) هو الفجور بعينه وهو ما لا يختلف كثيرا عن حياكتهم لأسطورة ابن سبأ (أصل الشيعة والتشيع) ابن اليهودية وابن السوداء وابن الكلب إلى آخر مستنقع الأكاذيب الذي يبدو أن القوم لم يعد بوسعهم الحياة خارجه.

---

(1) سورة المائدة، الآية: ٨.

(2) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

خطبة الانتصار الأيوبي:

ثم كتب يوسف بن أيوب كتابا بعث به إلى كافة البلدان جاء فيه (أصدرنا هذه المكاتبة إلى جميع البلدان الإسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا رتاجه وأوضح لنا منهاجه وهو ما اعتمدناه من إقامة الدعوة الهادية العباسية بجميع المدن والبلاد والأقطار والأمصار المصرية وهذا شرف لزماننا هذا وأهله. نفتخر به على الأزمنة التي مضت من قبله وما برحت هممنا إلى مصر مصروفة وعلى افتتاحها موقوفة وعزائمنا في إقامة الدعوة الهادية بها ماضية والأقدار في الأزل بقضاء آرائنا وإنجاز مواعيدنا قاضية حتى ظفرنا بها بعد يأس الملوك منها وقدرنا عليها، وقد عجزوا عنها وطالما مرت عليها الحقب الخوالي وآبت دونها الأيام والليالي وبقيت مائتي سنة ممنوة بدعوة المبطلين مملوة بحزب الشياطين سابغة ظلالها للضلال مقفرة المحل إلا من المحال مفتقرة إلى نصرة من الله تملكها ونظرة **ستدركها رافعة يديها في أشكائها حتى أذن الله لغمتها بالانفراج ولعلتها بالعلاج وسبب قصد الفرنج لها وتوجههم إليها طمعا في الاستيلاء عليها واجتمع داءان.. الكفر والبدعة وكلاهما شديد الروعة فملكنا الله تلك البلاد ومكّن لنا في الأرض وأقدرنا على ما كنا نؤمله في إزالة الإلحاد والرفض ومن إقامة الفرض وتقدمنا إلى من استنباه أن يستفتح باب السعادة ويستنجح مالنا من الإرادة ويقيم الدعوة العباسية هنالك ويورد الأدعياء ودعاة الإلحاد بها المهالك)**[1].

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٠٢.

وفي رسالة أخرى كتبها القاضي الفاضل يكشف فيها بعض الخطط التي اتبعها هؤلاء وصولا للقضاء على الدولة الفاطمية: (وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما عليه الأخوال من سوء تدبير. . . وتلك البدع بها على ما يعلم وتلك الضلالات فيها على ما يفتى فيها بفراق الإسلام ويحكم. وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله وتعظم وتفخم. فتعالى الله عن شبه العباد وويل لمن غرّه تقلب الذين كفروا في البلاد فسمت همتنا دون همم أهل الأرض إلى أن نستفتح مقفلها ونسترجع للإسلام شاردها. . . . . فما زلنا نسحتهم بالمبارد للشفار ونتحيفهم تحيف الليل والنهار بعجائب تدبير لا تحتملها المساطير وغرائب تقدير لا تحملها الأساطير ولطيف توصل ما كان من حيلة البشر ولا قدرتهم لولا إعانة المقادير. . . . وشرعنا في تلك الطوائف من الأرمن والسودان والأجناد فأخرجناهم من القاهرة تارة بالأوامر المرهقة لهم وتارة بالأمور الفاضحة لهم وطورا بالسيوف المجردة وبالنار المحرقة حتى بقي القصر ومن به من الخدم وذرية قد تفرقت شِيَعه وتمزقت بدعه وخفتت دعوته وخفيت ضلالته. فهنالك تم لنا إقامة الكلمة والجهر بالخطبة والرفع للواء السواد المعظم وعاجل الله الطاغية الأكبر بفنائه وبرأنا من عهدة يمين كان إثم حنثه أيسر من إثم بقائه لأنه عوجل لفرط روعته ووافق هلاك شخصه هلاك دولته)[١].

إذن فالانقلاب الأيوبي على الدولة الفاطمية كان خطة مدبرة لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بما ادعاه هؤلاء من الدفاع عن حياض

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٦١٩.

الإسلام في مواجهة الغزو الفرنجي. خطة طال انتظارها من قبل منفذيها ٢٨٠ عاما حتى واتتهم الفرصة عندما (سبب الله قصد الفرنج لها) واحتياج المصريين الفاطميين لنصرة إخوانهم في الدين دفاعاً عن حريم الإسلام والمسلمين فانتهز الشرفاء الذين يرون في أنفسهم (الفرقة الوحيدة الناجية من النار) تلك الفرصة ودخلوا إلى مصر وأعملوا خطتهم التي عبّر عنها وزير إعلامهم المبجل بقوله (فما زلنا نسحتهم بالمبارد للشفار ونتحيفهم تحيف الليل والنهار بعجائب تدبير لا تحتملها المساطير وغرائب تقدير لا تحملها الأساطير ولطيف توصل ما كان من حيلة البشر ولا قدرتهم لولا إعانة المقادير).

ثم كانت خاتمة المطاف بنقض العهد الذي قال عنه رب العزة ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[1] حيث برئ هؤلاء السادة المبجلون (من عهدة يمين كان إثم حنثه أيسر من إثم بقائه) والله أكبر والعزة للإسلام والمسلمين، الذين كانوا دائماً على ما يرام وفاءاً للعهد وحفظاً للأمانة وقادة للحضارة الإنسانية والتقدم الإنساني والدليل على هذا هو الطريقة التي (حافظ) بها يوسف بن أيوب على مكتبة القصر الفاطمي. والأهم من هذا رعايته للتقدم العلمي والابتكارات العلمية التي عثر عليها في (مركز الأبحاث العلمية بالقصر الفاطمي) لولا المؤامرة الأمريكية الصهيونية وأحداث (الحادي عشر من سبتمبر) التي لفقتها واشنطن لاحتلال العالم الإسلامي.. فأين أنت يا صلاح الدين؟

تصفية ما تبقى من أنصار الفاطميين:

قال العماد: «واجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

المتعصبة المتصعبة المتشددة المتصلبة وتوازروا وتزاوروا فيما بينهم خيفة وخفية واعتقدوا أمنية عادت بالعقبى عليهم منية وعينوا الخليفة والوزير وأحكموا الرأي والتدبير وبيتوا أمرهم بليل وستروا عليه بذيل وكان عمارة اليمني عقيدهم ودعا للدعوة قريبهم وبعيدهم وكان الفقيه الواعظ زين الدين على بن نجا هو الذي أفشى سرهم وطلب ما لابن الداعي من العقار والمال فأُعطي ما طلب. وكان الذين صُلبوا منهم المفضل بن كامل القاضي وابن عبد القوي الداعي وشبرما كاتب السر وعبد الصمد القشة أحد أمراء المصريين ونجاح الحمامي وعمارة اليمني الشاعر. فأفتي فقهاء مصر بقتله وحرضوا السلطان على المثلة به فقتل وصلب «عليه رحمة الله».

تهمة التعامل مع الإفرنج:

ذكر المؤرخون الموالون لآل أيوب: أن هذه المؤامرة المفترضة تمت بالاتفاق مع الفرنج ولنا ملاحظة على الرسالة التي وجهها ابن أيوب إلى سيده بالشام حيث يقول: (و عند وصول جرج «حلقة الوصل المفترضة بين الفرنج والمصريين» في هذه الدفعة الأخيرة رسولاً إلينا بزعمه ورد إلينا كتاب ممّن لا نرتاب به من قومه يذكرون أنه رسول مخاتلة لا رسول مجاملة وحامل بلية لا حامل هدية فأوهمناه الإغفال عن التيقظ لكل ما يصدر منه وإليه. فتوصل مرة بالخروج ليلاً ومرة بالركوب إلى الكنيسة وغيرها نهاراً إلى الاجتماع بحاشية القصر وخدامه وبأمراء المصريين وجماعة من النصارى واليهود وكلابهم وكتّابهم، فدسسنا إليهم من طائفتهم من داخلهم فصار ينقل إلينا أخبارهم ويرفع إلينا أحوالهم ولما كثرت الأقوال قبضنا على جماعة مفسدة قد اشتملت على الاعتقادات المارقة والسرائر المنافقة فمنهم من أقر طائعا عند إحضاره ومنهم من

أقر بعد ضربه فانكشفت أمور أخر كانت مكتومة).

ويبقى السؤال عن (مصادر معلومات يوسف بن أيوب الموثوقة داخل دولة الفرنج) التي حذّرته من المؤامرة التي جاء جرج لتنفيذها، والتي تشير ضمن ما تشير إلى أن الاتصالات بين صلاح الدين والفرنج كانت قائمة على قدم وساق طيلة هذه الفترة وربما كان الأمر داخلا في إطار ما اصطلح على تسميته الآن (بالتعاون الأمني بين أجهزة الاستخبارات) الصليبية والأيوبية.

ونواصل النقل عن أبي شامة صاحب الروضتين (و لما صح الخبر وكان حكم الله أولى ما أُخذ به وتناصرت من أهل العلم الفتاوى وتوالت من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى. قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من الغلاة، الغواة، الدعاة إلى النار، الحاملين لأثقالهم وأثقال من أضلوه من الفجار وشنقوا على باب قصورهم وصلبوا على الجذوع المواجهة لدورهم **ووقع التتبع لأتباعهم وشردت طائفة الإسماعيلية ونفوا، (لاحظ) ونودي أن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر ورجال السودان إلى أقصى بلاد الصعيد** فأما من في القصر فقد وقعت الحوطة عليهم إلى أن ينكشف وجه رأي يمضي فيهم ولا رأي فوق رأي المولى. والله سبحانه مستخار وهو المستشار وعنده من أهل العلم من تُطيّب النفس بتقليده ورأى المملوك إخراجهم من القصر. فإنهم مهما بقوا فيه بقيت مادة لا تنحسر الأطماع عنها فإنه حبالة الضلالة منصوبة وبيعة للبدع محجوجة)[1].

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٦٥.

وهنا السؤال: ماذا يعرف رأينا العام عن هذه الحقائق والحوادث التاريخية البشعة وقيام يوسف بن أيوب البطل المغوار بتهجير الألوف من المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله؟؟.

ثم ينتقل الخطاب ليكشف لنا عن قوة انتشار التشيع داخل الأوساط الشعبية حيث يذكر (أن ثغر الإسكندرية على عموم مذهب السنة أسفر البحث فيه عن داعية خبيث يسمى (قديد القفاص) وأن المذكور مع خموله في الديار المصرية. قد فشت في الشام دعوته، وطبقت عقول أهل مصر فتنته وأن أرباب المعاش يحملون إليه جزءاً من كسبهم والنسوان يبعثن إليه شطراً وافياً من أموالهن ووُجِدَتْ في منزله بالإسكندرية عند القبض عليه كتب محررة فيها خلع العذار وصريح الكفر الذي ما عنه اعتذار وبالجملة فقد كفى الإسلام أمره وحاق به مكره وصرعه كفره)[1].

إن هذه الرسالة تمثل إقرارا بخريطة التوزيع الفكري داخل ربوع مصر وأن الإسكندرية التي اعتبرها يوسف بن أيوب معقلا من معاقل (السنة). أي استثناء من انتشار التشيع لأهل البيت قد فشت وانتشرت فيها دعوة الموالاة لأهل البيت عليهم السلام حيث لم يجد (ناصر السنة وقامع البدعة) بدا من استخدام وسيلته المفضلة ووسيلة من سبقوه ومن جاءوا بعده في الحوار الفكري إلا السيف البتار لقطع رقاب (الأشرار) وفتاوى شيوخ المضيرة جاهزة دائما أبدا لتقتل بسمها الزعاف كل من يخرج على مذهب السلطان الذي هو دائما على حق

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٦٦.

وهو (السنة والجماعة) بدءاً من ابن أبي سفيان وصولاً إلى صدام حسين التكريتي ومروراً بيوسف بن أيوب التكريتي.

أجهزة الأمن الأيوبية تصادر الكتب الشيعية!!

ما أشبه تلك الواقعة التي رواها أبو شامة نقلا عن البيان الرسمي الصادر من أجهزة القمع (الأمن) الأيوبية بما جرى علينا في بيوتنا ورأيناه بأم أعيننا!!

ففي كل مرة كانت تأتي الأجهزة للقبض علينا بتهمة التشيع (لأهل البيت عليهم السلام) كانت تستولي على كل ما يمكن حمله من الكتب (**المحررة التي فيها خلع العذار وصريح الكفر الذي ليس منه اعتذار!!!**) تماماً كما فعلت أجهزة المماليك الأيوبية قبل سبعمائة عام. وكأنّ العالم كله يسير إلى الأمام. أما نحن فنأبى إلاّ السير إلى الخلف والتمسك بكل ما يوجب الدمار والشقاء من قمع لحرية الفكر وقهر لحرية الرأي (التي ليس عنها غنى وليس من دونها بد!!) لأنها وحدها القادرة على تسخير كل الطاقات والإمكانات في خدمة أمة.

لا إله إلا الله وليس أولئك المستبدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون!!!.

صحيح أن الظروف قد تغيرت وأصبحت أقل سوءاً ولكن كيف نفسر أن ملاحقة الكتاب الشيعي ما زالت حتى هذه اللحظة خطا ثابتا نراه في كثير من بلدان العالم العربي. فكيف يفكر هؤلاء بعد كل الذي جرى؟؟.

لماذا صلب الشاعر الفقيه عمارة؟

أمّا السبب الرسمي فمعلوم، وهو إدراج اسمه في لائحة المتآمرين على أمن الدولة الأيوبية الصلاحية. وأما السبب الحقيقي

فهو نفس السبب الذي أدى إلى إعدام (قديد القفاص) داعية الإسكندرية ومصادرة كتبه وإحراقها وهو البقاء على ولائه (لأهل البيت) وللدولة الفاطمية وهو ما صرح به أبو شامة عندما ذكر قصيدته الطويلة التي يترّحم فيها على هذه الدولة وأمرائها حيث يقول: (وهذه القصيدة تحقق ما رمي به من الاجتماع على مكاتبة الفرنج والخوض في فساد الدولة بل الملة وتوضح عذر السلطان في قتله وقتل من شاركه في ذلك)[١].

ودونكم القصيدة. وحاوِلوا معي العثور على أدلة الخيانة والعمالة الفرنج غير هذا البيت الذي قال فيه الشاعر الشهيد: (ماذا عسى كانت الفرنج فاعلة في نسل آل أمير المؤمنين علي).

والغريب أن من أمعنوا في قتل شيعة (أهل البيت عليهم السلام) وألصقوا بهم تهمة الخيانة استناداً إلى هذه الكلمات والذين هلّلوا من قبل وما زالوا يهلّلون ويطالبون بالتخلص من الشيعة قد انتهت بهم الرحلة مهاجرين، يبحثون عن حق اللجوء السياسي في بلاد الفرنج. والمضحك أنّ بعضَهم يسعى لإقامة الخلافة انطلاقا من لندن عاصمة الفرنج هرباً من الاضطهاد والظلم الذي يلاحقهم في دولة الخلافة الأيوبية التي أسسها الناصر صلاح الدين وبقية العبيد ممن كانوا على شاكلته ومع ذلك فهذا البيت كان هو دليل الإدانة (الدامغ) من قبل بني أيوب خلفاء بني أمية أو كما قال أبو شامة!!!.

القصيدة:

رميتَ يادهر كفّ المجد بالشَلَلِ وجيدَهُ بعد حسُن الحلي بالعَطلِ

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٦٦.

سِعيتَ في منهج الرأي العثور فإنْ قَدَرْتَ من عثرات الدهر فاستقلِ
جدعتَ مارنِك الأقنى فأنفك لا ينفكُّ ما بين قرع السن والخَجَل
هدمتَ قاعدةَ المعروف عن عَجَل سعيتَ مهلا أما تمشي على مهل؟
لهفي ولهف بني الآمال قاطبةً على فجيعتها في أكرم الدول
قدمتُ مصر فأولتني خلائفها من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما رأس الحصان يهاديه على الكفلِ
ونلت من عظماء الجيش مكرمةً وخلة حرست من عارض الخللِ
ياعاذلي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة إن قصرت في عذلي
بالله در ساحة القصرين وابك معي عليها لا على صفين والجمل
وقل لأهليهما والله ما التحمت فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل
ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلةً في نسل آل أمير المؤمنين علي؟
هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما ملكتم بين حكم السبي والنقل؟
وقد حصلتم عليها واسم جدكم محمد) وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والأركان خاليةً من الوفود وكانت قُبلة القبلِ
فملت عنها بوجهي خوف منتقدٍ من الأعادي ووجه الوّد لم يملِ
أسلتُ من أسفي دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكي على ما تراءت من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحل
دارُ الضيافة كانت أنس وافدكم واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
وكسوةُ الناس في الفصلين قد درست ورث منها جديد عندهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليج لكم يأتي تجمّلكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والأرض تهتز في يوم الغدير كما يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض في وشي وفي شيةٍ مثل العرائس في حلي وفي حلل
ولا حملتم قرى الأضياف من سعة الأطباق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم حتى عممتم به الأقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذي عظمت منه الصلات لأهل الأرض والدول
وللجوامع من إحسانكم نِعَمَ لمن تصدر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغِضَكم ولا نجا من عذاب الله غير ولي
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت من خان عهد الإمام العاضد بن علي
أئمتي وهداتي والذخيرة لي إذا ارتهنت بما قدمت من عملي
تالله لم أوفهم في المدح حقهم لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الأقوال واتسعت ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث إن ربت الأنواء في المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم من محض خالص نور الله لم يفل
والله ما زلت عن حبي لهم أبدا ما أخر الله لي في مدة الأجل

إنها من دون شك قصيدة أراد صاحبها أن ينال بها شرف الشهادة حيث يصف فيها يوسف بن أيوب بصفته الحقيقية (و لا رأى جنة الله التي خلقت من خان عهد الإمام العاضد بن علي) ناهيك عن وصفه للدولة الراحلة بالتسامح والسخاء على عموم أهل العلم والفضل من دون تمييز بين الناس بسبب اختلاف الدين أو اختلاف المذهب.

وما خصصتم ببر أهل ملتكم حتى عممتم به الأقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل.

والشاهد أن تواتر أشعار عمارة في التظلم مما لحق به وبغيره من الموالين للبيت الفاطمي من دولة يوسف بن أيوب هي المبرر الحقيقي الذي دعا (ناصر السنة وقامع البدعة) لقطع رقبته تخلصا من لسان شاعر موهوب، نجح في التعبير عن آلام الأمة وأوجاعها حين التزم الباقون الصمت أو النفاق أو التحريض على قتل الفاطميين وسلب قصورهم ووضعهم في السجون مقيدين بالأغلال من دون أي مبرر منطقي أو أخلاقي سوى الانتقام والتشفي حيث يقول في إحداها:

ملوك رعوا لي حرمة صار نبتها هشيماً رعته النائبات وما رعي
مذاهبُهم في الجود مذهب سنّة وإن خالفوني باعتقاد التشيع
فقل لصلاح الدين والعدل شأنه من الحاكم المصغي لي فأدعي
أقمت لكم ضيفا ثلاثة أشهر أقول لصدري كلما ضاق وسّع
فيا راعي الإسلام كيف تركتنا فريقي ضياع من عرايا وجوّع

وفي قصيدة أخرى يكشف الشاعر عن سياسة التجويع والإذلال المقصودة للموالين للفاطميين حيث يقول:

هل تأذنون لمن أراد عتابكم أم ليس في إعتابكم من مطمعٌ
ضيعّتم من حق ضيفكم الذي ما زال قبل اليوم غير مَضيّعِ
وتغافل السلطان عني حين لم أكشف قناع مذلة وتضرع
وإذا نطاق الرزق ضاق مجاله أمسى مجال النطق غير موسع

ثم يعتب على صلاح الدين بقوله:

قد صارت الدنيا إليكم بأسرها فلا تشبعوا منها ونحن جياع

إذا لم تزيدونا فكونوا كمن مضى ففي الناس أخبار لهم وسماع
وليس على مر العظام إقامة فهل في ضروع المكرمات رضاع

صلاح الدين يوسف بن أيوب والعمالة للإفرنج

قلنا من قبل عندما تحدثنا عن المؤامرة المزعومة المنسوبة إلى جماعة الوجهاء الفاطميين أن الرسالة المذكورة تثبت وجود قنوات اتصال سرية بين يوسف بن أيوب والصليبيين وهناك دليل إضافي حول هذا الأمر هو الخلاف الحاصل بين صلاح الدين وسيده نور الدين الذي مات (فجأة) قبل أن ينفذ ما عزم عليه من القدوم إلى مصر وانتزاعها من يد يوسف بن أيوب.

قال ابن شداد: (وكانت وفاة نور الدين بسبب خوانيق اعترته عجز الأطباء عن علاجها ولقد حكى لي صلاح الدين: كان يبلغنا عن نور الدين أنه ربما قصدنا بالديار المصرية وكانت جماعة أصحابنا يشيرون أن نكاشف ونخالف ونشق عصاه ونلقى عسكره بمصاف يرده إذا تحقق قصده قال: وكنت وحدي أخالفهم وأقول لا يجوز شيئاً من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته رحمه الله تعالى ورضي عنه)[١].

قال ابن الأثير: (و كان نور الدين قد شرع بتجهيز السير إلى مصر لأخذها من صلاح الدين، لأنه رأى منه فتوراً في غزو الفرنج من ناحيته فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج ليسير هو بجيشه إلى مصر.

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٨١.

وكان المانع لصلاح الدين من الغزو هو الخوف من نور الدين فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عنه الفرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم، وكان نور الدين لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهده وطاقته فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه تجهز بالمسير إليه فأتاه أمر الله الذي لا يرد)[١].

ولا شك أن يوسف بن أيوب كونه من (أولياء الله الصالحين) ممن كشف عنهم الغطاء كان عالماً (بأن أمر الله الذي لا يرد) قد دنا من سيده ومولاه نور الدين محمود آقا سنقر. بالرغم من أنه قبل (موته الفجائي) كان في أتم صحة وعافية يلعب الكرة من فوق الخيول تماماً مثلما لم تدم وزارة عمه أسد الدين سوى عامين لتأتي نفس الخوانيق لتقضي عليه وتفسح المجال للناصر صلاح الدين ليعتلي كرسي الوزارة في قاهرة المعز حتى يتمكن من التهام كل شيء وكما قال معلمهم الأول ابن آكلة الأكباد (إن لله جنودا في العسل)[٢]. وسنرى بعد فترة كيف أن يوسف بن أيوب قد استخدم هذا السلاح.

أما ادعاء الخيانة على الآخرين بمكاتبة الفرنج فتهمة (إن صحت) يشترك فيها الجميع وهو الذي كان على وشك محاربة سيده ومولاه نور الدين بسبب رغبة الأخير في دخول حرب معهم، تلك الرغبة التي لم يرّحب بها صلاح الدين لأنها تهدد بضياع الكرسي وهو لم يكن راغبا على الإطلاق في تعريض هذا الكرسي لأي خطر من هنا أو من هناك.

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٥٨٢.

(٢) معاوية بن أبي سفيان.

أنها (الوحدة الإسلامية) حول الكرسي وليست حول الإسلام أو المبادئ السامية للدين، تلك الوحدة التي تبشرنا بها أبواق الدعاية الأيوبية المملوكية التي ما زالت فاعلة حتى الآن والتي يريد هؤلاء أن تجند الأمة طاقاتها الفكرية والثقافية حولها طمعاً في ظهور مهديهم المنتظر يوسف بن أيوب التكريتي.

خلاف مذهبي أم صراع على الكرسي؟

عجيب أمر هؤلاء البشر الذين لا يكفون عن تزكية أنفسهم ومدحها ومدح كل من ينتهج هذا النهج المخالف لأبسط قواعد السلوك الإنساني. رافعين شعار ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[(١)].

عجيب أمر هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا من منهجهم السياسي التسلطي القائم على عمود واحد هو إقصاء السائرين على (نهج محمد وآل محمد) نظاماً كونياً تسير عليه الدنيا كل الدنيا، لأنه من وجهة نظرهم هو (السنة والجماعة الفرقة الوحيدة الناجية ومن عداها في النار).

عجيب أمر هؤلاء البشر لأنهم يقدّمون للناس وصفة تقوم على إقصاء غيرهم إن لم يكن سلماً وإذعانا فحرباً وإعداماً وصلباً وإحراقاً وتجويعا!

فهل تأمّل هؤلاء في ذلك المنطق المعوج القائم على القتل والإكراه والتجويع. إذ لو كان حقاً لما احتاج لكل هذه الأنهار من الدماء ومئات الآلاف من المنفيين إلى أقاصي الصعيد وبلاد الهند

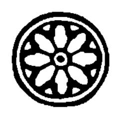
---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٦.

والسند، وكيف يمكن لنا أن نصدق أن تلك المنهجية البائسة وحدها هي القادرة على إقامة صحيح الدين؟ بينما أقام الفاطميون دولتهم على أساس التسامح وجاءوا بعمارة اليمني المتفقه على المذهب الشافعي. ويوسف بن أيوب الذي غدر بهم وفجر ثم أعلن بلا حياء ولا مواربة أنه كان بين إثمين أيسرهما الحنث بما أقسم عليه والتزم به من السمع والطاعة لمن جاءوا به وانعموا عليه وأعطوه مفاتيح القوة والسلطة والثروة. ثم يأتي شيوخ المضيرة ممن يسمونهم (بالفقهاء) يستحثونه على سفك دماء من أنعموا عليه بالأمس القريب.

فأين العفو عند (المقدرة) وأين التسامح المذهبي وأين وأين؟؟!

لا تحاول أن تسأل لأنك لن تحصل على إجابة شافية سوى ذلك الصراخ والحثّ على القتل وسفك الدماء قديماً وحديثاً وتلك الأيام نداولها بين الناس.



العلاقة بين السلطة ووعاظ السلطة

من الزواج الدائم إلى الانفصال الدائم إلى الحريق الأخير الذي سيلتهم الجميع.

المتأمل لذلك التاريخ المخجل يجد بصمات وعاظ السلطة واضحة جلية في كل تلك المصائب والنكبات التي لحقت بأمة (لا إله إلا الله). بدءاً من ذلك الشيخ اللص الملقب بالقاضي الفاضل الذي قام بعملية سطو محبوكة على ذخائر المكتبة الفاطمية وقام بإفساد عدد لا يستهان به من كنوز التراث ليشتريها بعد ذلك (روبابيكيا) بالبخس والوكس.

وبالطبع لم نسمع له صوتا مطالباً بمنع تلك المهزلة بل على العكس يمكننا أن نفترض في تلك الأجواء الهيستيرية أنه كان من المطالبين بتدمير تلك المكتبة والتخلص منها ومما فيها من عقائد فاسدة وأفكار منحرفة وهو نفس الدور الذي يقوم به أحفادهم في مصادرة كتب (أهل البيت) ومنع تداولها داخل مصر باعتبارها رجس من عمل الشيطان ينبغي تحصين عقول الأمة منه!!.

وهناك.. ذلك الشيخ الجاسوس (ابن نجا) الذي أبلغ عن خطة الانقلاب المزعومة وربما تلفيقها في مقابل الاستيلاء على ممتلكات وأموال أحد الضحايا.

وأخيراً فهناك ما كشف عنه يوسف بن أيوب من تمالئ وعاظ

السوء من أجل قتل هؤلاء المساكين حيث (تناصرت من أهل العلم الفتاوى وتوالت من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى حتى قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من الغلاة الغواة)[١].

وهناك أيضاً ذلك الشيء المسمى بالعلاّمة (تاج الدين الكندي)، الذي كتب شعراً ركيكاً يمدح فيه قتل وصلب الفقيه (عمارة) بقوله:

عمارة في الإسلام أبدى جنايةً وبايع فيها بيعة وصليبا
وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد فأصبح في حب الصليب صليبا
سيلقى غدا ما كان يسعى لأجله ويسقى صديدا في لظى وصليبا

إنه إذن مذهب السلطة وسلطة المذهب الواحد الذي لا يحتمل رأيا مخالفاً حيث اجتمع السيف والفتوى في سياق تاريخي واحد حتى وقع المحظور.

فمتى وكيف وقع المحظور؟؟؟

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٢].

سقطت الخلافة العثمانية هذه المرة أوائل القرن العشرين بعد ما يقارب الستمائة عام من تلك المجازر والأهوال.. وأغلب أيامنا وتاريخنا هو مجازر وأهوال.

كان من بين أسباب تعجيل السقوط النهائي وليس السقوط نفسه

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية).

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

هو ذلك التحالف الذي أبرم بين محمد عبد الوهاب وآل سعود، التحالف الذي نقل وعاظ السلاطين! ممن كانوا على شاكلة القاضي الفاضل. وهؤلاء هم الذين سارعوا بإرسال الفتاوى وبرقيات التأييد ليوسف بن أيوب في حملته التترية على الشيعة والدولة الفاطمية من درجة الرجل (الثاني/الظل) إلى درجة (الرجل الثاني المشارك في السلطة) مما أغرى غيره وتحديداً مؤسس (جماعة الإخوان المسلمين) أن يحاول التقدم إلى مرتبة الرجل الأول بلا منازع وأنْ يُعيّن نفسه خليفة للمسلمين ليوحد الديني السلطوي مرة ثانية. مؤسّساً لما سمي بعد ذلك بتيار (الإسلام السياسي) وهي تسمية غير صحيحة على الإطلاق، إذ كان يمكن تسميته (بصورة تقريبية أيضاً) (تيار أهل السنة السياسي) وهو ما أدى سريعاً إلى اشتعال الصراع بين السلطة ورجال الصف الثاني الذين كان ينبغي عليهم البقاء في ذلك المكان. إذ أن خروجهم منه ومحاولة التقدم للصف الأول يعني القضاء على الفريقين معا في حريق واحد لا يمكن تلافيه ولا الحيلولة دون وقوعه.

وزاد الطين بلة عندما خرج الأمر من يد أصحاب الفكرة الأولين، وامتد الحريق إلى شتى بقاع العالم وصولاً إلى أبراج نيويورك الشهيرة يوم الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وعندها تحول الأمر من صراع ذو بعد محلي يمكن تداركه بالصلح بين الفريقين وإقناع رجال الصف الثاني بالعودة إلى مواقعهم الأصلية إلى صراع عالمي أضحى فيه رجال السلطة في موقع المأمور بدلاً من موقع الآمر الذي احتفظوا به طيلة هذه العقود.

وهكذا اكتشف أحفاد القاضي الفاضل (لص الكتب) وأحفاد الفقيه الواعظ الجاسوس زين الدين على بن نجا أنهم راحوا ضحية

الدعاية التي بثوها في الآفاق طيلة العقود الأخيرة عن اضطهاد نظم الحكم في العالم الإسلامي لهم، بالرغم من أن هذه النظم هي التي حافظت على وجودهم طيلة هذه الفترات والعقود والقرون في إطار صفقة متبادلة قوامها (الشرعية للنظم في مقابل حماية مذهبهم والعكس صحيحاً) وأخيراً اكتشفوا أن هذه النظم لم تعد قادرة على حمايتهم، تلك الحماية التي كانت السبب الأساس وراء وجودهم وتسيدهم الساحة طيلة هذه القرون ولكن بعد فوات الأوان. إذ لم يعد من الممكن أن تعود الأمور إلى مجاريها حيث يفتي القاضي (الفاضل) بالإعدام لينفذ التكريتي يوسف بن أيوب أو التكريتي صدام حسين. (ولات حين مناص).

لقد تسلط وهم الرغبة في استقلال مستحيل على نفوس أبناء تلك الجماعات المحاربة مما أدى إلى انقسام طبقة وعاظ السلاطين المنظّرين إلى فرقتين رئيسيتين:

الأولى: أقل حجما ولكنها ذات نفوذ معتبر وهي طبقة رجال الدين الرسميين، وهي لا تختلف اختلافاً كبيراً في مضمون الفكر والفقه الذي تحمله عن الفكر الذي يحمله الجماعاتيون غير الرسميين.

والطبقة الثانية: هي طبقة الجماعاتيين الأوسع انتشاراً والأكبر حجماً إلا أنها لا تستطيع ولا تقدر على إعلان استقلالها بصورة كاملة عن الفئة الأولى. إلا أن هذا الانقسام الذي أسّس له مرشد الإخوان الأول قد أضعف الجميع الرسميين وغير الرسميين، ناهيك عن فئة الحكام التي عانت من سلوك هؤلاء مثلما عانوا هم من بطشها وتسلطها، البطش الذي كان دائماً من حظ الشيعة وحدهم فليتوجه هؤلاء بالشكر والثناء لحسن البنا مؤسس الإخوان!!.

صلاح الدين يتوجه للاستيلاء على السلطة في دمشق بعد هلاك نور الدين:

مات نور الدين محمود (بالخوانيق التابعة لصلاح الدين!!) عام ٥٦٩ هـ وجلس ابنه الملك الصالح إسماعيل مكانه، وخُلف له ولم يبلغ الحُلُم. وأقام بدمشق وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن المقدم!!!.

ولما بلغ الخبر إلى صلاح الدين بواسطة (العدو الفرنجي اللعين!!!!) سارع بإرسال رسالة التعزية المعهودة مثلما (جلس للتعزية في الخليفة العاضد وسار في جنازته) مبدياً فروض الطاعة والولاء ومبديا استعداده لإرسال قواته لتكون (نصرة لهذا الولد على من ناواه وسيف على من عاداه)[١].

بدأت الأمور في الشام في الاضطراب وبدأ يوسف بن أيوب في تلمس المداخل للاستيلاء على مقر القيادة النورية التي ضعفت كثيرا خاصة مع وجود ذلك الصبي في موقع القيادة وكانت أول تلك المزايدات عندما نزل الإفرنج إلى ساحل بانياس فخرج شمس الدين وراسلهم وهددهم بالاستعانة بصلاح الدين فقبلوا بالهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين. فلم يعجبه ذلك. وكتب إلى جماعة الأعيان بالتوبيخ والملام على أهل الشام لأنهم قبلوا بالهدنة (المذلة) في حين انه تجهز للحرب والقتال!![٢].

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٨٧.

(٢) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٨٩.

عجيب أمر هذا الأيوبي صلاح فهو الذي تثاقل عن نصرة سيده نور الدين في مواجهة الفرنج خوفاً على ملكه الزائل في مصر، ثم بعد أن هلك ذلك السيد تراه يسعى للمواجهة التي ستعطيه الفرصة لدخول دمشق دخول الفاتحين.

أمّا بقية أمراء نور الدين العارفين بصلاح الدين فقد رفضوا دعوته (لأنه أقوى منا.. لأن له مثل مصر وربما أخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح وهو ما لا يوافق أغراضهم فخافوا أن يدخل صلاح الدين ويخرجوا)[١].

ثم تمرّد سيف الدين وابن عمه قطب الدين على الملك الصالح واستولى على البلاد الجزرية (الجزيرة هي بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات). فوجد يوسف بن أيوب في ذلك الفرصة الملائمة فكتب إلى الأمراء قائلا: (لو أن الملك العادل علم فيكم من يقوم مقامي أو يثق إليه مثل ثقتي لسلم إليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلى أحد بتربية ولده والقيام بخدمته سواي، وأراكم قد تفردتم بخدمة مولاي وابن مولاي دوني فسوف أصل إلى خدمته وأجازي إنعام والده بخدمة يظهر أثرها وأقابل كلا منكم على سوء صنيعه وإهمال أمر الملك الصالح حتى أخذت بلاده)[٢]!!!.

وسنرى بعد قليل كيف قام يوسف بن أيوب برد جميل الملك العادل نور الدين عندما سعت بناته عنده من أجل الصلح.

تحوّل الملك الطفل إلى رهينة يتلاعب بها هؤلاء المرتزقة

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٥٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص٥٩٠.

والمماليك وكلهم يسعى لاختطافه (رعايته) ليظفر بغنيمة السلطة والثروة (فأقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الأمراء لم يمكنوه من المسير إلى حلب لئلا يغلبهم عليه شمس الدين بن الداية. فإنه كان أكبر الأمراء النورية وإنما تأخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه، وكان هو وأخوته بحلب وأمرها إليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة أرسل إلى أمراء الملك الصالح يدعوه إلى حلب ليمنع البلاد من سيف الدين ابن عمه وأرسل إلى الأمراء يقول لهم: إن لم ترسلوا الملك الصالح إلى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما أخذ منهم وإلا عبر سيف الدين الفرات إلى حلب ولا نقوى على منعه فلم يرسلوه ولا مكنوه من قصد حلب)[١].

الانقضاض على شمس الدين ابن الداية.

وخلاصة القول: أن المعسكر النوري الكائن في دمشق قد افترق شيعا وأحزاباً. منهم من يريد المُلك لنفسه ومنهم من لا يهدف إلا للاستمرار والبقاء. ثم انقض القوم على شمس الدين ابن الداية وكان أخاً لنور الدين في الرضاعة فاتفق القوم على نقل الملك الطفل الذي تحول إلى رهينة في أيديهم من دمشق إلى حلب (وكان هذا المخطط بقيادة الخصي سعد الدين كمشتكين) وفور وصولها إلى حلب ألقي القبض على شمس الدين وأخوته الثلاثة حيث ألقوا في السجون مصفدين وصودرت كل أملاكهم أما ابن الخشاب مقدم الشيعة فسفكوا دمه على الفور.

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٥٩٠.

أما صلاح الدين الأيوبي الراغب في الوصول إلى دمشق والإمساك بمقاليد السلطة فيها فكتب إلى ابن المقدم (ينكر عليه ما أقدموا عليه من تفريق الكلمة وكيف اجترءوا على أعضاء الدولة وأركانها بل وأهلها وإخوانها وأنه يلزمه أمرهم وأمرها ويضره ضرها وضرهم).

ففهم ابن المقدم ما يرمي إليه يوسف بن أيوب فكتب إليه يردعه عن هذه العزيمة قائلاً: **(لا يقال عنك إنك طمعت في بيت من غرسك ورباك وأسسك وأصفى مشربك وأضفى ملبسك وأجلى سكونك لملك مصر وفي دسته أجلسك فما يليق بمالك ومحاسن أخلاقك وخلالك غير فضلك وأفضالك)**[(١)].

جاء الرد من يوسف بن أيوب رافعاً راية التحدي حيث قال: (إنّا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم وألفّ كلمتهم وللبيت الأتابكي أعلاه الله تعالى إلا ما حفظ أصله وفرعه ودفع ضره وجلب نفعه. فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة والمحبة إنما تظهر آثارها عند تكاثر أطماع العداة. وبالجملة فإنّا في وادٍ والظانون بنا ظن السوء في وادٍ. ولنا من الصلاح مراد ولن يبعدنا عنه مراد. ولا يقال لمن طلب الصلاح إنك قادح ولمن ألقى السلاح إنك جارح)[(٢)].

حملة صليبية جديدة على مصر:

ثم هاجم الفرنج مصر في ثلاثين ألف مقاتلاً نزلوا إلى شواطئ

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٥٩٧.
(٢) المصدر السابق: ص٥٩٨.

الإسكندرية في ذي الحجة عام ٥٦٩هـ وانهزموا في المحرم من عام ٥٧٠هـ مما أدى إلى تأخير التحرك الصلاحي للاستيلاء على ملك الشام.

ثورة الكنز: ثورة شيعية في الجنوب المصري جرى قمعها بواسطة مرتزقة آل أيوب:

روى أبو شامة نقلا عن ابن شداد: (الكنز إنسان مقدم من المصريين كان قد نزح إلى أسوان وأقام بها ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليه ويخيل لهم أنه يملك البلاد ويعيد الدولة المصرية **وكان في قلوب القوم من المهاواة للمصريين** ما تستصغر هذه الأفعال عنده. فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر من السودان وقصد قوص وأعمالها. فانتهى خبره إلى صلاح الدين فجرد له عسكراً عظيماً شاكين السلاح من الذين ذاقوا حلاوة ملك الديار المصرية وخافوا فوت ذلك منهم وقدم عليهم أخوه سيف الدين حتى لقي القوم فكسرهم وقتل منهم خلقاً عظيماً واستأصل شأفتهم وأخمد ثائرتهم.

أما مدينة طود فاحتمت عليهم فأسرعت فيها البلية وأتى السيف على أهلها وباءت بعد عزها بذلها)[1].

التشيع لأهل البيت عنوان الهوية الوطنية المصرية:

المتأمل لهذه الروايات يلاحظ اقتران اسم الشيعة المعارضين لمماليك آل أيوب بن شاذي ولا شيء باسم (المصريين). فالمصريون قد ثاروا، والمصريون قد خرجوا بما يثبت بما لا يدع

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٦٠٢.

مجالا للشك أن الولاء للدولة الفاطمية قد بقي على حاله بل وقد بقي هذا الانتماء رمزا للوطنية والأصالة. بينما بقي عنوان هؤلاء المماليك ووصفهم من قبل المصريين حتى يومنا هذا (الغز) أي الغزاة الأغراب. ودع عنك أفلام يوسف شاهين في فترة جمال عبد الناصر الذي أراد أن يجعل من الكردي صلاح رمزاً للعروبة والإسلام وتوحيد مصر وسوريا إلى آخر تلك الخزعبلات القومية الهيروقراطية التي لم يكن لها علاقة بالواقع التاريخي من قريب أو بعيد باستثناء واقعة حطين.

تلك الأساليب الدعائية الغوغائية التي انتهت بالعرب والمسلمين إلى ضياع القدس عام ١٩٦٧م للميلاد بسبب ذلك (الفكر البزرميط) الذي كان تطبيقاً دقيقاً لمبدأ العك واللك. ومحاولة جمع القومي والديني واليساري المتطرف واليميني الأكثر تطرفاً في إناء واحد بقيادة بطل القومية العربية التكريتي الكردي يوسف بن أيوب ثم تقديمه باعتبار كل هذا طبقاً من الحلوى!.

الشيء الثابت أن التشيع والانتماء إلى الدولة الفاطمية كانا عنوان الانتماء للهوية المصرية في مواجهة الغزو المملوكي الكردي.

والأطرف من هذا هو ما صرح به رجل الإعلام الأيوبي أبو شامة من أن هؤلاء المماليك المرتزقة إنما كانوا يقاتلون من أجل أموال مصر التي ذاقوا حلاوتها ولم يعد بوسعهم تركها والعودة من حيث أتوا.

أما عن هوية يوسف ابن أيوب الكردية فهي ليست طعْناً في حد ذاتها. ولكن ما هو المبرّر لتحويل الكردي المطالب بالاستقلال عن العالم العربي إلى الآن والمصرّ على عدم الذوبان اللغوي في محيطه

العربي بطلا للقومية العربية وموحداً للعالم العربي!! أليست هذه نكتة سمجة؟؟.

ثورة شيعية أخرى عام ٥٨٤ هـ:

قال ابن الأثير: في هذه السنة (ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلاً ليلاً ونادوا بشعار العلويين يا آل علي وسلكوا الدروب ظناً منهم أن رعية البلد يلبّون دعوتهم ويخرجون معهم. فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من كان بالقصر محبوساً منهم ويملكون البلاد فلم يلتفت أحد منهم إليهم ولا أعارهم سمعه. فلما رأوا ذلك تفرقوا خائفين فأُخذوا.

وكتبُ بذلك إلى صلاح الدين فأهمه أمرهم وأزعجه. فدخل عليه القاضي الفاضل فأخبره الخبر فقال له: ينبغي لك أن تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتم حيث علمت من بواطن رعيتك المحبة لك والنصح. ولترك الميل إلى عدوك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن أصحابك ورعيتك وخسرت الأموال الجليلة عليهم لكان قليلا فسري عنه)(١).

والواقع أن السيد صلاح الدين كان محقاً في اضطرابه وقلقه لعلمه بأن النار كانت باقية تحت الرماد تبحث عمن يذكي جذوتها أما عدم حدوث استجابة كافية لهؤلاء الثوار فأمر ليس بالغريب فضلا عن أنه ليس دالا على الإطلاق لا على شعبية السيد صلاح ولا انعدام وجود مؤيدين للدولة العلوية التي أزيلت لصالح الدولة التكريتية وقصارى ما يدل عليه هو تخاذل البعض أو عدم اعتقادهم بجدوى

---

(١) الكامل في التاريخ/ج١٩، ص١٧٧.

مثل هذا التحرك. سواء على مستوى الإعداد أو الظروف الملائمة لنجاح هذه الثورة. والتاريخ الشيعي القديم والمعاصر حافل بهذا النوع من التحركات والثورات التي نجح الأيوبيون التكريتيون القدامى والجدد في إخمادها والقضاء عليها بالحديد والنار. بل وبقصف المراقد الطاهرة (لأهل البيت) بالمدفعية والدبابات.

والخلاصة أن التشيع في مصر لم ينته بانتهاء الدولة الفاطمية كما أنه لم يأت إلى مصر صحبة الراكب كما يقولون.

التحرك نحو دمشق:

أخيراً وجد يوسف بن أيوب الفرصة للتحرك من أجل الاستيلاء على دمشق والشام (وعرض دون الدخول عدد من الرجال دعستهم عساكرنا المنصورة وصدمتهم وعرفتهم كيف يكون اللقاء وعلمتهم ودخلنا البلد واستقرت بنا الدار...).

قال القاضي ابن شداد: (لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين واختلفت كلمة أصحاب الملك الصالح واختلت تدبيراتهم وخاف بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقين ممن فعل ذلك وسبباً لتنفير قلوب الناس عن الصبي فاقتضى الحال أن كاتب ابن المقدم صلاح الدين وصل البلاد مطالباً بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى أمره ويرب حاله)[١].

قال ابن طي: (لما اتصل بمن في حلب حصول دمشق للملك الناصر وميل الناس إليه وانعكافهم عليه خافوا وأشفقوا وأجمعوا

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٦٠٤.

على مراسلته فكتبوا له رسالة قالوا له فيها هذه السيوف التي ملكّتك مصر بأيدينا والرماح التي حويت بها قصور المصريين على أكتافنا والرجال التي ردّت عنك تلك العساكر هي تردك وعمّا تصديت له تصدّك وأنت قد تعديت طورك وتجاوزت حدك وأنت أحد غلمان نور الدين وممن يجب عليه حفظه في ولده).

ولما ورد عليه ابن حسان حاملاً رسالة آل نور الدين ردّ عليه يوسف بن أيوب قائلا: «إنما جئت للشام لجمع كلمة الإسلام وحياطة الثغور....».

فقال له ابن حسان: (**إنك وردت لأخذ الملك لنفسك ونحن لا نطاوعك على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وفت الأكباد وإيتام الأولاد.**

فتبسم السلطان لمقاله وتزايد في احتماله وأومأ إلى رجاله بإقامته من بين يديه بعد أن كاد يسطو عليه).

صلاح الدين يغزو بلاد الشام

كم هو مثير للشفقة والرثاء عندما تقرأ لأحفاد القاضي الفاضل والواعظ الجاسوس ابن نجا وهم يشيدون بتجربة صلاح الدين الوحدوية الإسلامية. وكيف أملّت الضرورة عليه أن يلتهم الرافضة نظرا لما يشكلونه من خطر على الإسلام والمسلمين ولولا افتراسه للشيعة لتمكن الفرنج من طعنه من الخلف. إلى آخر ذلك الكلام المخجل، الذي دأب هؤلاء على ترديده وتشنيف آذاننا به!!

واقرأ معي كيف سهلت قوات الفرنج الغاصبين مرور عدوهم اللدود الناصر صلاح الدين من بين أقدامهم دون أن يطلقوا عليه طلقة واحدة. وحاول أن تشرح لي كيف استكان هؤلاء أمام مخططات

ذلك الأسد الهصور. حيث يقول كاتبه المنافق: (و أما الفرنج فقد نزلنا في بلادهم نزول المتحكم وأقمنا به إقامة الحاضر المتخير وأدلجنا وعيونهم متناومة وحزناً وأنوفهم راغمة ووطئنا ورقابهم صغر..) أو كما قال رجل الإعلام الأيوبي الأمين(١).

وها هو يوسف بن أيوب يفتح صفحة توحيدية جديدة قوامها الإغارة على أهله في عقر دارهم (أهل السنة والجماعة الفرقة الوحيدة الناجية ومن عداها في النار) إلى آخر تلك الخرافات التي رضعها هؤلاء صغاراً وقضت على عقولهم كباراً.

أما عن مفهوم انوحدة التكريتية الأيوبية فهو لا يختلف عن مفهوم الوحدة التكريتية الصدامية المتمثلة في الغزو والسلب والضم والإخضاع وما غزو ذلك اللئيم لإيران ثم الكويت منكم ببعيد.

التحرك ناحية حمص:

نادى صلاح الدين في عساكره بالاستعداد لقصد الشام الأسفل ورحل متوجها إلى حمص فتسلم القلعة ولم ير تضييع الزمان فيها. فوكل بها من يحصرها ورحل إلى جهة حماة فلما وصل إلى الرستن خرج إليه أميرها عز الدين جرديك وسلمها إليه، وطلب منه أن يرسله سفيراً بينه وبين من بحلب، فسار إليها واجتمع بمن فيها من الأمراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة يوسف بن أيوب فاتهمه الأمراء بالتآمر مع صلاح الدين. وردوا مشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح وأصر (الخصي كمشتكين) على إلقاء القبض

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، الثورية والصلاحية)، ص٦٠٣.

عليه فأخذ وثقل بالحديد وأخذ بالعذاب الشديد وألقي في الجب الذي فيه أولاد الداية[١].

«وسار صلاح الدين إلى حلب وكان من بها يظنون أن السلطان لا يقدم عليهم. فما راعهم إلا والسلطان قد عسكر بقواته على مشارف مدينتهم، وأعلامه قد نشرت فخاف النوريون من قيام أهل حلب بتسليم مدينتهم إليه كما فعل أهل دمشق. فأرادوا تطييب قلوب العامة فأشير على ابن نور الدين أن يجمعهم في الميدان وأن يُقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بلسانه فقام بينهم قائلا: (يا أهل حلب أنا ربيبكم ونزيلكم واللاجئ إليكم. كبيركم عندي بمنزلة الأب وشابكم عندي بمنزلة الأخ، وصغيركم عندي يحل محل الولد) قال وخنقته العبرة وسبقته الدمعة وعلا نشيجه، فافتتن الناس وصاحوا صيحة واحدة ورموا بعمائمهم وضجوا بالبكاء والعويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد أبيك نقاتل بين يديك ونبذل أموالنا وأنفسنا لك وأقبلوا على الدعاء له والترحم على أبيه».

لم يكن لأهل حلب الشيعة من مطلب سوى حرية العبادة والعقيدة تلك الحرية التي حرموا منها طيلة الفترة السابقة **(وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح أن يعيد إليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وأن يُجهر (بحي على خير العمل) والأذان والتذكير في الأسواق وقدام الجنائز بأسماء (الأئمة الإثنا عشر) وأن يصلوا على أمواتهم خمس تكبيرات وأن تكون عقود الأنكحة إلى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسني وأن تكون**

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٦٠٨.

العصبية مرتفعة والناموس وازع لمن أراد الفتنة وأشياء كثيرة اقترحوها. مما كان أبطله نور الدين قال ابن أبي طي: فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره (بحي على خير العمل) وصلى أبي في الشرقية مسبلاً وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا في الأسواق وقدام الجنائز (أسماء الأئمة) وصلوا على الأموات خمس تكبيرات وأذن للشريف أن تكون عقود الحلبيين من (الإمامية) إليه وفعلوا جميع ما وقعت به الأيمان)[١].

تلك (المطالب) التي عز بها الدهر على شيعة (أهل البيت عليهم السلام) المظلومين أبد الدهر والذين جعل منهم ابن أبي سفيان وابن أيوب ونور الدين زنكي منهم هدفا دائما لسيوفهم يبتغون التقرب إلى (الله عز وجل) بهذه الجرائم التي سوغها لهم وأملاها لهم وعاظ السوء وخطباء الفتنة من الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وأي جريمة في أن يصلي الإنسان وفقاً لقواعد مذهبه وأي كارثة أن يرفع الأذان لله عز وجل مشفوعاً بوصف الصلاة بأنها خير العمل؟؟.

صلاح الدين يواصل شن الحروب والغارات وسفك الدماء من أجل تحقيق الوحدة؟؟!!.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٢].

---

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٦٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١.

كم هي منطبقة هذه الآية على هذا الأيوبي يوسف في سعيه وراء السلطة والهيمنة مهما كلفه هذا من إراقة دماء المسلمين؟

كان الشعار الذي رفعه يوسف بن أيوب لتبرير الانقضاض على الملك الصالح إسماعيل بن سيده نور الدين محمود ولي نعمته والذي اضطر للفرار من دمشق واللجوء إلى حلب هو (إطلاق سراح أبناء الداية من السجون وإصلاح شأنهم)، وهو الذي ادّعى أنه جاء إلى الشام من أجل (إصلاح شأن هذا الملك الصغير وتربيته).

فهل إصلاح شأن الملك الصغير يتحقق بإجباره على الهرب والفرار والاحتماء بحلب؟

وهكذا فقد اعتاد التكارتة على مدى التاريخ أن يغيّروا من شعاراتهم ومواقفهم وفقاً لمقتضيات المصلحة الآنية مهما كان التناقض الحاصل بين تلك الشعارات المرفوعة فعند هؤلاء دائما الغاية تبرر الوسيلة.

هناك دائماً فقهاء السوء ومثقفوا البونات والباحثون عن الثراء بأي ثمن والمستعدون للتهليل لكل صاحب سلطان في مقابل أموال السحت التي يقبضونها. تلك الأموال المقتطعة من قوت الشعوب الجائعة العارية.

ثم أقام يوسف بن أيوب محاصراً لحلب عدة شهور فلم يتمكن من دخولها ثم اضطر للعدول عنها والرحيل إلى حمص.

صلاح الدين واستخدام سلاح التكفير:

قلنا من قبل أن استخدام سلاح تكفير الشيعة والوقيعة في دينهم كان ولازال سلاح المنافقين والمتسلطين الأول في (مواجهة) أرادوها

أبدية ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾(١).

إنه سلاح فاسد ومحظور أخلاقياً على كل من تبقى له أثارة من علم أو من خلق والدليل على انحطاط هذا السلاح ولا أخلاقيته هو استخدامه ضد حلفاء الأمس القريب وشركاء المذهب الواحد فها هو يكتب عن الحلبيين: (و قد أعلمنا المجلس أن العدو خذله الله تعالى (الحلبيون) كانوا قد استنجدوا بصلبانهم واستطالوا على الإسلام بعدوانهم وأنه خرج إلى بلد حمص فوردنا حماة وأخذنا في ترتيب الأطلاب لطلبه ولقاه).

أي أن الأيوبي يوسف يريد أن يجعل من نفسه واسطة العقد والحد الفاصل بين الإيمان والكفر وبين العمالة والولاء لله ورسوله. فمن سلم له في أهوائه وأعانه على أطماعه فهو مسلم حسن الإيمان، صحيح العقيدة، سليم الجنان. وإن خالف مهما طال ما حالف فقد انتقل من الإسلام إلى الكفر ومن التوحيد إلى عبادة الصليب (وإنا لله وإنا إليه راجعون) في أمة تسلم أمرها للعبيد والخصيان وتجعل من موالاة هؤلاء الفارق بين الكفر والإيمان وحزب الله وحزب الشيطان. . . . .

يا أمة يقودها العبيد والخصيان!!

صلاح الدين وسياسة العقاب الجماعي:

في تلك الأثناء حاول بعض الشيعة الإسماعيلية قتل يوسف بن أيوب لكنّه نجا من تلك المحاولة. أن استقر له الأمر بالصلح مع

(١) سورة النمل، الآيتان: ٥٠ - ٥١.

(الحلبيين) عام ٥٧٢هـ قام بالهجوم على حصنهم في مصياف ونصب عليهم المجانيق الكبار وأوسعهم قتلاً وأسراً وساق أبقارهم وخرب ديارهم وهدم أعمارهم وهتك أستارهم حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماة وكانوا قد راسلوه في ذلك لأنهم جيرانه فرحل عنهم وقد انتقم منهم[١].

فجزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين وعن السنة المشرفة والله أكبر ولله الحمد وعاش صلاح الدين ناصر السنة وقامع البدعة!!!!.

صلاح الدين والحفاظ على استقلال الأمة:

ليس هناك خلاف على أهمية الحفاظ على استقلال الأمة وتحررها من الهيمنة الأجنبية ولكن الخلاف كان ولا زال حول الشروط اللازمة لتحقيق هذا التحرر والاستقلال وما هو المنطق الذي يبرر الجمع بين شن حروب الإبادة في الداخل والمواجهة مع القوى الطامعة في الخارج؟؟.

هذا من الناحية البراجماتية البحتة فالاقتتال الداخلي هو خصم أكيد من رصيد قوة الأمة ومنعتها. فما بالك إذا كان هذا الاحتراب ترسيخا للظلم ودفاعا عن الجور. والملك يدوم مع الكفر ولكنه لا يدوم مع الظلم ذلك الظلم الكفيل بتقويض دعائم الدولة والكفيل بتحويل أهلها إلى فريقين فريق مظلوم وناقم ومتمرد يحاول قدر استطاعته الفكاك من هذا الظلم والتخلص منه ولو بالهروب من هذا

(١) أبو شامة المقدسي/عن (الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية)، ص٦٦٩.

الوطن الذي كان من المفترض أن يكون الحصن والملجأ والملاذ فإذا به يتحول إلى سجن كبير أو مسلخ أكبر منه بينما باطن الأرض مقبرة جماعية.

هذا ما حدث في العراق حديثا وهذا ما حدث على يد الكردي التكريتي صلاح الدين. وأين العمل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

ناهيك عن الكارثة التي يحملها مدلول التوحيد العقائدي الذي يستخدمه البعض في تبرير الجرائم التي ارتكبها ابن أيوب وكأنّ الأمة قد انقسمت عقائديا كما انقسم الذين من قبلنا وكأن هناك صراع بين المسلمين على طبيعة (الرب) وهو ما لم يحدث بكل تأكيد.

أما أن يجتر بعض الشيوخ والمثقفين ما قاله بنو أمية من قبل وما يصدح به الوهابيون من أغاريد وأهازيج عن كفر الشيعة وانحراف عقيدتهم مما يعلم هؤلاء أنه محض خرافات فهذا مما لا يليق بهم. لأن الأمة لم تنقسم يوما عقائديا بل هو انقسام سياسي مفروض جرى ترسيخه بأساليب البطش والقمع التي أورَدَتْه دار البوار.

هذه واحدة. والثانية الأشد هولا: هو أن الدفاع عن وجود الأمة واستقلالها كان من المحتم له أن يبدأ من الحفاظ على مكتبة القصر بدلا من تدميرها وتبديدها، بما تحتويه من كنوز ومعارف في شتى مجالات العلم والمعرفة جرى تضييعها عمداً ومع سبق الإصرار

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

والترصد، لتعود الأمة بعد ذلك ومع بداية عصر النهضة أو محاولة النهضة قبل قرنين من الزمان أن تلحق بركاب العلم والتقدم وترسل بأبنائها لينهلوا من معارف الغرب، بعد أن قام الشرق بتبديد كنوزه ومعارفه ورجاله بواسطة قادة مثل صلاح الدين وصدام الدين هؤلاء القادة الذين لم يكن لهم من هم إلا قتل مخالفيهم في الرأي والمذهب وإبادة من يرفعون الأذان متضمنا (حي على خير العمل) وسط تهليل ومباركة المنافقين والمطبلين من أمثال أبي شامة المقدسي والقاضي اللص والواعظ الجاسوس، وأخيراً مثقفي البونات وحزب الكهرباء ومصدّري الصحف الأسبوعية وعبد الباري دولار ومناشدة الدكتور عمارة للناصر صلاح الدين أن يعود من جديد.

إذن... فنحن نؤرخ لكارثة حضارية ألحقها بنا هؤلاء الجهلة المستبدون وأزلامهم من المنافقين، المطبلين، المزمرين.

تلك الكارثة سهلت بعد ذلك على المحتلين الغزاة من البريطانيين والفرنسيين وأخيراً الأمريكان أن يتمكنوا من احتلال أمة عجزت أو جرى تعجيزها وتكسيحها عن ملاحقة ركب الحضارة والتقدم العلمي.

ثم يهتف هؤلاء المنافقون أين أنت يا صلاح الدين؟

«ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وقعة الرملة سنة ٥٧٣ هـ:

تقدم صلاح الدين بعسكره ناحية عسقلان في أرض فلسطين فكان أن وقع في كمين نصبه له الفرنج فقتل من رجاله الكثير وأسر

منهم العدد الكبير ونجح هو ومن بقي من رجاله في الإفلات والعودة إلى مصر.

صلاح الدين ومشروعه الفاشل للاستيلاء على الموصل:

لم تكن كل الغارات التي شنها يوسف بن أيوب على أقطار العالم الإسلامي ناجحة فقد قاومه الكثير من رجال الدولة النورية والحمد لله.

على أن المؤرخين المنافقين وأحفادهم من الإسلاميين المستنيرين لم يكتبوا شيئاً عن ملائكة قاتلت مع يوسف بن أيوب في غزواته وفتوحاته ضد المسلمين!!

من بين تلك الفتوحات التي سعى الرجل للقيام بها فتح الموصل. وفيها سادة الأمس وحلفاؤه من آل نور الدين محمود فلما وصل إلى (بلد) «أرسل أتابك عز الدين والدته إلى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود وغيرهما من النساء وجماعة من أعيان الدولة يطلبون منه المصالحة ظنا من أتابك عز الدين أنه لا يمكن أن يردّهن ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين فلما وصلن إليه استشار أصحابه في الأمر فأشار أكثرهم بالقبول، ورفض أحدهم قائلاً (مثل الموصل لا يترك لامرأة) فأخذ برأيه ورفض القبول منهن وقرر مواصلة المسير إلى الموصل وبذل العامة نفوسهم غيظاً وحنقا لردّه النساء فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه وندم على رده النساء ندامة الكسعى حيث فاته الذكر وملك البلاد وحضر عند صلاح الدين من أشار عليه بقطع دجلة عن الموصل إلى ناحية نينوى وقال: «إن دجلة إذا نقلت عن الموصل عطش أهلها فملكناها بغير قتال» فصدّقه صلاح الدين فعزم على ذلك ثم تبين له استحالة

تنفيذ هذا المشروع. فعدل عنه ثم رحل عن الموصل إلى ميافارقين فحاصرها ثم نجح عن طريق التآمر والخديعة في الاستيلاء عليها)[١].

من قتل ناصر الدين بن شيركوة؟؟.... صلاح الدين يستخدم (جنود الله المودعة في الخمر والعسل)

(... ثم عاد صلاح الدين إلى محاولة غزو الموصل وفي الطريق إليها مرض بحران واشتد مرضه حتى يئسوا من عافيته ولما كان مريضا بحران كان عنده ابن عمه ناصر الدين بن شيركوة وله من الإقطاع حمص والرحبة فسار من عنده وأحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد إليه إذا مات صلاح الدين وأقام بحمص ينتظر موته ليسير إلى دمشق فيملكها فعوفي.

بلغ الخبر إلى يوسف بن أيوب على جهته فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوة ليلة عيد الأضحى.. فإنه شرب الخمر فأكثر منه فأصبح ميتاً فذكروا (والعهدة عليهم) أن صلاح الدين وضع إنساناً يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سمّاً فلما أصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه فقيل له: أنه سار من ليلته إلى صلاح الدين مما قوى الظن به فلما توفي أعطي إقطاعه لولده شيركوة وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف ناصر الدين من الأموال والآلات شيئاً كثيراً فحضر صلاح الدين في حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك إلا ما لا خير فيه وبلغ أن شيركوة بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة

---

(١) الكامل لابن الأثير/ج ١٠ - ص ١٣٢.

فقال له: إلى أين بلغت في القرآن؟ فقال إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١] فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه[٢].

هل علمتم لماذا تساءلنا عن سبب الوفاة المباغتة للعم أسد الدين شيركوة الذي لم يطل به العمر في الوزارة أكثر من عامين ليسرع إليه الموت بالخوانيق ويخلي الطريق أمام نجم المماليك سريع الصعود يوسف بن أيوب؟؟.

وهل عرفتم سر تساؤلنا عن سبب وفاة نور الدين محمود سيده وولي نعمته في توقيت مثالي وملائم للناصر صلاح الدين؟ بينما كان الرجل في أتم صحة وعافية يلعب الكرة من على الخيل وهو على وشك تجريد حملة لانتزاع مصر من سلطانه وولايته!.

وهل عرفتم سبب الطمأنينة التي كانت تغمر بن أيوب وتأكيده على أن لا مواجهة تلوح في الأفق بينه وبين سيده العتيد بينما يرتعد معاونوه خوفا من الغزوة التأديبية القادمة إليهم من مقر قيادتهم في الشام.

وهل رأيتم ذلك المستوى الأخلاقي (الرفيع) الذي سمح (للمجاهد الكبير صلاح الدين المنتظر) أن ينهب أموال المسلمين المنهوبة من قبل ابن عمه عقابا له على تآمره عليه ويقف متبسما أمام الطفل الصغير الذي صفعه صفعة قاسية حينما جابهه بما يستحقه من كلام؟؟.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٢) الكامل لابن الأثير/ج١٠ ص ١٣٥ أحداث عام ٥٨١ هـ.

صلاح الدين في معركة حطين:

وصلنا إلى عام ٥٨٣ هـ أي بعد أكثر من عشرين عاماً من استيلاء الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على السلطة في مصر والتهامه للسلطة في الشام من دون حدوث أي مواجهة حاسمة بينه وبين الفرنج.

المؤرخون المناصرون للرجل ولهجماته البربرية على الشيعة على وجه الخصوص. يرون في تلك الفترة الطويلة إعداداً لساحة المعركة وتمهيداً للأجواء.. استعداداً ليوم الفصل، بينما نقول نحن: أن المواجهة مع الفرنج لم تكن من بين أولويات الرجل على الإطلاق وأنه لم يكن له من همة إلا توسيع نطاق سلطته وقهر منافسيه وقتلهم ولو كانوا أبناء عمومته وأولياء نعمته.

لن نقذف الرجل باتهامات الخيانة ولا الغدر الذي تبدت ملامحه فيما صنعه في ابن عمه ولا في ابن سيده نور الدين الملك الصالح الصغير ولا في خذلانه لهذا السيد عندما طلب منه أن يتحرك لمجابهة الفرنج من الجنوب بينما هو يتحرك من الشام فرفض وبإصرار حفاظا على سلطانه في مصر.

القضية بالنسبة لنا تتلخص فيما يلي:

أوّلا: أن همجيته في العدوان على الشيعة والفاطميين في مصر لم يكن لها ما يبررها على الإطلاق وأن المؤرخين الذين سارعوا بتبرير جرائمه في حقهم باعتبارهم من الخونة والمتواطئين مع الفرنج. لم يكن لها ما يبررها ولا تعدو أن تكون موقفاً عقائدياً ومذهبياً بائساً معادياً للشيعة والتشيع وأن استمرارية هذا الموقف المنحط أخلاقياً كانت من بين أسباب نكبة سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م ناهيك عن أن هذا السلوك كان دائما يشكل خصما من رصيد الأمة

الأخلاقي والمعنوي والإنساني والعقلي.

ثانياً: أن الشعوب الحرة التي تتمتع بالكرامة وحرية الإرادة هي وحدها القادرة على الدفاع عن استقلالها فقد عاد الصليبيون لاحتلال بيت المقدس عام ٦٢٦هـ في اتفاق تسليم وتسلم (كامب أنبروزو) من قبل أبناء صرح الدين وهو لا يختلف كثيرا عن اتفاقية (كامب ديفيد) التي وقعها السادات عام ١٩٧٨م مع إسرائيل واتهم يومها بأبشع وأحط الصفات ثم قُتل على أثرها.

ثالثاً: أن تشيّع المصريين القلبي إلى يومنا هذا شكّل امتداداً منطقياً لتشيعهم العقلي والعقبي الذي لم تفلح عمليات التهجير والقمع والقتل وتدمير المكتبات في اقتلاعه من الوجدان. وأن هذا التشيع كان موجوداً في مصر قبل الدولة الفاطمية وبقي بعدها بالرغم من سياسات القمع والقهر التي احترفها أحفاد صلاح الدين ممن لا زالوا يمارسون التفكير على الطريقة المملوكية الأيوبية.

المواجهة بين صلاح الدين والفرنج:

قال ابن الأثير: (لما اجتمع الفرنج وساروا إلى صفورية جمع صلاح الدين أمراءه واستشارهم فأشار أكثرهم عليه بترك اللقاء وأن يضعف الفرنج بشن الغارة وإخراب البلاد مرة بعد مرة، فقال له بعض أمرائه: الرأي عندنا أننا نجوس بلادهم وننهب ونخرب ونحرق ونسبي فإن الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفار وأقبل يريد قتال المسلمين والرأي أن نفعل فعلا نعذر فيه ونكف الألسنة عنا فقال صلاح الدين الرأي عندنا أن نلقى جميع المسلمين بجميع الكفار)[١].

---

(١) كتاب الكامل.

لسنا وحدنا إذن الذين استنكرنا سلوك يوسف بن أيوب العدواني تجاه المسلمين بل كان الاستنكار آتياً من داخل المعسكر الأيوبي مستغرباً أن (الناصر صلاح الدين) لم يكن له من همة إلا قتل المسلمين وترك قتال الكافرين ومن هنا كان القرار بدخول المواجهة مع الصليبيين في طبرية شمال فلسطين ومنها إلى حطين ثم حصار بيت المقدس ودخوله مما يخرج بنا عن الغرض من هذا الكتاب.

الصليبيون يدخلون بيت المقدس مرة ثانية عام ٦٢٦ هـ من خلال اتفاقية استسلام بالغة الغرابة:

(كامب أنبروزو)

ينقل ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (في هذا العام ٦٢٦هـ تسلم الفرنج، لعنهم الله، بيت المقدس «صلحا!!» أعاده الله إلى الإسلام سريعاً في غزوة قادها (الأنبروز) حيث نزل الفرنج الساحل وأفسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين وانضم إليهم طائفة أخرى من مدينة صور وصاروا معهم ثم قوي طمع الفرنج بعد موت الملك العادل صاحب دمشق، في حين كان الملك الكامل صاحب مصر قد توجه إلى الشام بعد وفاة أخيه يريد أن يسترد الشام من صلاح الدين داود بن المعظم (ابن أخيه) الذي استغاث بالملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه الآخر عنه (إنها حقا عائلة محترمة!!) بينما ترددت الرسل بينهما وبين (الأنبروز) ملك الفرنج وتم الاتفاق على أن يسلموا إليه (بيت المقدس) ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقي البلاد بيد المسلمين ولا يسلم إلى الفرنج إلا بيت المقدس وتسلّم الفرنج بيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن

والتألم ما لا يمكن وصفه. . . يسر الله فتحه أي بيت المقدس وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه آمين. . . آمين)[١].

أي أن الإنجاز الرئيس الذي حققه يوسف بن أيوب وهو تحرير بيت المقدس عام ٥٨٤ هـ قد ضاع مرة أخرى عام ٦٢٦هـ أي بعد أربعين سنة بالتمام والكمال على يد أبنائه المتقاتلين على السلطة والجاه حتى آخر قطرة من دماء المسلمين وأموالهم.

إن هذا يثبت بما لا يدع مجالا لأي شك أن هذه النظم التسلطية لا يمكنها أن تحافظ على استقلال وكرامة الأمة مهما رفعت من شعارات طالما أصرت على استبقاء الشعوب المسلمة مستعبدة ومستذلة ومضطهدة.

إنه درس الحاضر والماضي والمستقبل.. فالاستقلال السياسي هو واحد من عناصر الوجود الإنساني الكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢] وعندما يفقد الإنسان هذا الوجود الكريم في وطنه (المستقل) نراه يلجأ إلى الهجرة خارج هذا الوطن ولو إلى بلاد (الفرنجة).

وعندما يفقد الإنسان حقوقه الإنسانية والسياسية بل وحتى العبادية الواحد تلو الآخر. تستوي قيمة الوجود الإنساني مع وجود الأحجار والأشجار ويصبح الوجود الإنساني والعقلي وجوداً بلا قيمة ولا معنى. فالمسألة كلها أصبحت مرتبطة بعدد السيوف والسهام وطلقات المدفعية التي يمتلكها هذا الجيش أو ذاك.

---

(١) الكامل لابن الأثير ج١٠ ص ٤٨١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

الفاطميون شيعة إسماعيلية:

لم يأت دفاعنا عن الفاطميين ودولتهم انطلاقاً من التطابق المذهبي بيننا وبينهم إذ أننا نعتقد بإمامة (الأئمة الإثنى عشر) من أهل البيت ولا أحد غيرهم ولكننا نعتقد أولا بوجوب حماية حق كل مسلم في اتباع ما يراه صحيحا من وجهة نظره وخاصة إذا كان هذا داخلا في إطار الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

إذن فالخلافة الفاطمية نفسها كانت في إطار المذهب الإسماعيلي ولكن هذا لم يكن مانعاً من حرية الرأي أو الحرية المذهبية أو حتى تقلد الوظائف الكبرى مثل الوزارة وقيادة الجيش من قبل المخالفين في المذهب ولو كانوا على شاكلة يوسف بن أيوب.

أما عن المذهب الإسماعيلي فهو مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الفقه والأحكام إلا أنهم يعتقدون في انسياب الإمامة وتسلسلها في أبناء الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من إسماعيل بن جعفر المتوفى في حياة أبيه الإمام الصادق وتحديدا من إسماعيل بن جعفر (رضوان الله عليه).

تفتت الشيعة الإسماعيلية بعد خروجهم من مصر وهناك من يقول بخروج بعض طوائفهم من إطار الإسلام الصحيح نظرا لتهاونهم في إقامة أحكام الإسلام وشرائعه وهي التهمة الموجهة إلى من يسمونهم (بالأغاخانية) وهؤلاء يشكلون نسبة محدودة من الجسد الإسماعيلي. ولما كانت الأيام قد علمتنا أن نتحفظ في نقل ما يقال عن اتهام الفرقة الفلانية والعلانية بالفساد والانحراف حتى نتأكد بطريقة لا تقبل الشك أو التأويل. ويبقى معيار الصواب والخطأ والاستقامة والانحراف بالنسبة لنا متعلقا بما يقال في العلن أو في الممارسات المتعلقة بأداء العبادات والتزام أحكام الإسلام الظاهرية

من اجتناب لما حرم الله ونهى عنه والتزام لأمر الله في العبادات والطاعات.

ويبقى أن الدولة الفاطمية مثلت نقلة حضارية بالغة الأهمية في تاريخ الإسلام والمسلمين وأن القضاء عليها وتصفية وجودها مثل كارثة حضارية ليس للعالم الإسلامي وحده بل للعالم أجمع، كارثة لو تأمل المنصفون في عمقها لاكتشفوا أنها أخطر ألف مرة مما يسمونه بسقوط الخلافة التي سقطت بالفعل يوم أن وقعت تحت أقدام بني أمية يتلقفونها تلقف الكرة كما قال أبو سفيان.

التشيع في مصر كان قبل الدولة الفاطمية وبقي بعدها:

وقع المؤرخون في خطأ كبير نجم عن الاعتقاد بان الدولة الفاطمية هي من حملت التشيع إلى مصر في حقائبها حال قدومها إلى مصر ثم أعادت شحن التشيع معها بعد طردها من البلاد وقيام صلاح الدين كما يقولون (بإعادة المذهب السني إلى مصر) فما هو مدى صحة هذه الأكذوبة؟؟.

لنأخذ بعض الأمثلة من تاريخ مصر في الفترة التي سبقت بداية (العصر الفاطمي) مباشرة، أي على وجه التحديد ما قبل عصر يوم الثلاثاء (سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة للهجرة النبوية المباركة)، اليوم الذي دخل فيه جوهر الصقلي قائد الفاطميين إلى مصر.

روى الكندي في كتاب ولاة مصر في أحداث (٢٤٢هـ) (وليها يزيد بن عبد الله من قبل المنتصر وأمر يزيد بضرب رجل من الجند في شيء وجب عليه فضربه عشرة فاستحلف يزيد بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه فزاده ثلاثين درة فرفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل فورد كتاب المتوكل إلى يزيد بضرب ذلك الجندي مائة سوط إضافية

فضرب الجندي ثم حمل إلى العراق لثمان خلون من شوال سنة ثلاث وأربعين)[١].

(وظهر يزيد في شعبان سنة ثمان وأربعين ومئتين للهجرة على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يعرف بأبي حدري بويع له فبعث يزيد إلى الموضع الذي هو فيه فأحرقه فأخذه فأقر على جمع من الناس أنهم بايعوه فأخذ بعضَهم فضُربوا بالسياط ثم أخرج العلوي هو وجميع من معه إلى العراق في شهر رمضان سنة ٢٤٨).

(ثم ورد كتاب الخليفة المنتصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ومن كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب المنتصر إلى العمال بذلك)[٢].

ولك أن تتأمل في المبررات والهواجس التي دفعت العباسيين لاتخاذ هذه الفرمانات القراقوشية التي سبقت قراقوش الأصلي عبد يوسف بن أيوب. تلك القرارات التي تُبرّر ضرب جندي مصري مائة وأربعين سوطاً مهلكة لأنه تجرأ وتشفع بحق الحسن والحسين عليهما السلام لينجو من عقاب أليم وجائر.

ولك أيضاً أن تتأمل في تلك القرارات الأكثر جوراً تجاه العلويين التي تمنعهم من ركوب الخيل وتحظر عليهم حق تملك

(١) الكامل لابن الأثير ج١٠ ص ٢٢٩.
(٢) كتاب ولاة مصر للكندي، ص٢٣٠.

العقار والعبيد وتجعل منهم ملطشة أمام محاكم النظام العباسي الجائر الذي أعلن (مراغمة لأنف القرآن) أن أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) مدانون. . . . مدانون يا ولدي وخصومهم ليسوا في حاجة لإثبات ما يدعونه قبلهم من تهم كبيرة كانت أم صغيرة وهم دائما على حق وهو نموذج من الشريعة الإسلامية الأموية العباسية القراقوشية التي يبشرنا البعض بإقامتها على أجسادنا بل ونموذج لطريقة الحوار الفكري الدائر من يومها بين شيعة أهل البيت وخصومهم في الرأي. وكما يقولون من (شب على شيء شاب عليه) وقد اعتاد هؤلاء على أنهم لا يحتاجون إلى حجة ولا بينة في إثبات رأيهم.

ولنرجع مرة أخرى إلى كتاب ولاة مصر وحقبة ما قبل الدولة الفاطمية (ثم كانت فتنة ابن قريش وذلك أنه أنكر أن يكون أحد خيراً من أهل رسول الله ﷺ فوثبوا عليه فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى عام ٢٨٥ فمات بعد يومين)[١].

وفي عام ٣٠٣ هـ ولي مصر ذكا الأعور من قبل الخليفة العباسي المقتدر بالله و(فسد ما بين ابن ذكا والرعية وذلك أن الرعية كتبوا على أبواب المسجد ذكر الصحابة والقرآن بما لا يليق (!!) فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون وكان محمد بن طاهر صاحب الشرطة معينا لأهل المسجد على ذلك فاجتمع الناس - لأربعة عشرة من رمضان سنة خمس وثلاثمائة للهجرة - إلى دار ذكا بالمصلى القديم يتشكرونه على ما أذن لهم فيه. فوثب الجند بالناس وحرضهم على

---

(١) كتاب ولاة مصر للكندي، ص٢٦٧.

ذلك إسماعيل بن مخلد. فنهب قوم وجرح آخرون وأقبل بن مخلد من الغد إلى المسجد فلم يترك شيئاً مما كتبه الناس إلا ومحاه ونهب الناس في المسجد والأسواق وأفطر الجند يومئذ وعزل بن ذكا محمد ابن طاهر عن الشرط وجعل مكانه وصيفاً الكاتب)[١].

والغالب على ظننا أن ما كتب على أبواب المسجد كان ذكرا لأهل البيت عليهم السلام ولفضلهم أو لأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام مما يعتبر في عرف هؤلاء المصابين بالسعار المعادي للتشيع (سبّاً للصحابة وتحريفاً للقرآن) بما يستدعي استخدام الشرطة والأمن المركزي والسلب والنهب والقتل أو الضرب حتى الموت، كما فعلوا بابن قريش ثم ينتهي الحوار الفكري كما هو معلوم برفع الشعارات الأيوبية التي عرضناها سابقا وتدمير المكتبات والسجن مدى الحياة في السلاسل والأغلال وتهجير الباقين إلى الهند والسند وأقاصي الصعيد و(عفي الآثار القديمة واستأنفت السنن الكريمة والله أكبر ولله الحمد وجاء الحق وزهق الباطل ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة!!!).

أما آخر الولاة على مصر من قبل الخلافة العباسية وقبيل مجيء الدولة الفاطمية فكان (أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد) حيث يقول الكندي: (وأجمع الرأي بعد وفاة كافور الإخشيد الذي ملك مصر والحرمين ولم يدم ملكه سوى مائة يوم على تولية أحمد بن علي. فحسنت سيرته وأمر برفع الكلف والمؤن وتعطيل المواخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونقص النيل وكثر الغلاء في أيامه واشتد حتى أكل الناس الجيف والكلاب وجاء القائد جوهر إلى

---

(١) كتاب ولاة مصر للكندي، ص٢٩٢.

الفسطاط فخرج الناس للقائه.. (أي أن أحداً لم يخرج لقتاله ولم تمتنع مصر من الدخول في طاعة الفاطميين) فدخل بعد عصر يوم الثلاثاء السابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وخطب المعز يوم الجمعة على المنابر بمصر وجلس جوهر للمظالم وأحسن السيرة وجاء المعز من المغرب إلى الديار المصرية فدخل يوم الثلاثاء السادس من رمضان سنة ٣٦٢هـ)[١].

إذن فالتشيع لأهل البيت عليهم السلام في مصر لم يكن اختراعاً فاطمياً نسبة للدولة الفاطمية بل كان هوى فاطميا نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله وبعلها وبنيها الطيبين الطاهرين الأبرار ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[٢].

لم ولن تفلح كل أدوات ووسائل القمع في القضاء عليه ومن هنا فنحن نستغرب ما قاله وما يردده بعض المؤرخين من أن يوسف بن أيوب قد (أعاد المذهب السني) إلى مصر وكأن ما يسمونه بالمذهب السني هو الأصل وما عداه هو الشذوذ والخروج على القاعدة فعن أي قاعدة يتحدثون؟ لعلهم يتحدثون عن تلك القاعدة التي وضعها الخليفة العباسي سيئ الذكر والتي ذكرناها سابقاً (**بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ومن كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة**) ولا شك أنها قاعدة الظلم والجور التي قادت المسلمين للتخلف والضياع والاعتقاد الراسخ المستند لتلك القاعدة

---

(١) كتاب ولاة مصر للكندي، ص٣١٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

الذهبية والقائل بأن هؤلاء هم الفرقة الوحيدة الناجية ومن عداها في النار!!!.

وإذا كانت هذه هي الطريقة التي عومل بها أهل البيت الذين أحبهم المصريون قديماً وحديثاً فما بالك بالطريقة التي عومل بها من أحبهم؟؟.

إن هذا المنافيستو القرقوشي العباسي يشرح لنا لماذا لزم المصريون التقية السياسية وأخفوا عقيدتهم ولزموا الصمت وتعايشوا مع الغزاة والطامعين الذين لم يتورعوا عن ارتكاب أي جريمة في حق أهل البيت ومن يوالونهم حتى تحولت العادة إلى عبادة وحتى تحول التجاهل والتغافل إلى جهل مطبق بالحقيقة حول أهل البيت عليهم السلام وبمذهبهم الفقهي وهذا هو سر الطبخة التي أنتجها الظلم والقهر والهمجية التاريخية التي مورست بحقهم.

ماذا خسر المسلمون بسبب هذا الصراع الذي أشعله بنو أمية وسار الكل على خطىٰ أقدامهم عباسيين وأيوبيين وعثمانيين ومستقلين؟؟

فلنلق نظرة على الخسائر البشرية التي لحقت بالمسلمين من جراء تلك المجازر التي ارتكبها السيد صلاح التكريتي في مصر والشام تلك المجازر التي لم يستفد منها ذلك السيد شيئاً إلا اللعنة الدائمة في الدنيا والآخرة

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾[1].

أما عن الخسارة الحضارية وذلك الكم من التراث الحضاري

(١) سورة غافر، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

والعلمي والثقافي الذي جرى تبديده وبعثرته في البلدان فحّدث ولا حرج.

ولنتأمل في ذلك التراث الإنساني العظيم الذي دمره يوسف بن أيوب في دار الحكمة من كتب للتاريخ والطب والهندسة والحكمة ثم جلس هانئا سعيدا في قصره يخطط لمزيد من المعارك والهجمات على كل من لم يدخل في طاعته أرضاً وبحراً وجواً ولو كانوا من بني أبيه مثل واقعة حصاره للموصل ومحاولته تحويل مجرى نهر دجلة.

والتاريخ (الإسلامي) أي تاريخ المنتسبين للإسلام وليس تاريخ الإسلام نفسه سجل لنا أن من يجترئون على دماء الشيعة لم يتورعوا عن سفك دماء غير الشيعة لأن مبدأ استباحة الدم الإنساني واحد لا يتجزأ.

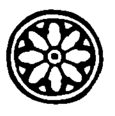
فالذين استباحوا دم الشيعة في أفغانستان المعاصرة فعلوا هذا مع كل مخالفيهم في الموقف والرأي من غير الشيعة حيث كان هؤلاء الأوباش يكفّرون الجميع.

والنظام السعودي الوهابي الذي أطلق مساعيره بالفتاوى التكفيرية للشيعة في العالم كله وأنفق عليهم أكثر من (سبعين ملياراً) من الدولارات خلال عقدين من الزمان (وسنعطيكم واحدة من ذلك النوع من الفتاوى) عاد ليصلى ناراً ذات لهب في (الثاني عشر من مايو ٢٠٠٣م) فيما يسمى بـ (تفجيرات الرياض) ولا زال الحبل على الجرار والقاعدة تقول (سمن كلبك يأكلك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما تقدم تقدم عليه) ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞﴾[1] وقد

(١) سورة المسد، الآيات: ١ - ٣.

اصطلى هؤلاء بنيرانهم التي أشعلوها ليحرقوا بها شيعة أهل البيت فإذا بها تحرقهم.

فهل ما زال البعض مصراً على أن ما جرى على الشيعة هو مجرد استثناء وعلى الجميع أن يطمئنوا لأن المقصود بالقتل والتحريض عليه هم الشيعة فقط؟؟.



نموذج آخر للسعار المعادي للتشيع

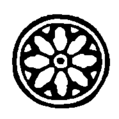
سؤال أُلقي على الوهابي عبد الله بن جبرين بتاريخ ٢٣/٨/١٤٢١ للهجرة.

سؤال: أحسن الله إليكم. أنا موظف في إحدى الأجهزة الحكومية ويوجد في القسم الذي أعمل فيه حوالي خمسة أشخاص من الرافضة (أي الشيعة) فكيف يمكنني التعامل معهم بصفتي مشرف عليهم. ومن صفاتهم التودد إلى الشخص والمبادرة بالسلام ونحو ذلك. فيا فضيلة الشيخ أنا بحاجة إلى توجيهكم في هذه المسألة كيف أتعامل معهم وخاصة في مناسبة الأعياد وبعد السفر وهل من الواجب علي مناقشتهم ودعوتهم، مع إن تجربة بعض الأخوان معهم لم تأتي بنتيجة إيجابية. أفيدوني وغيري ممن لهم احتكاك مباشر بأمثال هؤلاء.

الجواب: يكثر الابتلاء بهم في كثير من الدوائر من مدارس وجامعات ودوائر حكومية، في هذه الحال نرى إذا كانت الأغلبية لأهل السنة أن يظهروا إهانتهم وإذلالهم وتحقيرهم وكذلك أن يظهروا شعائر أهل السنة فيذكرون دائم فضائل الصحابة ويذكرون الترضي عنهم ومدائحهم وتشتمل مجالسهم على ذكر فضل القرآن وعلى ذكر ـ تكفير من حرفه أو ما أشبه ذلك ـ لعلهم أن ينقمعوا بذلك وأن يذلوا ويهانوا وتضيق بذلك صدورهم ويبتعدوا، أما معاملتهم فيعاملهم الإنسان بالشدة فيظهر في وجوههم الكراهية ويظهر البغض

والتحقير والمقت لهم ولا يبدأهم بالسلام ولا يقوم لهم ولا يصافحهم، لكن يمكن إذا ابتدءوا بالسلام _ أن يرد عليهم بقوله وعليكم أو ما أشبه ذلك. أ. هـ

المصدر: كتاب (الفتاوى المعاصرة في الرافضة).



العثمانيون يواصلون السير على خطى الأيوبيين

أوقف السلطان العثماني سليم الذي تربع على العرش في سنة ١٥١٢م الفتوحات الأوربية وتذرع ببطولة القضية السنية.. (فخلد الأشهر الأولى من حكمه بالذبح المتقن لجميع الشيعة أينما وجدوا (من كتاب لونكريك، ص ٣٣).

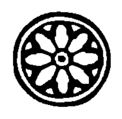
بعد أن حصل على فتوى من بعض رجال الدين تجيز له قتل الشيعة.. نظم (السلطان العثماني سليم) نمطاً من الشرطة السرية وأرسل أفرادها في شتى أرجاء البلاد العثمانية (قبل سيطرتهم على البلاد العربية) بغية إحصاء عدد الشيعة فيها، وبعد أن تأكد السلطان من عددهم ومبلغ تركزهم في الأماكن المختلفة أرسل جنودا إلى تلك الأماكن بنسبة عددهم ثم أوعز إلى الجنود أن يلقي كل واحد منهم القبض على من بقربه من الشيعة في وقت معين، وتم عندئذ قتل أربعين ألفا من الشيعة بينما أودع الباقون في السجن المؤبد. (علي الوردي ص ٤٦)..

بعد انتصار السلطان سليم على الإيرانيين الصفويين، أمر بذبح جميع الأسرىٰ وان يصنع من جماجم القتلى هرما لينصب في ساحة المعركة. (ص ٥٢ الشيعة والدولة القومية).

في عام ١٦٣٨م توجه السلطان مراد بجيشه الانكشاري نحو

بغداد،.. فحاصر بغداد أربعين يوماً..، وكانت مدافع مراد الرابع تصب الموت على مساكن بغداد طيلة أيام الحصار. فيموت من كان على مذهب أبى حنيفة ومن كان على مذهب جعفر الصادق.. (وهذه المدافع هي التي قضت على سور بغداد والأبراج التي بناها العباسيون).. حتى إذا فتحت ثغرة في ذلك السور العباسي تدفقت جنود السلطان إلى داخل المدينة، فتقدم الخان الفارسي حاكم بغداد بين يدي السلطان، فعفا عنه بسهولة وانعم عليه بالهدايا الثمينة على أن يسلم المدينة في الحال فأمر هذا ضباطه وجنوده ليتركوا مواقع الدفاع والمدينة على الفور. فتصور أهل بغداد أن الأمر سينتهي عند هذا الحد بسلام.... وأعلن السلطان العفو والأمان.. «لكنه نقض عهده، فأعمل السيف في الأهالي فراح ضحية المجزرة خمسون ألفا» وترك السلطان مراد بغداد تحت ركام من الجثث ومن بين ما تركه مدفعاً كبيراً كان قد استخدم في احتلال بغداد (وهو المسمى طوب أبو خزامه) (ص ٥٦ الشيعة والدولة القومية).

منقول عن شبكة الإنترنت.



مصر والشيعة المعاصرون

يخطئ من يظن أن الحرب على التشيع لأهل البيت قد انتهت عشية استيلاء يوسف بن أيوب على السلطة في مصر. وكما أسلفنا فقد اشتعلت العديد من الثورات التي تحدثنا عن بعضها مثل (ثورة الكنز) التي تسببت في إحراق مدينة طود وتحويلها إلى مجرد (قرية صغيرة) الآن في صعيد مصر. كما حدثنا الشهود المعاصرون والدليل على أن التشيع بقي صامداً ومصراً على البقاء حتى بداية القرن العشرين هو ما ذكره الكاتب المصري جمال بدوي في مقاله المنشور بجريدة نهضة مصر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من أبريل عام ٢٠٠٤م من أن: المواكب الحسينية بقيت تطوف في شوارع القاهرة حتى العام ١٩١٤م مع بداية الحرب العالمية الأولى حيث منعها المحتل الإنجليزي.

ومعلوم أن التشيع لأهل البيت عليهم السلام هو وجود ثقافي وفكري وفقهي يمكن له أن يتلاشى من الناحية الواقعية مع تلاشي المصادر الفقهية وانعدام التواصل مع المركز الأساس وهو المرجعية الدينية وحوزتها العلمية فضلا عن التلقين المضاد الذي يتلقاه تلاميذ المدارس والذي يصر على التجاهل المطلق لوجود أهل البيت وشيعتهم.

ما زالت أغلب المرجعيات الدينية تلتزم الصمت المطبق حتى الآن إزاء الحالة المصرية، بالرغم من أن المراكز الثقافية الشيعية

الناشطة قد استفادت من بعض رموز التشيع المصري المعاصر في نشر رسالة التشيع أكثر من استفادة الساحة المصرية من هذه المراكز فضلا عن استفادة هؤلاء المفكرين الشيعة من تلك المراكز.

ويرجع هذا الميزان المختل بصورة فادحة إلى الأسباب التالية:

الاول: هو حاجة تلك المراكز إلى هؤلاء المفكرين وإلى خبرتهم وإلى عرض معاناتهم الفكرية في الانتقال من الفكر الإسلامي السائد إلى مدرسة أهل البيت وهي خبرة لا تتوفر عادة لمن ولدوا في بيئة شيعية تقليدية.

والأمر الثاني: هو غلبة أصحاب اللسان غير العربي على مراكز الدعوة والقرار الشيعي طيلة العقدين الماضيين وهؤلاء أناس يفكرون بلسان غير عربي والأمر لا يتعلق والعياذ بالله بالانتقاص من شأنهم بل بتقرير حقيقة واقعة.

أما السبب الثالث: فهو (تسييس التشيع) من قبل بعض الجهات التي آثرت الدخول في تحالفات أراها أنا بلا معنى ولا طعم ولا لون ولا رائحة استفاد منها المتحالف معهم ولم يستفد منها هؤلاء السادة، لا في الدين ولا في الدنيا ولا في الآخرة ومن ثم بقيت حركة التشيع في مصر إلى الآن بلا سند ولا ظهير من أي نوع كان ولا أنسى ما قاله لي واحد ممن يفترض أنهم من كبار المسئولين عن الشأن الشيعي: (أننا لم نعد نفكر في نشر التشيع قدر تفكيرنا في التقريب بين المذاهب) وتلك إذن خدعة الرضيع عن ثدي أمه!!.

لقد شهدت نهاية القرن العشرين تحولاً بالغ الخطورة والأهمية ألا وهو ظهور تيار شيعي جديد في مصر في أعقاب انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

يعلم الجميع الطريقة التي جرى بها التعامل مع هذا التيار من قبل الأجهزة الأمنية والقضايا الأمنية المختلفة التي لفقت لهذا التيار وخاصة على وقع القصف المدفعي المتبادل بين الجارتين المسلمتين الشيعيتين العراق وإيران والنباح المتواصل للوهابية العالمية المطالبة برؤوس ودماء الشيعة في كل بقاع الأرض.

ثم اتجهت الأمور شيئاً فشيئاً نحو حرب أخرى باردة تقوم على الآتي:

أولاً: ملاحقة المتشيعين بالاستدعاءات الأمنية المتكررة التي يجري فيها تخويفهم وتحذيرهم من هذا (الانحراف العقائدي) الذي يمارسونه حيث يجري كل هذا على وقع قانون الطوارئ المعمول به في مصر منذ أكثر من خمسين عاماً.

ثانياً: بعض الاعتقالات الصغيرة التي تجري بين الفينة والأخرى (الشرقية نوفمبر ٢٠٠٢م - البحر الأحمر ديسمبر ٢٠٠٣م ناهيك عن القضايا الكبرى التي سنورد ملفا عنها في نهاية الكتاب). لتذكير كل من تسول له نفسه إعلان التشيع لأهل البيت أو محاولة التجمع تحت أي ذريعة أو شعار ولو كان للصلاة أو الدعاء أو في أي مناسبة.

ثالثاً: الخطة الوهابية المتواصلة لإقصاء آثار أهل البيت عليهم السلام من الساحة الجغرافية في مصر كما الساحة السياسية وهم يقومون بتمويل إعادة بناء المساجد شريطة إزالة أضرحة أولياء الله الصالحين منها. وعندما ذهبتُ إلى زيارة ضريح جدي (سيدي علي النفيس) في قلب مدينة دمياط لم أجد للضريح أثراً حيث تمت إزالته كما جرى هذا لعدد لا يحصى من الأضرحة في طول البلاد وعرضها.

رابعاً: تزامنت محاولة تشديد القبضة الأمنية على الشيعة في مصر مع سقوط النظام الصدامي البائد مما دفعنا للتقدم بطلب لوزارة الداخلية المصرية للاعتراف بالطائفة الشيعية في مصر وفقاً لاحكام القانون رقم ١٥ لعام ١٩٢٧م. والهدف من وراء هذا الطلب كان إبطال المفعول السام لاعتقال ومحاكمة الشيعة بتهمة (ازدراء الأديان) وهو ما حدث معنا ثلاث مرات، وليس إنشاء حالة طائفية بحال من الأحوال كما يزعم بعض المتفيهقين ممن اعتادوا دس أنوفهم فيما يعنيهم وما لا يعنيهم إلا أننا وللأسف الشديد لم نجد أي مساندة من أولئك الذي اعتادوا تصدر المشهد الشيعي في المناسبات الرسمية والاحتفالية إلا أننا نعتقد بصورة جازمة أن هذا الطلب قد كشف لعبة القوم أمام العالم مما أحبط تلك اللعبة القذرة التي استمرأها هؤلاء[١].

مستقبل التشيع في مصر:

الحملة المتواصلة التي يشنها النظام العربي الزرقاوي على الشيعة عامة بمن فيهم شيعة مصر رغم قلة أعدادهم (قدرتهم لجنة الحريات الدينية الأمريكية بأقل من ١٪ من سكان مصر إلا أننا نعتقد أن الرقم اكثر من هذا) لا تدل على إحساس بالطمأنينة للمستقبل خاصة مع الضغوطات الخارجية المتواصلة عليهم من أجل الإصلاح السياسي.

أما سر هذا القلق والاضطراب فيعود للأسباب الآتية حسب تقديرنا:

أولا: أن التشيع لأهل البيت في مصر لا يعدو أن يكون عودة

---

(١) انظر خبر إسلام أون لاين وحوار الشيكاغو تريبون مع العبد لله.

للجذور وصدق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال (بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولداً) فالشيعة المصريون الموجودون الآن بين أظهرنا هم بقية السيف الأموي والأيوبي والعثماني.

ثانياً: أن التشيع لأهل البيت عليهم السلام كان ولا زال عنواناً للهوية الوطنية المصرية القديمة والمعاصرة والمدقق المتأمل فيما قاله نجم المرحلة الإعلامي الذي افتتحنا كتابنا بإيراد كلامه: (المصريون سنيو المذهب شيعيو الهوى) يدرك أن هذا الهوى (الهوية) هو الأكثر فعالية في تشكيل السلوك الإنساني والهوية القومية من خلال الطريقة التي يتعبد بها الإنسان ويمارس من خلالها طقوسه الدينية. والدليل الأكبر على ذلك هو فشل تلك الجماعات الوهابية الخوارجية في تحقيق اختراق حاسم وكبير للساحة المصرية يقلب الموازين لصالحها كما حدث في مواقع أخرى من العالم الإسلامي.

ثالثاً: أن المستقبل مفتوح على عديد من الاحتمالات في هذا الاتجاه ويتوقف على الطريقة التي يدير بها الشيعة المصريون المعاصرون (بقية السيف) أمورهم وعلى مدى نجاحهم في إدراك تغيرات المناخ الفكري والسياسي المتلاحقة في العالم من حولهم. تلك التغيرات التي أدت إلى استنفاذ كل الفرص التاريخية المتاحة أمام الوهابيين ووعاظ السلاطين أحفاد القاضي الفاضل والواعظ ابن نجا وما يقدمونه من مشاريع وأفكار أغلبها دموية أو لا بد لها أن تنتهي نهاية دموية. بينما يشهد المشروع الشيعي نهوضا واضحا على المستوى الدولي والمحلي وهو ما يصعب أو يجعل من المستحيل إعادته إلى الوراء مرة أخرى بل وتحول بكل تأكيد دون ظهور أيوبي جديد وقد انتهى الأيوبي القديم صلاح والأيوبي الجديد صدام تلك النهاية البائسة التي ما لها من فواق.

رابعاً: أن المناخ الفكري والسياسي السائد في عالمنا العربي والإسلامي شهد سقوط الدموية العقائدية التي توجت أعمالها بأحداث (الحادي عشر من سبتمبر) والتي انتهت بتبرئ المسلمين منهم ومن أفعالهم والهجوم العالمي عليهم من كل ناحية واتجاه.

خامساً: ذلك المخزون الاستراتيجي المصري الهائل من الولاء لأهل البيت عليهم السلام والمتمثل في الطرق الصوفية والذي لم تفلح المحاولات الوهابية المدعومة من بعض الرسميين في هدمه والقضاء عليه إلا أن المشكلة الكبرى التي يعاني منها هؤلاء هو الجهل بحقيقة التشيع لأهل البيت رغم انتساب أعداد كبيرة منهم للدوحة النبوية الطاهرة ولنا مع بعض هؤلاء محاورات كشفت عن تلك الحقائق التي ذكرتها.

وأخيراً.. تأتي المتغيرات الدولية الهائلة التي جعلت العالم الإسلامي الآن مطالباً بإعادة صياغة منظومة العلاقات فيما بينه وإقصاء منطق الهمجية والتغلب وتغليب منطق الحوار والتنافس المشروع والبقاء للأصلح.

معاً إذ لم يعد ممكناً في ظل العولمة والإدراك العالمي الواسع لأهمية الكيانات الكبيرة أن تبقى سياسة التخاصم والتصادم فيما بين الكيانات الإسلامية الهزيلة والصغيرة هو المنطق السائد.

ليس من الممكن ولا من المعقول ولا من المقبول أن تنفق (دولة) أكثر من سبعين (مليار دولار) على الدعاية الرخيصة لأفكار تافهة ومبتذلة تقوم على تكفير المسلمين وتوزيع الاتهامات عليهم بالشرك والكفر والوثنية وعبادة الأضرحة وهل هي شرك أكبر أم شرك أصغر؟ وهي أي هذه الدولة أول من يعلم أن ليس بوسعها أن تلعب

دور الدولة الكبرى وسط منطقة هي فيها صغرى بحجمها وبما تقدمه من أطروحات حضارية وبسلوكيات أزلامها الفاسدة والمنحطة. كما أنه لم يعد من المقبول الحديث عن النفوذ الإيراني في مواجهة نفوذ مصري. إذ أن كل هذه الدول صغيرة بنفسها ومحتاجة إلى غيرها من أقطار العالم الإسلامي لتتمكن من مجابهة الأخطار الداهمة التي تحيط بها من كل حدب وصوب.

إن التوجه الحتمي نحو الديمقراطية والتعددية أقله في البعد الفكري سيقلص حتما من أهمية الدور الذي يمكن لوعاظ السلاطين أو لمذهب السلطة الرسمي القيام به في المرحلة القادمة.

ومن هنا فالواجب على أتباع منهج أهل البيت أن يواصلوا السعي لخدمة قضيتهم، التي هي قضية الأمة المطالبة بالحرية والكرامة باعتبار أن الشيعة كانوا أول من ضحى وأكثر من عانى دفاعاً عن هذه القيم السامية.

لقد عانى شيعة أهل البيت عليهم السلام طيلة التاريخ معاناة مزدوجة ممن يبغضون أهل البيت عليهم السلام بغضاً أصلياً ويرغبون في إزالة آثارهم من الوجود وممن يبغضون أهل البيت وشيعتهم لأنهم يمثلون حاجزاً أمام نزعتهم الاستئثارية التسلطية ولا شك أن هذا النوع الثاني هو أقل سوءاً من النوع الأول. ولا شك أن الأسباب التي تحفز هذا النوع من البشر لمحاربة منهج أهل البيت عليهم السلام آخذة في التقلص في مقابل كل خطوة للأمام على طريق الحرية والديمقراطية المفروضة عليهم والقادمة لا محالة في إطار تحول عالمي إنساني أوسع لم يعد يقبل بتلك الممارسات اللاإنسانية الأيوبية التكريتية الأموية الوهابية.

ولنا أن نلاحظ أن العالم الاستكباري الذي سمح لصدام حسين التكريتي بقمع انتفاضة الشيعة في العراق عام ١٩٩١م بتحريض من تلك النظم العربية المتخلفة، البائسة، خوفاً من قيام (نظام حكم شيعي في العراق) ووجد استجابة من الولايات المتحدة الأمريكية يومها لم يفلح عام ٢٠٠٣م في استخدام نفس الحجة من أجل الإبقاء على هولاكو العصر حيث وجد هؤلاء السادة أنفسهم أمام استحقاق لا يمكن الهروب منه ألا وهو التكيف مع المستجدات الفكرية القادمة والقبول بالتنوع الفكري في الإطار الإسلامي الأوسع (مكرها أخاك لا بطل) والمهم هو النتيجة.

نحن وأهل السنة:

ليست هناك أي مشكلة حقيقية مع أي ممن يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1] ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2].

ولكن المشاكل تبدأ مع أولئك المصرّين على استئصال شأفة الموالين لأهل بيت العصمة عليهم السلام حباً وفقهاً رغم فشلهم في القيام بهذه المهمة طيلة القرون الماضية وبرغم كل ما أراقوه من دماء وما أحرقوه من كتب وبرغم السبعين ملياراً التي أنفقها آل سعود من أجل محاربة التشيع والتصوف ونشر الوهابية البائسة.

فما هو الفارق بينهم وبين من قاتلونا في الدين من كفار العصر الأول أو الأخير؟؟؟.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

لقد أدى ذلك الصراع الهمجي الذي أشعل شرارته الأولى (بنو أمية) إلى تبديد طاقة الأمة بل وكنوزها العلمية والمعرفية في صراعات وحروب كان مشعلوها هم أكثر من تضرر منها في المحصلة النهائية. . حتى بعد أعوام الانتصار الأولى وخطبها الزاهية وكلماتها الملونة.

كيف انتهى بنا عصر الحكم الملوكي؟؟

انتهى بنا إلى احتلال العالم الإسلامي كله أو جله من قبل الاحتلال الصليبي في دوراته المتعاقبة وآخرها الاحتلال الإنجليزي الذي لم يحمل عصاه ويرحل من مصر إلا عام ١٩٥٤م للميلاد.

كيف انتهت بنا الممارسات الدموية الإرهابية التي احترفها وأتقنها السعوديون وحلفاؤهم من الوهابيين في حق عشرات الألوف من المسلمين ممن سفكت دماؤهم ظلماً وعدواناً في بلاد الجزيرة العربية وهم الذين لم يتورعوا عن قتل حجاج بيت الله الحرام الإيرانيين عام ١٩٨٧م في البلد الحرام في الشهر الحرام؟؟.

لقد انتهى الأمر إلى أن تحول هؤلاء الوهابيين من أعداء للشيوعية تحركهم واشنطن إلى أعداء ألداء للنظام الذي أرضعهم كراهية كل المخالفين في المذهب والرأي ورفدهم بالمال وساعدهم على التدريب على السلاح ظناً منهم أن هذا يطيل في ملكهم وكانت النتيجة تفجيرات الرياض وغيرها من الأعمال التي اكتشف هؤلاء أنها تندرج في إطار الأعمال الإرهابية بعد أن طالتهم وهي من قبل لم تكن كذلك لأنها كانت قاصرة قبل هذا على (أعداء الدين من الشيعة والصوفية) و(الوثنيين الذين يتقربون إلى الله بحب محمد وآل محمد ويتوسلون بهم!) وهذه هي النهاية الطبيعية لهذا النوع من الأشياء.

إذن فالمشكلة تكمن في ثقافة التحريض وشقيقها الجهل والفساد الأخلاقي والتمييز الطبقي تلك الثقافة التي تغلغلت في مسام عروقهم في غيبة ثقافة العقل والمحبة والتسامح بين أبناء الأمة الواحدة، شركاء الحاضر والمصير.

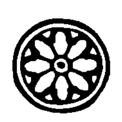
تلك الثقافة التي وجدت دائما من يروج لها ويربح الملايين من وراء الترويج لها ووجدت أيضا من يصغي لها ويصدقها من المسلمين البسطاء الذين لا يعرفون شيئا عن حقائق دينهم.

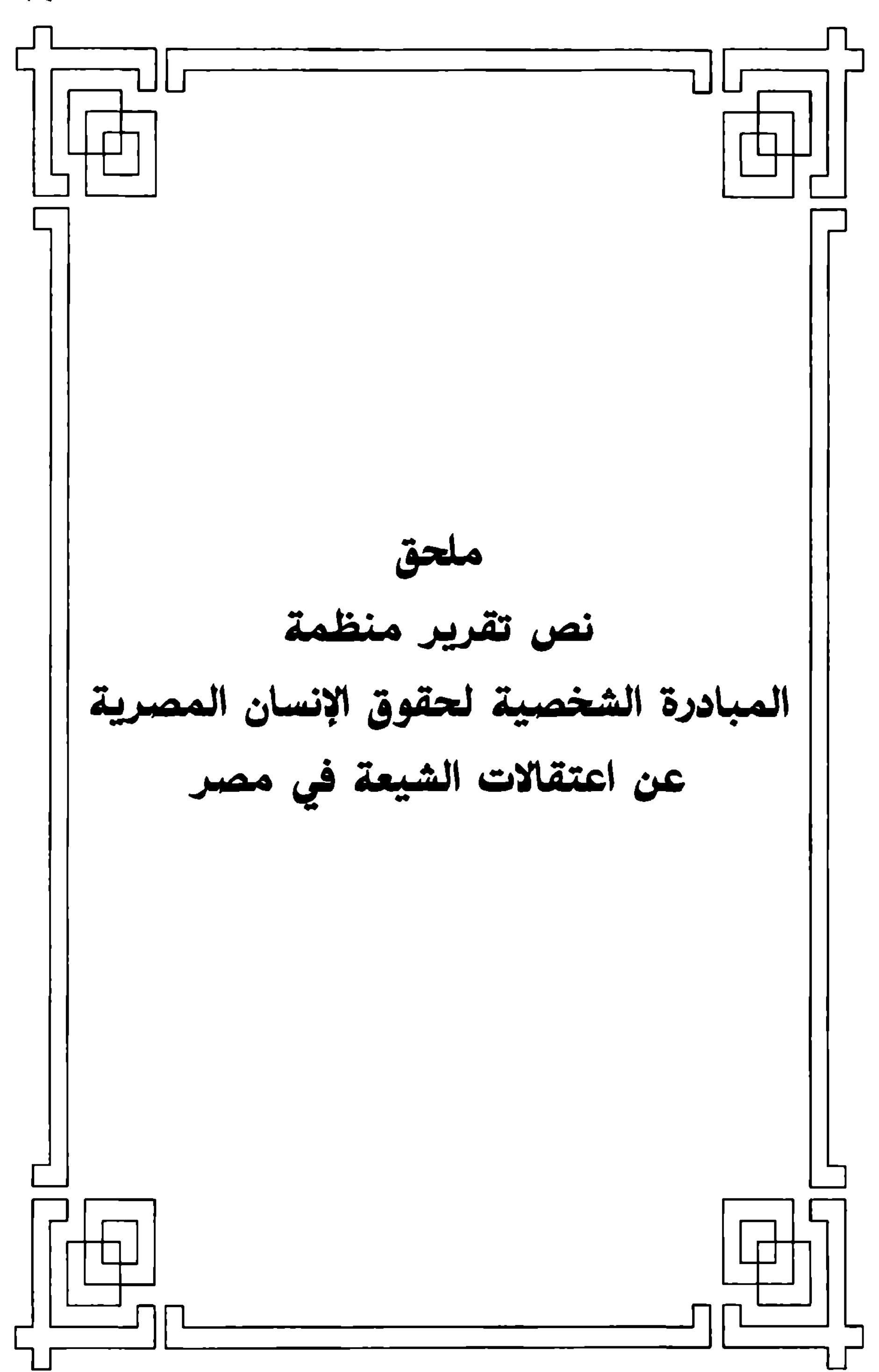
وإذا كان المسلمون جادين فعلا في الحفاظ على وحدتهم وتماسكهم وقدرتهم على مواجهة المخاطر والتحديات. فالواجب يحتم عليهم اتباع سياسة التعارف والتعريف والضرب بيد من حديد على كل من يحاول أن يشعل نيران الفتنة والاقتتال الداخلي بين أبناء الأمة الواحدة إخوة العقيدة والدين أيا كانت مذاهبهم الفقهية والفكرية.

دكتور أحمد راسم النفيس

المنصورة مصر

١٧-١٢-٢٠٠٤م





ملحق
نص تقرير منظمة
المبادرة الشخصية لحقوق الإنسان المصرية
عن اعتقالات الشيعة في مصر

الفصل الأول

أحداث رأس غارب: آخر الحلقات

أثناء كتابة هذا التقرير كان كل من **محمد رمضان الدريني** **ومحمد (حمام) عمر** معتقلَين في سجن وادي النطرون بموجب قانون الطوارئ دون اتهام أو محاكمة، وذلك رغم صدور عدة أحكام قضائية بالإفراج عنهما. كلاهما يقول إنه تعرض للتعذيب على أيدي ضباط مباحث أمن الدولة مع آخرين لا يجمع بينهم إلا انتماؤهم للمذهب الشيعي.

القصة التي تعد آخر حلقة في سلسلة انتهاكات جهاز أمن الدولة لحقوق المحتجزين في قضايا المسلمين الشيعة في مصر لم تقتصر على هذين المعتقلين وإنما شملت العديد من المشتبه في انتمائهم للمذهب الشيعي في مدينة رأس غارب الساحلية الهادئة، والتي تتبع محافظة البحر الأحمر وتقع حوالي ٣٠٠ كم جنوبي القاهرة، حيث وقعت حملات اعتقال متتالية ضد عدد من المسلمين الشيعة من سكان المدينة. بعض هؤلاء أطلق سراحه بعد ساعات أو أيام، بينما انتهى الأمر بالبعض الآخر بعد جولات الاستجواب والتعذيب في الغردقة والقاهرة إلى سجن وادي النطرون. وهناك بدأت دائرة الاعتقال الإداري المتكرر بموجب قانون الطوارئ والذي نجا منه البعض بينما ظل الدريني وعمر في انتظار قرارات الإفراج عنهم.

البداية

بدأت أولى الحملات في ساعة متأخرة من ليل ٨ ديسمبر ٢٠٠٣م عندما قامت قوات (مباحث أمن الدولة) بمداهمة عدة منازل في مدينة رأس غارب لأفراد يشتبه في اعتناقهم المذهب الشيعي. وكان من هذه المنازل منزل **محمد عمر** الذي ألقي القبض عليه وتم ترحيله فوراً لمقر أمن الدولة بالغردقة. تقول زوجته:

«دخلوا البيت حوالي الساعة ١ : ٣٠ الصبح ولما شافوا لوحات وشعارات على الحيطان عن أهل البيت والأئمة سألوا عن مكتبة الحاج، وبحثوا في الكتب وطلبوا مننا كرتونة حطوا فيها كل الكتب وشرايط الفيديو اللي عندنا، وبعدين خدوا الحاج وخرجوا»[١].

أما **أحمد جمعة** فقد كان في عمله بإحدى شركات البترول بمنطقة توشكي عندما اقتحمت قوات أمن الدولة منزله بنفس الليلة. ولما لم يجدوه بمنزله هددوا زوجته باحتجازها وأبنائها الخمسة رهائن لإجبار جمعة على تسليم نفسه [٢]. وبعد أسبوع عاد رجال أمن الدولة من جديد لتفتيش المنزل ومصادرة كتب وأوراق. تقول والدة أحمد جمعة:

«أول مرة جم تلات ضباط لابسين ملكي حوالي الساعة ١١ بالليل. وفي المرة التانية جم حوالي أربعتاشر واحد بعربيات

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد عمر، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة أحمد جمعة، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

وعساكر. وفي المرتين ما قالوش عايزينه ليه. بس فتشو غرفته وورشته وأخدوا كتبه وأوراق الجيش بتاعته»[١].

ومثلما كان الحال مع محمد عمر، لم يظهر رجال أمن الدولة خلال هذه المداهمات أية أذون من النيابة العامة بالتفتيش أو المصادرة أو ضبط المطلوبين.

وعندما نقلت أسرة جمعة إليه تفاصيل ما حدث، خشي من تهديد مباحث أمن الدولة باحتجاز أسرته كرهائن فعاد إلى رأس غارب وقام بتسليم نفسه في ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣. ولم يعد جمعة بعدها إلى منزله قبل مرور أربعة أشهر من الاحتجاز كما سيرد لاحقاً.

وإلى جانب عمر وجمعة، فقد احتوى تقرير صحفي نشر وقتها على أسماء عدة أفراد آخرين تمت مداهمة منازلهم وهم كاشف الهلباوي (لم يجدوه)، وعبد الهادي يحيى تمام، وعلي خليل، وإسماعيل الحاج[٢]. وقد التقى باحثو المبادرة المصرية بالأخير وروى لهم قصة توقيفه:

«أنا لقيت حد جاي لي الشغل من أمن الدولة وأخدني معاه في عربيته ورحنا البيت عندي. أول ما دخلنا سألني عن مكتبتي فضحكت وقلت له أنا ساقط إعدادية يا بيه وما عنديش مكتبة. فمشي وقال لي أروح له تاني يوم الصبح الغردقة»[٣].

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع والدة أحمد جمعة، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٢) عبده مغربي، تفاصيل القبض على أحدث تنظيم شيعي في رأس غارب، صحيفة صوت الأمة، عدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٣) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع إسماعيل الحاج، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

«بتصلي إزاي؟»

عندما ذهب إسماعيل في اليوم التالي إلى مقر مباحث أمن الدولة بالغردقة

فضلت قاعد في الاستراحة من الساعة اتنين الظهر لغاية الساعة ستة. لما دخلت للضابط قلت له: يا بيه أنا مواليد ١٩٥٢ يعني جيل الثورة وشاركت في حرب أكتوبر. قعد يسألني انت بتصلي إزاي؟ ومن هو أبو بكر الصديق؟ ومن هو عمر بن الخطاب؟ وأسماء صحابة تانيين. وبعدين سابني أمشي(١).

وكما حدث مع إسماعيل أُخلَي سبيل جميع من تم توقيفهم أو القبض عليهم باستثناء (أحمد جمعة ومحمد عمر) اللذين ظلاّ محتجزين بمعزل عن العالم الخارجي دون أن تعرف أسرهما مكان احتجازهما.

الحملة الثانية من الاعتقالات جاءت بعد سابقتها بأسبوع واحد. وعلمت المبادرة المصرية أنها شملت مداهمة منازل وتوقيف كل من (محمد عبد الحافظ وياسر عباس وسراج رشوان).

ووفقاً لمعلومات المبادرة المصرية فقد أخلي سبيلهم جميعاً بعد استجوابهم. تقول والدة سراج (وهو ابن أخت إسماعيل الحاج الذي تم توقيفه خلال الحملة الأولى)

«أمن الدولة جم البيت وأخدوا سراج بعد أسبوع من يوم ما أخدوا خاله إسماعيل. قعد شوية وسألوه حبة أسئلة ولما رجع ساب البلد وراح يشتغل بره»(٢).

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع إسماعيل الحاج، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع والدة سراج رشوان، رأس غارب، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

عادل الشاذلي: بلاغ غير كاذب

خلال هذه الفترة كان **عادل الشاذلي** وهو أحد الشيعة المقيمين في رأس غارب قد اتصل بالمبادرة المصرية وبعض الصحفيين وبالمنظمة العربية لحقوق الإنسان - حيث قال إنه عضو بها - لإبلاغهم بهذه الأحداث. وبينما كان فريق من باحثي المبادرة المصرية يستعد لزيارة رأس غارب للتحقيق في الواقعة والالتقاء بعادل تم اقتحام منزله في ليل ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٣م والقبض عليه. ومن وقتها لم يفرج عن عادل الشاذلي حتى أواخر يونيو ٢٠٠٤م.

وإلى جانب القبض على عادل الشاذلي بسبب معتقداته الدينية، فإنّ من المرجح أن يكون من أسباب اعتقاله الجهود التي بذلها في توثيق (انتهاكات حقوق المسلمين) الشيعة من رأس غارب ونقلها إلى الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان. خاصة وقد أخبر عادل مندوباً عن المبادرة المصرية فيما بعد أنه تم استجوابه لاحقاً بشأن حيازته لمطبوعات وكتب صادرة عن منظمات لحقوق الإنسان وكذلك هاتف وعنوان المنظمة العربية لحقوق الإنسان بالقاهرة[١].

وهو ما يضيف إلى الانتهاكات العديدة لحقوق عادل مخالفة واضحة لإعلان حماية المدافعين عن حقوق الإنسان والذي ضمنت فيه الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أن «لكل شخص الحق، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره في الاتصال بالمنظمات غير

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي، سجن وادي النطرون، ١٨ فبراير ٢٠٠٤.

الحكومية»[١]. كما تعهدت بحماية «حرية نشر الآراء والمعلومات والمعارف المتعلقة بجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية أو نقلها إلى الآخرين وإشاعتها بينهم»[٢].

أما آخر ضحايا حملة الاعتقالات التعسفية تلك. فكان كاشف الهلباوي الذي كانت مباحث أمن الدولة قد داهمت منزله في الحملة الأولىٰ لتكتشف أنه يعمل ويقيم بشكل شبه دائم بدولة قطر. وعند عودته في إجازة من عمله تم إلقاء القبض عليه بمطار القاهرة الدولي في ٣ مارس ٢٠٠٤م.[٣] غير أن مباحث أمن الدولة عادت وأطلقت سراحه بعد حوالي شهر من الاحتجاز. ولم يستطع باحثو المبادرة المصرية مقابلة كاشف الهلباوي للاستفسار عن مكان احتجازه طوال هذه الفترة أو طبيعة معاملته وظروف احتجازه واستجوابه.

ولكن لماذا بدأت هذه الحملة أصلاً؟ ولماذا في مدينة رأس غارب بالتحديد؟

كانت الرواية التي قدمتها صحيفة صوت الأمة في تقريرها عن بدء الحملة كالتالي:

«سبب الخلاف هو قيام على خليل بالصلاة على «شقفة»[٤]

---

(١) الإعلان المتعلق بحق ومسؤولية الأفراد والجماعات وهيئات المجتمع في تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية المعترف بها عالمياً، وثيقة الأمم المتحدة رقم A/RES / ٥٣/ ١٤٤، مادة ٥.

(٢) النص السابق، مادة ٦.

(٣) مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع شقيق كاشف الهلباوي في ١٤ مارس ٢٠٠٤م.

(٤) من الشائع لدى بعض فصائل المسلمين الشيعة الصلاة على دائرة من التربة=

يطلقون عليها التربة الحسينية داخل مسجد الإمام السجاد برأس غارب. وعندما رآه شقيقه [محمد] يصلي على هذا النحو دارت بينهما مشادة كلامية تحول بعدها إلى اتهام [محمد] خليل السلفي لشقيقه [علي] بالكفر والخروج عن الملة. ولما استمر علي بالصلاة على طريقته والتي تشبه طريقة الشيعة قام [محمد خليل] بإبلاغ مديرية الأوقاف عنه والتي قامت بندب مسئول لرد الشيخ علي خليل عن طريقته. ولما لم تفلح معه المحاولات وصل الأمر إلى مباحث أمن الدولة»(١).

ولا تختلف المعلومات التي حصلت عليها المبادرة المصرية أثناء إحدى زياراتها الميدانية لرأس غارب كثيراً عن هذه الرواية. حيث التقى باحثو المبادرة المصرية مع محمد خليل الذي ذكر اسمه في الموضوع الصحفي فقال:

«أنا في يوم فوجئت بأخويا بيصلي على شقفة. فقلت له ده شرك بالله. ولما لم يتعظ بلغت مدير أوقاف رأس غارب اللي بعد كده أظن أنه بلغ أمن الدولة(٢).

ويبدو من هذه القصة أن ضباط مباحث أمن الدولة ربما يكونون

= الجافة قطرها حوالي ١٠ ستيمترات ويكتب عليها أحياناً «التربة الحسينية».

(١) عبده مغربي، تفاصيل القبض على أحدث تنظيم شيعي في رأس غارب، صحيفة صوت الأمة، عدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد خليل، رأس غارب، ١٧ إبريل ٢٠٠٤.

قد بدأوا في التحري عن علي بعد أن وصلهم الخلاف بين الشقيقين علي ومحمد خليل. ومن هنا ربما يكونون قد اكتشفوا اعتناق عدد من أهالي المدينة للمذهب الشيعي فخطر لهم القبض على أكبر عدد منهم واتهامهم بتشكيل تنظيم كما يحدث عادة في مثل هذه القضايا[١].

وفي حال كان هذا هو السبب الحقيقي للقبض على شيعة رأس غارب، فإن هذا الأمر يثير عدة تساؤلات حول دور مدير الأوقاف- وهو مسئول حكومي- الذي رأى أن من واجبات وظيفته محاولة إثناء أحد المسلمين عن مذهب يعترف به الأزهر الذي تخرج منه مدير الأوقاف نفسه على الأغلب. ولما فشل في هذه المهمة التي لم يوكلها إليه أحد قام بإبلاغ مباحث أمن الدولة![٢].

من الغردقة إلى القاهرة

عندما قام **أحمد جمعة** بتسليم نفسه لفرع مباحث أمن الدولة بالغردقة خوفاً على أسرته، تم احتجازه قرابة عشرة أيام قبل ترحيله إلى فرع مباحث أمن الدولة بمدينة نصر في القاهرة. وعلم جمعة في هذه الفترة أن **محمد عمر** والذي كان قد اعتقل قبله قد تم ترحيله إلى القاهرة.

---

(١) كان علي خليل من ضمن من داهمت قوات مباحث امن الدولة منازلهم خلال الجولة الأولى من الاعتقالات. ورغم أنهم لم يعثروا عليه هذه المرة إلا أنه عاد وقام بتسليم نفسه فيما بعد وأطلق سراحه بعد فترة قصيرة من الاحتجاز.

(٢) لم يتمكن باحثو المبادرة المصرية من مقابلة مدير الأوقاف بمدينة رأس غارب.

يقول جمعة عن هذه الفترة:

«في الغردقة قلعوني كل حاجة إلا الكلسون. كنا في شهر ديسمبر والدنيا برد. وكان فيه ضابط اسمه عماد بيضربني بعصايا في الرايحة والجاية، والعساكر يلطشوني بإيديهم أثناء التحقيق. ده طبعاً غير سبي وسب آل البيت[١].

وعن التحقيق يقول:

«في العشر أيام دول حققوا معايا مرتين. أول مرة ساعتين وتاني مرة ساعة. سألوني عن انتمائي للمذهب الشيعي وقلت لهم إني شيعي جعفري. وسألوني عن أسماء أشخاص كتير من المعروفين بانتمائهم للمذهب الشيعي»[٢].

وفي مقابلة أخرى قال جمعة:

«كانوا قبل التحقيق يجوعوني يوم كامل. وبعدين يبدؤوا التحقيق متأخر بعد الساعة ١١ بالليل وما أرجعش الحجز إلى بعد الساعة اتنين صباحاً. كنت طول التحقيق متغمي وإيديا متكتفة ورا ضهري بحبل كهربا»[٣].

وفي نفس اليوم الذي تم فيه ترحيل أحمد جمعة إلى القاهرة، وصل عادل الشاذلي إلى فرع أمن الدولة بالغردقة. وكان على عادل أن يمر بمثل ما مر به من قبله جمعة وربما محمد عمر. وبعد ١٢ يوماً

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة، سجن وادي النطرون، ١ إبريل ٢٠٠٤.

(٢) النص السابق.

(٣) مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة، ٢ يونيو ٢٠٠٤.

قضاها عادل في الغردقة تم ترحيله إلى القاهرة ليجتمع المحتجزون الثلاثة عمر وجمعة والشاذلي بمقر أمن الدولة بمدينة نصر.

في مدينة نصر تم تجريد المعتقلين من ثيابهم مرة أخرى باستثناء ملابسهم الداخلية في صقيع يناير. ويحكي عادل عن التحقيق معه مرة واحدة هناك:

«سألوني عن التشيع وإن كانت لي علاقة بإيران ودول أخرى وسألوني عن أسماء أشخاص وعن كتب وجدوها عندي في البيت لما قبضوا عليا. أثناء التحقيق كنت متغمي ومتكتف وكان فيه ضرب بييجي من ورايا على ظهري وقفايا. وبعدين استخدموا الكهربا في فمي ووداني والقبل والدبر. وعملوا نفس الشيء مع محمد عمر. دلوقتي باجيب دم من مؤخرتي. ومحمد عمر رجله الشمال بتقف من الكهربا وأحياناً جنبه الشمال كله»(١).

ورغم أن هذه المقابلة التي أخبرنا فيها عادل عن وقائع تعذيبه بمدينة نصر تمت بعد أكثر من شهر من التحقيقات، فإن جسده كان لا يزال يرتجف بعنف من آن لآخر وهو يحدثنا من آثار الصعق الكهربي. كما كان في حالة نفسية سيئة للغاية وكانت دموعه تنهمر وهو يقص على باحثي المبادرة المصرية ما جرى معه هناك.

«كهربوني في مدينة نصر لغاية ما كنت هاموت من الألم. قلت للضابط اللي كان بيحقق معانا «عملنا ايه احنا؟ مش حرام؟

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي، سجن وادي النطرون، ١٨ فبراير ٢٠٠٤.

مسلمين احنا ولاّ كفرة؟» ورد عليا «انت هنا في مستشفى المجانين. أنا وظيفتي إني أجننك؟»[(١)].

من الانتهاكات المخالفة للقانون إلى الانتهاكات بموجب القانون

بينما كان التحقيق والتعذيب يجري في مدينة نصر، كانت المبادرة المصرية للحقوق الشخصية قد قامت بتوثيق الاعتقالات وزيارة مدينة رأس غارب وجمع المعلومات المتعلقة بالواقعة. وأصدرت المبادرة المصرية أول بيان صحفي حول الأحداث في ٥ يناير ٢٠٠٤ ضم أسماء المعتقلين الثلاثة وطالب بالإفراج الفوري عنهم بعد أن كان بعضهم وقتها قد قضى قرابة شهر كامل رهن الاحتجاز دون سند قانوني ودون العرض على أية سلطة قضائية[(٢)].

وفي اليوم التالي لصدور البيان الصحفي، تقدم محامو المبادرة المصرية ببلاغ إلى مكتب النائب العام في ٦ يناير ٢٠٠٤ تضمن المعلومات المتعلقة بالمعتقلين وأسماءهم[(٣)]. وطالبت المبادرة

---

(١) النص السابق.

(٢) انظر بيان المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، لابد من احترام حرية العقيدة وإطلاق الشيعة المحتجزين في البحر الأحمر، ٥ يناير ٢٠٠٤، موجود على http//:www.hrinfo.net/egypt/eipr/pr.040105.shtml, زيارة يوليو ٢٠٠٤.

(٣) تكفل المادة ٢٥ من قانون الإجراءات الجنائية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ «الكل من علم بوقوع جريمة، يجوز للنيابة العامة رفع الدعوى عنها بغير شكوى أو طلب، أن يبلغ النيابة العامة أو إحدى مأموري الضبط القضائي عنها». كما تمنح المادة ٤٣ من القانون نفسه الحق «الكل من علم بوجود محبوس بصفة غير قانونية، أو في محل غير مخصص للحبس أن يخطر أحد أعضاء النيابة العامة».

المصرية النائب العام بإصدار تعليماته بسرعة تحقيق هذه الوقائع والأمر بالإفراج الفوري عن المحتجزين دون وجه حق[١].

كما قامت المبادرة المصرية في الأسبوع نفسه برفع شكوى إلى المقرر الخاص بشأن حرية الدين والمعتقد بالأمم المتحدة، وطالبته المبادرة المصرية بالتدخل لدى الحكومة المصرية لضمان الإطلاق الفوري وغير المشروط للمعتقلين.

ويبدو أن خروج معلومات بشأن المعتقلين إلى العلن، واتخاذ إجراءات قانونية لمحاولة إخلاء سبيلهم قد أجبرت مباحث أمن الدولة على إنهاء حالة الاحتجاز غير القانوني للمعتقلين وإضفاء ثوب من الشرعية القانونية الزائفة على انتهاك حقهم في الحرية والأمان الشخصي والمحاكمة العادلة. وكما هي العادة في هذه الظروف لجأ جهاز مباحث أمن الدولة إلى صديقهم القديم: قانون الطوارئ!!

بعد حولي أسبوعين من التحقيقات والتعذيب بمدينة نصر تم ترحيل المعتقلين إلى محافظة قنا، وبعدها إلى مركز الشرطة بالغردقة حيث مكثوا دون تحقيق قرابة أسبوعين آخرين. وفي ليلة غير محددة في الأسبوع الأول من فبراير تم ترحيل المعتقلين الثلاثة إلى سجن وادي النطرون بعد أن أصدر وزير الداخلية قراراً باعتقالهم بموجب قانون الطوارئ[٢].

---

(١) قيد البلاغ بالمكتب الفني للنائب العام برقم ٢١٤ بتاريخ ٨ يناير ٢٠٠٤. ثم أرسل لمباحث أمن الدولة لاتخاذ اللازم برقم صادر ٢٧٥ في ١٠ يناير ٢٠٠٤. ولم تتلق المبادرة المصرية رداً على البلاغ حتى الآن.

(٢) تمنح المادة ٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٥٨ بشأن حالة الطوارئ، والمفروضة منذ عام ١٩٨١، لرئيس الجمهورية أو وزير الداخلية سلطة=

محمد الدريني: البحث عن زعيم

منذ بدء حملة مداهمات واعتقالات رأس غارب كان يبدو أن وراء الأحداث أحد ضباط أمن الدولة بالغردقة والذي ربما كان يرى فيما يقوم به إجراءاً وقائياً يتبع نهج الجهاز الذي ينتمي إليه في التعامل مع المنتمين إلى التيارات الدينية بشكل عام. غير أن الإبقاء على أحمد جمعة ومحمد عمر وعادل الشاذلي ثم ترحيلهم إلى القاهرة كان مؤشراً على أن جهاز أمن الدولة كان قد وجد في هؤلاء فرصة لنسج قضية جديدة من قضايا الإسلام السياسي، يتم فيها توجيه الاتهامات المعتادة من محاولة تكوين تنظيم سري إلى محاولة قلب نظام الحكم إلى تلقي التبرعات والاتصال بالخارج، الخ.

وهنا ظهرت الحاجة المعتادة إلى زعيم للتنظيم. وكان محمد الدريني المرشح المثالي لهذا المنصب بسبب ظهوره الإعلامي الواسع وحديثه الدائم للإعلام باسم شيعة مصر وإعلانه عن استضافة الوفود الشيعية من الخارج في مكتبه الذي يطلق عليه المجلس الأعلى لرعاية آل البيت والذي لا يحوز ترخيصاً رسمياً من أي من وزارات الدولة.

وفي فجر ٢١ مارس ٢٠٠٤ تم القبض على الدريني. وروت زوجته لباحثي المبادرة المصرية تفاصيل الاعتقال:

«الأول أمن الدولة جم هنا في الزيتون وفتشوا البيت وخدوا ٤٧ ألف جنيه وجهاز كمبيوتر وأوراق وكتب وجرايد وحاجات كانت على الحيطان. وخدوا بياناتنا الشخصية كلنا وحبسونا في غرفة واحدة وهم بيفتشوا ومنعونا نعمل أي اتصالات

= أن يأمر أي منهما كتابياً أو شفهياً بـ«القبض على المشتبه فيهم أو الخطرين على الأمن والنظام العام أو اعتقالهم».

تلفونية. وبعدين خدوا محمد وراحوا بيته التاني في المطرية وبرضه أخدوا حاجات من هناك. بعد كده راحوا المكتب وخدوا كمبيوتر وأوراق وشالوا اليفط من بره»[١].

وقال مصطفى، شقيق الدريني، لوكالة أنباء الأسوشيتد برس: «أن الضباط رفضوا أن يخبروا أسرة الدريني بمكان احتجازه. غير أنه أضاف أنه علم من أحد معارفه أنه موجود بأحد مقار أمن الدولة بالقاهرة»[٢].

وفي مقابلة لاحقة مع الدريني أخبر باحثي المبادرة المصرية بما حدث له بعد اعتقاله:

«أخدوني أمن الدولة في لاظوغلي وهناك قعدت يومين وبعدها حوالي ٤٠ يوم في فرع أمن الدولة في مدينة نصر هما فترة التحقيق. كنت متغمي ومتكتف وحافي وقاعد في الأرض طول الفترة دي»[٣].

وعن التحقيق

«سألوني عن المجلس [الأعلى لرعاية آل البيت] والجريدة بتاعته اللي كنت باطلعها. وعن اعتناقي للمذهب الشيعي، وعلاقتي بشخصيات شيعية كتير.

---

(١) مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد الدريني، ١٣ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) Muslim Shiite activist detained by Associated Press, - 34 Egyptian authorities, brother says, 23 March 2004.

(٣) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني، سجن وادي النطرون، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

دوقوني كافة أنواع التعذيب. لدرجة إني ما كنتش قادر أتحرك بشكل طبيعي إلا من تلات أيام بس. في اليوم التاني في لاظوغلي فيه ضربة جت على عيني اليمين ولسه بتوجعني وبتنزل منها الدموع طول الوقت»[١].

ثم عاد الدريني إلى مقر مباحث أمن الدولة بلاظوغلي لمدة ٢٠ يوماً. وبعد ما يقرب من شهرين من الاحتجاز غير القانوني، لحق الدريني بأحمد جمعة ومحمد عمر وعادل الشاذلي بسجن وادي النطرون.

داخل السجن

معظم المسجونين في معتقل وادي النطرون السياسي من المشتبه في انتمائهم إلى جماعات إسلامية متشددة والمعتقلين بموجب قانون الطوارئ لفترات مطولة دون اتهام أو محاكمة[٢].

---

(١) النص السابق.

(٢) تمتنع الحكومة المصرية عن إعلان الأعداد الحقيقية للمعتقلين، وإن كانت التقديرات غير الرسمية لعددهم تتراوح بين ١٢ألف و١٦ ألف معتقل قضى عدد كبير منهم أكثر من ١٠ سنوات رهن الاعتقال. للمزيد انظر مثلاً تقرير مركز حقوق الإنسان لمساعدة السجناء خلف جدار النسيان: بحث ميداني حول ظاهرة الاعتقال طويل الأجل وتأثيرها على المعتقلين وعائلاتهم والمجتمع المصري، متاح على http//www.hrcap.org/A_Reports/report17/ report.htm أو تقرير منظمة العفو الدولية Egypt: Indefinite detention and systematic torture: the forgotten victims متاح على http//:web/amnesty.org/ library/Index/ENGMDE120131996.2004 &?open of=ENG-EGY, زيارة يوليو ٢٠٠٤.

وفي إحدى الزيارات شكا عادل الشاذلي لباحثي المبادرة المصرية من تحرشات المعتقلين التكفيريين بهم ورفضهم التعامل معهم[١].

بينما أخبرنا محمد الدريني في زيارة لاحقة

التكفيريين في السجن بزعامة ياسر محمد فهمي بيتحرشوا بينا طول الوقت. وأنا قدمت شكوى ضدهم لإدارة السجن بدون أي استجابة. ولولا بعض المعتقلين من أبناء الفيوم اللي يعرفونا كنا ما وجدناش من يحمينا من المعتقلين التكفيريين[٢].

ووفقاً للمادة ٨٠ من القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ بشأن السجون فإنه «يجب على مدير السجن أو مأموره قبول أية شكوى جدية من المسجون، شفوية أو كتابية وإبلاغها إلى النيابة العامة أو الجهة المختصة بعد إثباتها في السجل المعد للشكاوى».

وفي ٣ يونيو ٢٠٠٤م بدأ محمد الدريني إضراباً عن الطعام مطالباً بمعرفة سبب اعتقاله، ومصير الأموال والأجهزة التي تمت مصادرتها منه دون إثباتها بأية محاضر.

إلا أن الدريني أخبر باحثي المبادرة المصرية أن إدارة السجن رغم إبلاغها بالإضراب تجاهلته لمدة ثلاثة أيام لم يزره خلالها أي

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي، سجن وادي النطرون، ١٨ فبراير ٢٠٠٤.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني، سجن وادي النطرون، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

مندوب من النيابة العامة ولم يعرض على طبيب السجن[١]. وفي ٦ يونيو قرر الدريني إنهاء الإضراب بعد أن وعده ضابط أمن الدولة المقدم ماهر طاحون بالاستجابة لمطالبه[٢].

انتهاك قانون الطوارئ!

عندما مر أكثر من شهر على تقديم المبادرة المصرية للحقوق الشخصية لبلاغها إلى النائب العام بشأن هذه القضية دون أي استجابة، وعندما علمت المبادرة المصرية بصدور قرارات اعتقال بحق المحتجزين الشيعة حصل محامو المبادرة المصرية على توكيلات من أقارب أحمد جمعة وعادل الشاذلي (ولاحقاً محمد الدريني) وبدؤوا في التظلم من قرارات الاعتقال هذه أمام محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ)[٣].

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني، سجن وادي النطرون، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) النص السابق.

(٣) تنص المادة ٣ مكرر من القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨٢ الصادر بتعديل قانون الطوارئ على أن «للمعتقل ولغيره من ذوي الشأن أن يتظلم من القبض أو الاعتقال إذا انقضى ثلاثون يوماً من تاريخ صدوره دون أن يفرج عنه، ويكون التظلم بطلب يقدم بدون رسوم إلى محكمة أمن الدولة العليا المشكلة وفقا لأحكام هذا القانون، وتفصل المحكمة في التظلم بقرار مسبب خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تقديم التظلم وذلك بعد سماع أقوال المقبوض عليه أو المعتقل وإلا تعين الإفراج عنه فوراً، ولوزير الداخلية في حالة صدور قرار بالإفراج أو في حالة عدم الفصل في التظلم. في الموعد المنصوص عليه في الفقرة السابقة أن يطعن على قرار الإفراج خلال خمسة عشر يوما من تاريخ تقديمه على أن يفصل فيه خلال خمسة عشر يوم=

غير أن وزارة الداخلية لم تحترم حتى قانون الطوارئ رغم كل ما يمثله من انتهاكات للحقوق القانونية للمعتقلين. ففي ١٢ فبراير ٢٠٠٤ حصل محامو المبادرة المصرية على حكم بإنهاء اعتقال عادل الشاذلي. وعندما اعترضت وزارة الداخلية على القرار عادت المحكمة وأصدرت نفس الحكم في ١١ مارس ٢٠٠٤[١].

ورغم ذلك لم تقم وزارة الداخلية بإطلاق سراح عادل. وإنما نقلته من السجن إلى عدة أقسام ومراكز للشرطة بمحافظة المنوفية. وبعد حوالي عشرة أيام

ركبت سيارة الترحيلات فوجدت محمد عمر اللي كان أخد إفراج زيي وخدتنا العربية على أمن الدولة في الغردقة. هناك قابلنا ضابط قال لنا هتخرجوا بشرط تقطعوا علاقتكم بالشيعة والصحافة وبتوع حقوق الإنسان وكل شيء. وبعدين كتبونا إقرارات بالابتعاد عن جميع المذاهب الإسلامية المتطرفة والالتزام بالنهج المعتدل [!]. وقضينا هناك ٢٠ يوم في قسم الشرطة منتظرين الإفراج عنا لكن لقيناهم رجعونا سجن وادي

= من تاريخ الإحالة وإلا وجب الإفراج عن المعتقل فورا، ويكون قرار المحكمة في هذه الحالة واجب النفاذ، وفي جميع الأحوال يكون لمن رفض تظلمه الحق في أن يتقدم بتظلم جديد كلما انقضى ثلاثون يوماً من تاريخ رفض التظلم.

(١) قيد التظلم برقم ٣٢٣٩/ . ٢٠٠٤ قام محامي المبادرة بالاطلاع على قرار الاعتقال الذي لم يكن يحمل توقيع وزير الداخلية أو خاتم الدولة. كما لم يكن القرار يحمل رقماً. كل ما جاء في القرار أن يحجز عادل محمد الشاذلي «بمكان أمين» وأن «المذكور من عناصر النشاط المتطرف الساعية لترويج أفكارهم المتطرفة في أوساط المحيطين».

النطرون تاني[(١)].

وفي ٢٦ إبريل ٢٠٠٤م نظرت نفس المحكمة تظلماً جديداً أقامه محامو المبادرة المصرية ضد القرار الجديد باعتقال عادل، غير أنه رُفض لعدم مرور ٣٠ يوماً على صدور القرار الجديد. وهو ما يعني أن عادل قضى بضعة أسابيع أخرى من الاحتجاز غير القانوني منذ صدور قرار الإفراج النهائي عنه في ١١ مارس قبل صدور قرار الاعتقال الجديد[(٢)]. ثم عاد المحامون لتقديم تظلم جديد نُظر بجلسة ١٤ يونيو ٢٠٠٤ [(٣)] لتقرر محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) من جديد الإفراج عن عادل ويعود إلى منزله أخيراً في أواخر شهر يونيو.

أما **أحمد جمعة** فقد مر بالقصة نفسها تقريباً وإن كان أسعد

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي، سجن وادي النطرون، ١٣ إبريل ٢٠٠٤. من الممارسات الشائعة لوزارة الداخلية عند صدور حكم قضائي بإطلاق معتقل أن يتم نقله من المعتقل واحتجازه بأحد أقسام الشرطة أو مقار مباحث أمن الدولة لحين صدور قرار اعتقال إداري جديد. وبهذه الطريقة تحتفظ وزارة الداخلية بما يتراوح بين ١٢ و١٦ ألف معتقل إداري رغم حصول الكثيرين منهم على العشرات من قرارات الإفراج. للمزيد حول ظاهرة الاعتقال المتكرر في مصر انظر مثلاً تقرير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان الاعتقال السياسي سياسة الباب المغلق والاعتقال الجنائي سياسة الباب الدوار، متاح على http//:www.eohr.org/ar/report/2003/r1.htm أو تقرير مركز حقوق الإنسان لمساعدة السجناء الاعتقال عقوبة أبدية: تقرير حول ظاهرة الاعتقال المتكرر في مصر مؤيد بالوثائق والمستندات الرسمية، متاح على http// www.hrcap.org/A_Reports/report08/report.htm:، زيارة يوليو ٢٠٠٤.

(٢) قيد التظلم برقم ١٣٥٥٧/ ٢٠٠٤.

(٣) قيد التظلم برقم ١٩١١٤/ ٢٠٠٤

حظاً بأن عاد إلى منزله قبل عادل بشهرين. فقد تظلم محامو المبادرة المصرية من قرار اعتقاله ونُظر التظلم بجلسة ١٠ مارس ٢٠٠٤ وأمرت محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) بالإفراج عنه. واعترضت وزارة الداخلية كالعادة وخسرت طعنها بتاريخ ٣ إبريل ٢٠٠٤[١].

وفي اليوم التالي ترك أحمد جمعة السجن غير أنه قضى ٢٥ يوماً من التجوال على أقسام الشرطة بمحافظة المنوفية ثم كان عليه أن يقضي ثمانية أيام أخرى من الاحتجاز غير القانوني بالغردقة قبل أن يسمح له بالعودة إلى منزله في ٢٩ إبريل ٢٠٠٤. أي بعد أكثر من أربعة أشهر[٢].

قضى جمعة أربعة أشهر محتجزاً وقضى عادل ستة أشهر، وخلال هذه الفترة لم يعرض أي منهما على النيابة العامة مرة واحدة ولم يوجه إليهما اتهام. بعد خروجه قال جمعة:

«بعد أربع أشهر مش عارف ليه خدوني ومش عارف ليه سابوني. لما رجعت توشكي صاحبة الشغل مارضيتش ترجعني لشغلي طبعاً وقالت لي إنها مش عايزة مشاكل مع الأمن»[٣].

وبينما كان جمعة يطوف بأقسام المنوفية والبحر الأحمر دون منطق تقدم محامو المبادرة المصرية ببلاغهم الثاني لمكتب النائب

---

(١) قيد التظلم برقم ٦٤٣٩/ ٢٠٠٤.

(٢) قبل إطلاق سراحه طلب ضابط أمن الدولة من أحمد جمعة الحصول على أسماء نشطاء حقوق الإنسان الذين سيتصلون به بعد خروجه من واقع بطاقاتهم الشخصية وإبلاغها للضابط. مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة، ٢ يونيو ٢٠٠٤.

(٣) مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة، ٢ يونيو ٢٠٠٤.

العام في ٦ إبريل ٢٠٠٤، حيث طالبوا بإجلاء مصير محمد الدريني الذي كان وقتها مازال بأمن الدولة وإحالته إلى المحكمة المختصة أو الإفراج الفوري وغير المشروط عنه[١]. كما طالب البلاغ بالإفراج الفوري عن المعتقلين الثلاثة الآخرين تنفيذاً لقرارات المحكمة المختصة[٢]. وكما حدث مع سابقه، لم يأتِ أي رد على البلاغ[٣].

وبالنسبة لمحمد الدريني فإن من المؤكد أن قراراً باعتقاله لم يصدر إلا بعد ما يقرب من شهرين من احتجازه بشكل غير قانوني بمباحث أمن الدولة. فأثناء محاولة المبادرة المصرية معرفة وضعه القانوني، تقدم محامو المبادرة المصرية بتظلم من قرار اعتقاله، غير أن التظلم حُفظ في ٣ مايو ٢٠٠٤ لعدم وجود قرار اعتقال رغم كونه رهن الاحتجاز منذ ٢٢ مارس[٤]. كما أن زوجة الدريني ذهبت للاستفسار عنه بأمن الدولة في لاظوغلي يوم ٩ مايو ٢٠٠٤ فأخبرها ضابط أنه ليس في لاظوغلي وأن «الموضوع منتظر قرار الوزير»[٥].

---

(١) وفقاً للمادة ٢٨٠ من قانون العقوبات رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ فإن «كل من قبض على أي شخص أو احتبسه أو حجزه بدون أمر أحد الحكام المختصين بذلك بيعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه».

(٢) تنص المادة ١٢٣من قانون العقوبات على أن «يعاقب بالحبس كل موظف عمومي استعمل سلطة وظيفته في [ب] وقف تنفيذ حكم أو أمر صادر من المحكمة [ب]».

(٣) أحيل البلاغ لمكتب مساعد النائب العام للتعاون الدولي وتنفيذ الأحكام ورعاية المسجونين برقم ٤٦٣٠ في ٧ إبريل ٢٠٠٤.

(٤) قيد التظلم برقم ١٤١٢٢/ ٢٠٠٤.

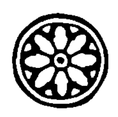
(٥) مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد الدريني، ١١ مايو ٢٠٠٤.

وفي التظلم التالي حكمت محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) بالإفراج عن الدريني في ٨ يونيو ٢٠٠٤[١]. ، وتم تأييد نفس القرار بجلسة ٥ يوليو بعد اعتراض وزارة الداخلية. غير أن القرار لم ينفذ حتى الآن.

ومازال كل من محمد الدريني ومحمد (حمام) عمر في سجن وادي النطرون. غير أن تنفيذ القرارات المتتالية بالإفراج عنهما وإن كان أولويةً لا يجب التأخر فيها لحظة إضافية واحدة، لا يجب أن يعني ببساطة إغلاق ملف القضية.

لقد شهد المحتجزون في هذه الأحداث تشكيلة واسعة من انتهاكات حقوقهم شملت القبض التعسفي، والاحتجاز غير القانوني بمعزل عن العالم الخارجي، والتعذيب وسوء المعاملة، والاعتداء على حقهم في حرية المعتقد وفي الخصوصية، وانتهاء بالاعتقال الإداري المتكرر وانتهاك حقهم في الحرية وفي المحاكمة العادلة. لا بد من التحقيق في كل هذه الانتهاكات ومحاسبة من تثبت مسئوليته عنها.

والفصل القادم سيبين بجلاء كيف أن السماح لمرتكبي انتهاكات مثيلة في الماضي بالإفلات من العقاب هو الذي سمح لها بالتكرار الآن. وبالمثل، فإن السماح للجناة بالإفلات الآن سيعني منح ضوء أخضر لهم بتكرار جرائمهم.



(١) قيد التظلم برقم ١٨١٤٠/ ٢٠٠٤.

الفصل الثاني

السوابق: ١٩٨٨-٢٠٠٢

لا يمكن فهم أحداث رأس غارب التي تم تفصيلها في الفصل السابق من هذا التقرير بمعزل عن الوقائع المشابهة لها والتي وقعت على مدار الخمسة عشر سنة الماضية. إن هذا الفصل يقدم أول توثيق مستقل لأربع حملات من الاعتقالات التي وقعت في صفوف المسلمين الشيعة في مصر منذ عام ١٩٨٨م وحتى ما قبل أحداث رأس غارب عام ٢٠٠٤م. وإن كانت هذه الحملات اختلفت من حيث الحجم وبعض التفاصيل، فإنها تشترك في اتباع نمط واحد من الانتهاكات ينتهي دوماً بإخلاء سبيل المعتقلين دون تعويضهم أو حتى التحقيق في شكاواهم بشأن ما مروا به. يحاول هذا الفصل كشف ذلك النمط سعياً لإيقافه وإسماع صوت ضحاياه.

١- قضية ٢٠٠٢

في نوفمبر ٢٠٠٢ نشرت صحيفة أسبوعية تحقيقاً بعنوان «ليست نكتة.. مسيحي في تنظيم شيعي بالزقازيق!»[1]. وجاء في تفاصيل الخبر: أن ثلاثة من المصريين هم محمود يوسف إبراهيم (مدرس)

(١) عبده مغربي، ليست نكتة..مسيحي في تنظيم شيعي بالزقازيق، صحيفة صوت الأمة، عدد ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢.

ويحيى شفيق (موظف وعامل إعلانات) وسمير يوسف توفيق (صاحب مطبعة) تمت إحالتهم إلى نيابة الزقازيق في محافظة الشرقية «بتهمة الانتماء إلى تنظيم شيعي لقلب نظام الحكم وطبع كتب دينية تدعو إلى فكر الشيعة بدون تصريح من الأزهر»[١].

بعد الإفراج عن الثلاثة التقى باحثو المبادرة المصرية للحقوق الشخصية بيحيى شفيق[٢] الذي روى قصة اعتقاله:

«اعتدنا أنا ومحمود يوسف في كل سنة قبل معرض الكتاب أن نطبع كتيبات حول آل البيت ونوزعهم على المكتبات لعرضهم في المعرض. والسنة دي طبعنا حوالي ٥٠٠٠ نسخة في مطبعة في الزقازيق عند واحد مسيحي اسمه سمير يوسف. وكنت رايح بيت محمود في الزقازيق عشان نروح ناخد الكتب من المطبعة ونقرَّبهم لبيتي في القاهرة في اليوم اللي اتقبض علينا فيه. كان يوم ٤ نوفمبر قبل بداية رمضان بيومين. أول ما خرجنا من بيت محمود ووقفنا في الشارع ننتظر عربية لقينا سيارتين ماشيين ورانا. وبعدين وقفونا وكان في سيارة منهم العقيد عبد الفتاح الهادي بتاع أمن الدولة في الزقازيق. لما جم يقبضوا علينا كانوا لابسين مدني فالأهالي وجيران محمود حاولوا يتدخلوا لكن أمن الدولة ضربونا بالطبنجات على راسنا وحطوا كل واحد فينا في دواسة العربية من ناحية وواحد من

(١) عبده مغربي، ليست نكتة. .مسيحي في تنظيم شيعي بالزقازيق، صحيفة صوت الأمة، عدد ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢.

(٢) كان يحيى شفيق متهماً في أول قضية ضد الشيعة في مصر عام ١٩٨٨ كما سيرد أدناه.

المخبرين قاعد وحاطط رجليه فوقه[١].

وبعد وصول يحيى ومحمود إلى مكتب أمن الدولة بالزقازيق وجدوا سمير يوسف صاحب المطبعة مقبوضاً عليه معهم. وبدأ التحقيق.

«أول ما وصلنا أمرونا بخلع كل ملابسنا وتركونا بس بالملابس الداخلية. حققوا معايا ساعتين أول يوم وساعتين تاني يوم. سألوني عن التشيع والكتب والشيعة في مصر وكل حاجة. كنت متغمي وإيديا مربوطة ورا ظهري وكان الضرب نازل على قفايا وظهري من ورايا. وبعدين لفوا سلك كهربا بشريط لاصق حوالين العضو الذكري وابتدوا يكهربوني فيه. وهو بيكهربني كان الضابط بيقول لي «انت متجوز اتنين يا بن الشرموطة؟ أنا هاطلعك من هنا تنام جنبهم زي المَرَة». الألم كان شديد كنت باقع على الأرض وأعض على رجلين الكرسي من شدة الألم»[٢].

وفي اليوم الثالث تم اصطحاب الثلاثة إلى نيابة ديرب نجم بالشرقية حيث تم التحقيق معهم بمعرفة صالح حماد وكيل النيابة[٣]. والغريب أن التحقيق معهم ليس فقط في غياب محامين وإنما أيضاً في حضور ضابط أمن الدولة عبد الفتاح الهادي الذي يتهمونه بتعذيبهم. ورغم ذلك فقد تملك محمود يوسف الشجاعة لعرض آثار

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢.

(٢) النص السابق.

(٣) النص السابق.

تعذيبه على وكيل النيابة. غير أن الأخير لم يقم بإحالته إلى الطب الشرعي لتوثيق هذه العلامات قبل زوالها. ونقل تقرير صحفي حول التحقيقات أن ضابط أمن الدولة أنكر علاقته بعلامات التعذيب وأعلن أمام وكيل النيابة أنه كان يتابع الثلاثة منذ شهرين وأنهم جزء من تنظيم أكبر جار حصره وضبط أعضائه(١).

ووفقاً ليحيى شفيق فقد وجه إليهم وكيل النيابة اتهامات تضمنت الانخراط والمساعدة على قيام تنظيم شيعي، وطباعة منشورات تدعو للفكر الشيعي وبلبلة الفكر السني بغرض تعطيل أحكام الدستور(٢).

وفي الساعة الخامسة صباحاً بعد يومين من الاحتجاز ذهب الثلاثة إلى قسم شرطة ديرب نجم على أن يعودوا في الصباح إلى النيابة. وعند عودتهم تم إخلاء سبيل كل من يحيى شفيق وسمير توفيق بكفالة مائتي جنيه، بينما أمرت النيابة بحبس محمود يوسف ١٥ يوماً على ذمة التحقيق(٣). وفي مساء ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٢م قررت

(١) عبده مغربي، ليست نكتة.. مسيحي في تنظيم شيعي بالزقازيق، صحيفة صوت الأمة، عدد ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢.

(٣) في مقابلة لاحقة قال يحيى شفيق أن محمود يوسف تم استبقاؤه رهن الاحتجاز مدة أطول نظراً لأن سمير يوسف صاحب المطبعة تعرف عليه وشهد أنه كان ينقل له ملازم الكتب والأموال اللازمة لطباعتها. مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

النيابة العامة بمدينة ديرب نجم الإفراج عن محمود يوسف[(١)].

غير أن يحيى شفيق كان عليه الانتظار قليلاً رغم قرار إخلاء السبيل.

«دفعت الكفالة في نفس اليوم فقيدوا إيديا وغموني وخدوني تاني أمن الدولة أنا وسمير. سمير انصرف على طول لكن أنا ابتدوا تاني يضربوني بدون سبب بالاقلام على وشي وشتيمة في أبويا وأمي. الضرب استمر حوالي ساعتين وبعدين خرجت حوالي الساعة تلاتة الفجر[(٢)].

ولم تكن هذه نهاية القصة بالنسبة ليحيى.

«رجعت بيتي في القاهرة الفجر وفي صباح نفس اليوم جالي استدعاء من أمن الدولة في القاهرة. ذهبت مكتب أمن الدولة اللي في قسم شرطة الخصوص في المرج وهناك غموا عنيا تاني وفيه ضابط سألني عن كل اللي حصل وسبب القبض عليا، وقال لي «انت مش عايز تتوب؟ انت مش عارف ان النيابة دي بتاعتنا ولو عايزين نحبسكم محدش هيعرف يطلعكم؟» وبعدين رجعت البيت[(٣)].

---

(١) عبد الحفيظ حسن، النيابة المصرية تفرج عن متهم بعضوية «تنظيم شيعي» يسعى لقلب نظام الحكم، صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢.

(٣) النص السابق.

ورغم مرور أكثر من عام ونصف على إخلاء سبيل المتهمين، لا يزال ملف القضية مفتوحاً دون توجيه اتهام رسمي لأي منهم. كما لم يتم التحقيق في وقائع التعذيب الذي تعرضوا له على يد ضابط بأمن الدولة رغم إدلائهم باسمه وإثباتهم لتعرضهم للتعذيب في محضر رسمي أمام النيابة[١].

٢- قضية ١٩٩٦:

تعد قضية عام ١٩٩٦ التي اتهم فيها ٥٦ من المسلمين الشيعة آخر قضية تم فيها اعتقال مثل هذا العدد الكبير من الشيعة في مصر وتوجيه اتهامات سياسية لهم بمحاولة قلب نظام الحكم، بمصاحبة حملة إعلامية ضخمة رافقت كافة مراحل التحقيق. ويأخذ توثيق وقائع هذه القضية أهميةً خاصةً لهذا السبب، وكذلك للحداثة النسبية لهذه القضية، وكونها حافلة بالتفاصيل التي تجعل منها حالة نموذجية لتعامل السلطات مع المسلمين الشيعة في مصر عند اعتقالهم.

وقائع القضية بدأت عندما ألقي القبض على (الشيخ حسن شحاته) في ١١ سبتمبر ١٩٩٦[٢]. وكان شحاته وقتها يعمل إماماً لمسجد كوبري الجامعة بمحافظة الجيزة، كما كان له برنامج في التلفزيون الرسمي بعنوان «أسماء الله الحسنى». وبعد القبض عليه نقلت الصحف الرسمية أن تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا أثبتت قيامه «بدور رئيسي في تنفيذ المخطط الشيعي داخل مصر للترويج

(١) تم تسجيل القضية برقم ٤٩٢ لسنة ٢٠٠٣ حصر أمن دولة عليا.

(٢) وائل الأبراشي، الشيعة والأزهر والداخلية، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٠ ديسمبر ١٩٩٦.

للفكر الإيراني وتدريس مبادئه في أوساط المرتبطين به، واستقطاب عدد من العناصر لمعاونته»[١].

ولم يكن من الواضح وقتها سبب القبض على حسن شحاته بعد أن كان خطيباً معيناً بأحد مساجد وزارة الأوقاف وكان له حضور في الإعلام الرسمي للدولة. غير أن نص التحقيق معه أمام نيابة أمن الدولة والذي تم تسريبه إلى الصحافة ونشر فيما بعد. تضمن إشارة إلى بلاغ قدّمه ضد شحاته أستاذ للدراسات الإسلامية بجامعة قناة السويس يدعى محمد فؤاد شاكر يتهم فيه الأخير شحاته بالإساءة للصحابة وتحريف الفكر الإسلامي[٢]. كما جاء على لسان شحاته نفسه سبب آخر في معرض رده على التهم المنسوبة إليه:

[. . . وقد يكون أحد أسباب اتهامي أنني قلت في إحدى خطبي إن آفة المجتمع اليوم هي الكذب وطالبت بضرورة أن تقوم أجهزة الأمن وجميع أجهزة الدولة والأفراد بتحري الصدق [ب] وعقب هذه الخطبة تم استدعائي من قبل مباحث أمن الدولة في ١٠/ ١١/ ١٩٩٥ وتقابلت مع أحد الضباط واستمرت الجلسة نصف ساعة وانتهى الموضوع على ذلك . . .][٣].

وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦ نقلت الصحف نبأ القبض على ٥٥ متهماً آخرين أطلقت عليهم الصحف «قيادات التنظيم الشيعي» في

---

(١) الأهرام، إمام مسجد كوبري الجامعة له دور رئيسي في نشر الفكر الشيعي، عدد ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦.

(٢ - ٣) وائل الأبراشي، الشيعة والأزهر والداخلية، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٠ ديسمبر ١٩٩٦.

خمس محافظات مختلفة[١]، إضافة إلى ١٤ متهماً آخرين اعتبروا هاربين مطلوبين في نفس القضية[٢].

وتضمنت قائمة الاتهامات التي وجهت للمقبوض عليهم «الإضرار بالسلام الاجتماعي، وإثارة الفتنة، وازدراء أحد الأديان السماوية، والانضمام إلى تنظيم غير مشروع الغرض منه تعطيل أحكام الدستور والقانون»[٣].

ومع تواتر التصريحات الأمنية حول اتصال المقبوض عليهم بإيران. سارعت الحكومة الإيرانية بنفي صلتها بالمقبوض عليهم وتكذيب التصريحات الأمنية عن كون بعضهم سافر إلى إيران وتلقى تدريبات نظرية وتنظيمية هناك[٤]. كما أن المتهمين أنفسهم نفوا أن يكونوا قد التقوا من قبل بالشيخ حسن شحاته الذي قُدم على أنه زعيم التنظيم[٥].

وبدا من التسريبات والأخبار التي نشرتها الصحف وقتها كون

---

(١) الأهرام، القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعي في خمس محافظات، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

(٢) أحمد موسى، إرسال الكتب والأبحاث المضبوطة مع التنظيم الشيعي للأزهر الشريف لفحصها وتقديم تقرير للنيابة، الأهرام، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٩٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وكالة الأنباء الفرنسية، إيران تنفي علاقتها بالتنظيم الشيعي المصري، صحيفة القبس، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

(٥) وائل الأبراشي، مفاجآت في قضيتي شيخ كوبري الجامعة والتنظيم الشيعي، مجلة روز اليوسف، عدد ٤ نوفمبر ١٩٩٦.

القضية في واقع الأمر مبنية على استهداف المعتقدات الدينية للمتهمين ومحاكمتهم عليها، مع خلو أوراق القضية من أي دليل على وجود صلات لهؤلاء الأفراد بالخارج أو تلقيهم أي أموال أو تشكيلهم أي تنظيمات. فقد نقلت صحيفة الأهرام عن مصدر بمباحث أمن الدولة عقب القبض على المتهمين: أنهم كانوا يستهدفون:

> **الترويج للفكر الشيعي والتحريف في ثوابت الدين الحنيف بهدف تفريق الأمة الإسلامية والدعوة لبعض الأفكار المنحرفة. حيث كانوا يبيحون زواج المتعة طبقاً للعرف الشيعي، بشرط ألا تكون المرأة في عصمة رجل آخر[ب] كما أن الفكر الشيعي يضيف عبارات خلال الأذان للصلوات غير الأذان الشرعي [. . .]** [١]

وفي نفس العدد من الصحيفة جاء أن مجلس الوزراء استعرض تقريراً قدمه وزير الداخلية حول القضية، قبل أن يتخذ المجلس قراراً «بتشكيل لجنة من وزراء الإعلام والعدل والداخلية والثقافة والأوقاف ومجلسي الشعب والشورى وشئون مجلس الوزراء لدراسة التشريعات التي تتصدى لانتشار هذه الأفكار التي تمس قيم الإسلام»[٢]. وبعد ذلك ببضعة أيام نشرت صحيفة أخرى أن وزير الداخلية أصدر «تعليمات مشددة بمراقبة بعض خطباء المساجد بعين الحذر خوفاً من تسلل أعضاء التنظيم الشيعي الذي تم ضبطه مؤخراً

---

(١) الأهرام، القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعي في خمس محافظات، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

(٢) الأهرام، القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعي في خمس محافظات، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

إلى المنابر»[١]. بل إن نيابة أمن الدولة العليا قامت بإرسال جميع الكتب والمضبوطات إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف «لفحص المضبوطات وما تتضمنه من أفكار ومدى التحقير أو الازدراء بأي من الأديان السماوية»[٢].

غير أن كل الشواهد السابقة على كون القضية تفتيشاً في الضمائر وانتهاكاً لخصوصية المواطنين تضاءلت إلى جانب محتويات ملف القضية نفسه الذي تسرب إلى الصحافة. وقامت مجلة روز اليوسف الأسبوعية القومية بنشر بعض وثائقه في حلقات.

كان من ضمن هذه الوثائق مثلاً مذكرة المعلومات التي قدمتها مباحث أمن الدولة إلى النيابة لتبرير القبض على المتهمين. وتضمنت هذه المذكرة اتهام المطلوبين:

«بأنهم يسجدون خلال الصلاة على قطعة من الحجر، ويحرمون الصلاة على المنسوج، وأنهم يتوضأون بطريقة مختلفة عن المذهب السني، [...] وأنهم لا يقولون (آمين) في نهاية الفاتحة»[٣].

كما اتهمت مذكرة المباحث المطلوبين بالتالي:

---

(١) صحيفة العربي، مصدر أمني: مراقبة خطباء المساجد، عدد ٢٨ أكتوبر ١٩٩٦.

(٢) أحمد موسى، إرسال الكتب والأبحاث المضبوطة مع التنظيم الشيعي للأزهر الشريف لفحصها وتقديم تقرير للنيابة، الأهرام، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٩٦.

(٣) وائل الأبراشي، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي الأخير، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

- المناداة بأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام المعين من قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وسلم، وأن الأئمة الإثنا عشر هم أبناء علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي المنتظر الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى وهو في الخامسة من عمره، ويطلق على ذلك الغيبة الصغرى، ثم رحل في مرحلة الغيبة الكبرى حتى يظهر آخر الزمان.
- وجوب التقليد واتباع مرجع ديني يستفتونه في أمورهم الدينية والفقهية ويدفعون له خمس دخلهم.
- الاعتقاد بفكرة ولاية الفقيه التي تقوم على أن المرجع الديني هو أحق الناس بالحكم والإنابة عن الإمام الغائب لحين ظهوره.
- استحلال زواج المتعة لعدم تحريمه بسند من القرآن الكريم.
- تشديد الهجوم على الفكر اليهودي.
- إن مصدر التلقي هو القرآن والسنة، وأن السنة هي ما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أي من الأئمة الإثني عشر من قول أو فعل أو تقرير(١).

وبعد أن انتهى محرر التقرير الصحفي من النقل عن مذكرة المباحث، يعلق متعجباً:

إذن مذكرة المعلومات المقدمة من مباحث أمن الدولة إلى

---

(١) وائل الأبراشي، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي الأخير، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

النيابة، والتي تعتبر هي الأساس الذي انبنى عليه التحقيق تحاكم المذهب الشيعي نفسه، وتحاكم أفكاره ومبادئه التي تحولت إلى اتهامات، وتحول معتنقوها إلى متهمين بالترويج لأفكار متطرفة وازدراء الدين الإسلامي... إلخ. إذن الداخلية تحاكم المذهب الشيعي الذي أفتى الأزهر رسمياً بجواز التعبد به لا تحاكم تنظيماً سرياً يعمل لحساب إيران لإقامة النموذج الإيراني في مصر... وأصبح ضباط الشرطة هم الذين يحددون صحة إسلام البعض من عدمه، وهم الذين يقررون مطابقة المذهب الشيعي للإسلام أو مخالفته له. فيتحول المسلم الذي لا يقول (آمين) بعد قراءة الفاتحة إلى متهم بازدراء الدين الإسلامي، وتتحول الكتب الشيعية إلى مضبوطات خطيرة مثلها مثل القنابل والمتفجرات!![1].

ثم نشرت المجلة مقتطفات من تحقيقات النيابة مع بعض المتهمين. وكان من ضمن الأسئلة التي وردت في التحقيقات:

- ما هي الركائز التي يقوم عليها الفكر الشيعي؟
- ما أوجه الخلاف بين الفكر الشيعي ومذهب أهل السنة؟
- ما هي الأدلة الشرعية لاستحلال زواج المتعة؟
- وما هي الأدلة الشرعية على إمامة الإثنى عشر إماماً؟
- وما هي الأدلة الشرعية على طريقة الوضوء وفقاً للمذهب الشيعي؟

---

(١) وائل الأبراشي، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي الأخير، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

- وما هو الدليل الشرعي على عدم جواز قول (آمين) في نهاية الفاتحة؟
- ما هي كيفية أدائك للصلاة؟
- ما موقفك من الصحابة؟
- ما موقفك من اليهود؟
- هل سبق لك الاطلاع على كتب الفكر الشيعي؟
- ما مدى اقتناعك بفكرة المهدي المنتظر؟
- هل تروج للفكر[١].

ثم ينتهي التحقيق بالعبارة المكررة مع الجميع والتي لا علاقة لها بهذه الأسئلة العقائدية في أغلبها أو إجاباتهم عنها:

أنت متهم بالانضمام إلى جماعة سرية غير مشروعة، الغرض منها تعطيل أعمال الدستور والقوانين ومنع مؤسسات الدولة من ممارسة أعمالها[ب] أنت متهم أيضاً باستغلال الدين في الترويج لأفكار متطرفة[٢].

كان من بين المقبوض عليهم في هذه القضية الدكتور **أحمد راسم النفيس**، والذي أصبح الآن أستاذاً مساعداً بكلية طب المنصورة. وقد روى النفيس لباحثي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية خبرته في هذه القضية.

---

(١) وائل الأبراشي، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي الأخير، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

(٢) وائل الأبراشي، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي الأخير، مجلة روز اليوسف، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

«خدوني من هنا من المنصورة أنا ومجموعة تانية ورحنا على مكتب أمن الدولة في المنصورة. قضينا هناك ليلة واحدة وبعدها رحلونا على أمن الدولة في لاظوغلي [في القاهرة]. قلعونا كل ملابسنا ما عدا الداخلية وقضينا هناك أسبوعين متكلبشين وعيوننا متغمية وقاعدين على الأرض. طول الأسبوعين ضرب وتعذيب بالكهرباء على يد المحققين. وبعد العرض على النيابة طلعنا على عنابر سجن استقبال طرة. ما كانش فيه تعذيب هناك لكن كنا محبوسين بدون أي فسح. والزيارات كانت قليلة ومحتاجة لوسايط كبيرة ولولا هذه الزيارات الشحيحة كنا هلكنا جوعاً. العنابر الجديدة كانت كلها خرسانة وتهويتها سيئة وبعض من كانوا معنا خرجوا مصابين بالسل(١)».

بعد أكثر من شهرين من الاحتجاز على ذمة التحقيقات حصلت أول مجموعة على قرار بالإفراج في ٩ يناير ١٩٩٧ وكان من بينهم الدكتور أحمد راسم النفيس(٢). ثم تتابع الإفراج التدريجي عن باقي أعضاء المجموعة. وكان الشيخ حسن شحاته الزعيم المزعوم للتنظيم الوهمي أخر من أخلي سبيله في شهر مارس ١٩٩٧، أي بعد ستة أشهر من الاحتجاز، دون أن يوجه إليه اتهام أو يحال إلى المحاكمة. ولا يعلم أحد حتى هذه اللحظة ما إذا كان ملف القضية

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس، المنصورة، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس، المنصورة، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

قد أغلق أم أنه لا يزال مفتوحاً. غير أن المؤكد أن أياً من مزاعم التعذيب الذي تعرض له المحتجزون بمقر أمن الدولة بلاظوغلي لم يتم التحقيق فيه بعد.

٣- قضية ١٩٨٩:

لم تكن قضية ١٩٩٦ القضية الأولى التي يحبس على ذمتها الدكتور أحمد راسم النفيس. فقبلها بحوالي سبع سنوات كان قد تعرض للاعتقال ضمن مجموعة من ٤١ من المسلمين الشيعة تم اتهامهم بتشكيل تنظيم شيعي بالإضافة إلى ١٦ آخرين هاربين.

تم القبض على هذه المجموعة في ٢ أغسطس ١٩٨٩. غير أنهم احتجزوا بمعزل عن العالم الخارجي ولم تعلن الدولة عن اعتقالهم لأكثر من أسبوعين، وهي المدة التي استغرقتها التحقيقات المصحوبة بالتعذيب، وفقاً لرواية شاهد عيان هو الدكتور النفيس.

«قبل القبض عليا بيوم سمعت إن فيه ناس اتقبض عليهم في طنطا والمحلة، وكانوا ناس اعرفهم بالأسامي فقط. اتقبض عليا هنا في المنصورة ولما رحت أمن الدولة قالوا لي أن فيه تنظيم وإن بعض الناس اعترفوا عليا. أخدوني على طنطا بعدها أنا ومجموعة من المنصورة وهناك قابلت مهندس القضية اللي كان نفس ضابط أمن الدولة اللي عذبني لما اتقبض عليا لوحدي سنة ١٩٨٧ بعد محاولة اغتيال [وزير الداخلية الأسبق] حسن أبو باشا. قعدنا في طنطا حوالي أسبوع أنا شخصياً لم أتعرض أثناءه للتعذيب لأني كنت أعرف أحد الضباط وقلت له أنا أحملك المسئولية شخصياً عن أي إيذاء يقع لي. ورغم إني

شخصياً لم أعذب لكن رأيت بعيني وسمعت تعذيب أعضاء آخرين في المجموعة المقبوض عليها. كنت أسمع صراخ زملائي وهما بيتكهربوا وهم معلقين في السقف. بعدها رحلونا على القاهرة واتقسمنا مجموعتين واحدة كانت في سجن أبو زعبل الصناعي وأنا كنت فيها، والتانية كانت في سجن استقبال طرة»(١).

وفي ٢١ أغسطس ١٩٨٩ قررت الدولة أخيراً الإعلان في القبض على هذه المجموعة. جاء الإعلان على لسان النائب العام وقتها المستشار جمال شومان الذي صرح لوكالة رويترز بأن «التنظيم» يضم ٥٢ مصرياً وأربعة سعوديين وإيرانياً، وأنهم كانوا، كالعادة، يهدفون «إلى ترويج الفكر الشيعي في الأوساط الجماهيرية ذات الاتجاهات المتطرفة كما يهدف إلى القيام بأعمال عدائية ضد بعض المصالح الأمريكية والإسرائيلية والسعودية والكويتية في مصر متمثلة في سفارات هذه الدول وشركات طيرانها»(٢).

غير أن صحيفة الأهرام الرسمية لم تلبث أن أعلنت السبب الرئيسي لاعتقال هؤلاء الأفراد، حيث نقلت عن مصدر بنيابة أمن الدولة العليا أن التحقيقات قد كشفت عن:

«اعتناق أعضاء التنظيم للمذهب الشيعي الجعفري الذي

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس، المنصورة، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) رويترز، اعتقال ٤١ شخصاً في مصر بتهمة تأسيس تنظيم شيعي سري لقلب نظام الحكم، صحيفة الرأي، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩.

يتعارض مع السنة النبوية الشريفة ويسب الصحابة والسيرة النبوية»[١].

ويبدو واضحاً من متابعة الصحف الصادرة وقتها أن القبض على هذا «التنظيم» الشيعي الجديد كان جزءاً من سياسة أمنية تهدف إلى ضرب كافة أشكال الاختلاف وتحويلها إلى قضايا تحوز تغطية إعلامية مكثفة، يتم خلالها تشويه صورة المقبوض عليهم وادعاء ارتباطهم بقوى خارجية تحاول زعزعة أمن البلاد. ويظهر ذلك من توازي القبض على هذه المجموعة مع القبض على مجموعة من اليساريين بعد القمع الرسمي العنيف لإضراب عمال مصانع الحديد والصلب. وكانت اللغة التي استخدمتها وزارة الداخلية في الحديث عن المجموعتين متشابهة إلى درجة التطابق. بل إن عدد المقبوض عليهم في التنظيمين كان واحداً وهو ٥٢ متهماً[٢]. ووصل الارتباط بين القضيتين إلى ذروته حين تحدث عنهما وزير الداخلية وقتها زكي بدر بعد صلاة الجمعة بأحد مساجد منطقة عين شمس، حيث جاء في الخبر الصحفي عن اللقاء:

«أكد زكي بدر وزير الداخلية أننا ضد التطرف بأشكاله المختلفة

---

(١) الأهرام، التحقيق مع تنظيم شيعي متطرف تابع لإيران يضم ٥٢ متهماً، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩.

(٢) من الصدفة أن هذا هو نفس عدد الرجال الذين قبض عليهم في مايو ٢٠٠١ وحوكموا في القضية المعروفة باسم (الكوين بوت) بتهمة تكوين تنظيم لازدراء الأديان وممارسة الفجور. واتضح فيما بعد وهمية هذا التنظيم كسابقيه وأن هؤلاء الرجال تم اعتقالهم للاشتباه في كونهم مثليين جنسياً.

وأن أجهزة الأمن ضبطت خلال الأيام القليلة الماضية تنظيمين استهدفا الإخلال بالأمن والتخريب وإثارة الجماهير. أحدهما التنظيم الشيعي [ب] وسافر بعض أعضائه للتدريب في سوريا وقبرص على أعمال التخريب في مصر. والآخر تنظيم شيوعي في بلد إسلامي لا تصلح به المبادئ الشيوعية [ب] أطلق على نفسه اسم «حزب العمال الشيوعي المصري» استهدف أمن مصر والتحريض على الثورة وقلب نظام الحكم مستغلين رغيف العيش والأسعار في إثارة الجماهير»[١].

وبعد ثلاثة أشهر ونصف قضاها الدكتور أحمد راسم النفيس في سجن أبو زعبل الصناعي على ذمة القضية تم الإفراج عنه مع رفاقه المقبوض عليهم دون توجيه اتهام لأحد[٢].

٤- قضية ١٩٨٨:

شهد عام ١٩٨٨م أول قضية يقبض فيها على «تنظيم شيعي» في مصر. وما حدث في هذه القضية رسخ معالم جميع القضايا اللاحقة التي تم عرضها أعلاه حتى ٢٠٠٤م.

التفاصيل واحدة: القبض على مجموعة من الأفراد المشتبه في انتمائهم أو تحولهم للمذهب الشيعي. ثم التعذيب الجماعي

---

(١) حسن الشايب، زكي بدر مع المصلين في عين شمس: أطنان المنشورات مع التنظيم الشيوعي، تدريبات على التخريب للتنظيم الشيعي، صحيفة الجمهورية، ٢٦ أغسطس ١٩٨٩.

(٢) تم تسجيل القضية برقم ٤٩٦/ ٨٩ أمن دولة عليا ومن غير الواضح ما إذا كان ملفها حفظ ام لايزال مفتوحاً.

للمقبوض عليهم أثناء التحقيق. بعدها يأتي تسريب أنباء التحقيقات للإعلام مصحوبة باتهامات العمالة للخارج.

وبعد فترة الاعتقال المطول يأتي الإفراج دون اتهام أو محاكمة وأيضاً دون تعويض أو حتى اعتذار.

شملت هذه القضية، التي أطلقت عليها بعض الصحف قضية «التنظيم الخميني»، ٢٠ متهماً محبوساً وتسعة هاربين تم القبض عليهم في شهر يونيو من عام ١٩٨٨[١]. كان من بين هؤلاء يحيى شفيق الذي ألقي القبض عليه بعدها في قضية الزقازيق عام ٢٠٠٢. التقت المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى الذي روى ما حدث له:

«خدوني من البيت على زنزانة في مكتب لأمن الدولة عند مساكن أبو زعبل. كنت متغمي وإيديا متكلبشة ورا ظهري. وقبل التحقيق قلعوني كل هدومي سابوني بس بالملابس الداخلية. وأنا واقف كان الضابط بيسألني عن أسامي ناس كتير مقبوض عليهم معايا وكذا إيد من ورا تنزل على قفايا مع كل سؤال بمنتهى القسوة كنت باحس إن روحي هتطلع مع كل قفا[٢].

لم يتعرض يحيى هذه المرة للصعق الكهربي. كان هذا ينتظره

---

(١) جمال عقل، اتهام التنظيم الخميني هذا الأسبوع، صحيفة الجمهورية، عدد ٩ يوليو ١٩٨٨.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

بعد أربعة عشر عاماً في قضية الزقازيق. لكنه تحدث عن التعذيب الجماعي للمقبوض عليهم بالضرب بالأيدي والأرجل والعصي بشكل لم يترك آثاراً تسوغ إحالتهم للطب الشرعي.

قضى يحيى ورفاقه قرابة خمسة أشهر في هذه القضية بين نيابة أمن الدولة وسجن أبي زعبل الصناعي قبل أن تخلي نيابة أمن الدولة العليا سبيلهم جميعاً بعد اكتشاف عدم وجود قضية من الأساس. غير أن حياة يحيى شفيق لم تعد كسابق عهدها قبل القبض عليه لأول مرة، حيث بدأ ما يطلق عليه سنوات الاستضافة الإجبارية بأمن الدولة منذ الإفراج عنه في نهاية ١٩٨٨.

٥ - الاستدعاءات و«الاستضافات»:

منذ خروج يحيى شفيق من سجن أبو زعبل الصناعي في عام ١٩٨٨ بدأ رجال مباحث أمن الدولة في استدعائه للتحقيق عدة مرات في السنة.

وروى يحيى لباحثي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية كيف كان يتم استدعاؤه كلما حدث تغيير في صفوف ضباط أمن الدولة وجاء ضابط جديد، حيث يتم إجباره على الذهاب لتقديم نفسه للمسئول الجديد. وهذا بخلاف المرات العديدة التي تعرض فيها يحيى للقبض «الوقائي». يقول:

«تقريباً مفيش ولا شهر رمضان قضيته مع أسرتي. أول ما ييجي رمضان ياخدوني يقعدوني عندهم في أمن الدولة من غير تحقيق ولا أسئلة. ويطلعوني تاني أو تالت يوم العيد. أول ما أوصل يقلعوني ويسيبوني مرمي في الحبس. في الأيام التانية

اقعد ١٥-٢٠ يوم وبعدين أطلع»[١].

أما في الاستدعاءات

«المخبر ييجي البيت يقول لي كلم البيه. أروح تاني يوم الساعة ٩ صباحاً وافضل قاعد لغاية ٣ صباحاً تاني يوم على كرسي وبعدين يقولوا لي تعالى بكرة تاني»[٢].

وعندما كان يسمح ليحيى أخيراً بمقابلة الضابط الذي أرسل في طلبه.

«يقعد يسألني بتقابل مين؟ وبتشوف فلان أو علان؟ ويسألني عن المذهب الشيعي، وإذا كنت لسه باصلي على شقفة. إيه رأيك في عمر بن الخطاب؟ وهكذا»[٣].

وتؤثر هذه الاستدعاءات والاعتقالات بطبيعة الحال على الحياة اليومية ليحيى الذي يعيش مع أسرة كبيرة مكونة من زوجتين و١٤ ابناً وبنتاً. يقول:

«أنا باشتغل في عمل اللافتات والإعلانات. كل ما يبدأ حالي يتعدل ويجيني شغل يبعتوا يطلبوني أو ييجو ياخدوني وترجع الحالة زي الأول تاني. لغاية ما بقيت باعتمد على إيراد ورشة تصليح السيارات بتاعة ابني»[٤].

وروى يحيى للمبادرة كيف اضطر للانتقال مع أسرته من مسكنهم ١١ مرة منذ تحوله للمذهب الشيعي عام ١٩٨٢ لكي يتفادى

(١ - ٤) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

الاعتقالات والاستدعاءات المتكررة بما يعيد للأذهان صور الفارين بدينهم في العصور الوسطى ولكن.

«كانوا دايماً بيقدروا يستدلوا على عنواني الجديد من ملفات أولادي اللي كنت بانقلها بين المدارس. لدرجة إني في وقت من الأوقات منعت ولادي من الذهاب للمدارس علشان أمن الدولة ما يعرفوش طريقي»(١).

ورغم أن الاستدعاءات لمقابلة ضباط أمن الدولة غير ملزمة وغير قانونية، فإن يحيى دائماً يخشى من عواقب تخلفه عن الذهاب

«لو ما رحتش ممكن يعملوا لي قضية. أو يقبضوا عليا ويقعدوني عندهم من غير ما حد يسأل فيا, وبخاف يقبضوا على أسرتي لو أنا هربت. أو يضربوني بالنار ويقولوا عنصر هارب من الجماعات المتطرفة وقاوم الشرطة فأطلقت عليه النار. اتنقلت بين القاهرة والقليوبية والشرقية وبرضه مفيش فايدة. دلوقتي خلاص استسلمت وعرفت إن ده قدري».

لكن هذا لا ينبغي أن يكون قدر يحيى شفيق. فمن حقه أن يعيش في أمان مع أسرته وأن يهتم بعمله في الحياة دون رعب في انتظار الاستدعاء القادم أو الاعتقال التالي. من حقه أن يعتنق من المذاهب ما شاء وأن يمارس حياته الدينية دون تدخل من الدولة. ومن حقه أن يرى من اعتدوا عليه وانتهكوا حقوقه عبر سنوات يلقون حسابهم.

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

الفصل الثالث
الشيعة وحرية المعتقد
في القانون والممارسة الديني والسياسي

في كل مرة تعرض المسلمون الشيعة في مصر للاعتقال كانت أسباب سياسية تساق لتبرير هذه الاعتقالات. وكانت الاتهامات العشوائية تتشابه دائماً مع تلك التي يواجه بها المقبوض عليهم في قضايا التنظيمات الدينية في مصر: تشكيل تنظيم محظور، أو الاتصال بدول أو تنظيمات أجنبية، أو تلقي الأموال أو التدريبات من الخارج، أو محاولة نشر أفكار متطرفة، إلى آخر القائمة المعتادة.

غير أن القضايا الخمسة الكبيرة التي صممتها مباحث أمن الدولة على مدى ١٦ عاماً وتم عرضها في هذا التقرير بالتفصيل انتهت جميعاً بإخلاء سبيل المتهمين دون محاكمة أو توجيه اتهام من الأصل. رغم حملة التشويه العلني للمقبوض عليهم والتي صاحبت كل واحدة من هذه القضايا.

وقد يكون مرجع الصعوبة في تقديم المقبوض عليهم للمحاكمة في كل هذه القضايا أنهم جميعاً كانوا ينتمون للمذهب المعروف بالشيعة الإمامية الإثناعشرية أو الجعفرية، والذي أفتى الأزهر بجواز التعبد به منذ أوائل ستينات القرن الماضي(١).

---

(١) انظر خلفية (١) حول الشيعة في مصر في مقدمة التقرير.

وبغض النظر عن الأسباب السياسية التي يتم إعلانها كلما تم القبض على شيعة مصريين، فإن الأسباب الدينية لهذه الاعتقالات سرعان ما تظهر سواء في شكل تصريحات أو إهانات معادية للمذهب الشيعي نفسه، أو توجيه الأسئلة المتطفلة حول المعتقدات الدينية للمتهمين أو المقبوض عليهم، أو حتى محاولة تغيير معتقداتهم في بعض الحالات.

والأمثلة أكثر من أن تحصى على التعصب الديني لضباط أمن الدولة ضد الشيعة. فالدكتور أحمد راسم النفيس يروى مقابلة ذات دلالة مع الضابط الذي أجرى معه التحقيق قبيل الإفراج عنه عام ١٩٩٧.

«قبل ما أخرج ضابط أمن الدولة قال لي «هافضل متابعك ولو عملت أي حاجة هتشوف هاعمل فيك إيه. أنا مستعد أغفر لأعضاء الجماعة الإسلامية رغم إنهم بيقتلونا لكن ما أغفرش لك لأن الجماعة الإسلامية على نفس عقيدتي»(١).

وقبل هذه الواقعة يتذكر الدكتور النفيس كيف كان ضباط أمن الدولة أثناء التحقيق في قضية ١٩٨٩ يعذبون زميله محمود دحروج.

«كان وهو متعلق يقولوا له «يا ابن الكلب بتسبوا الصحابة؟ بتسبوا عمر بن الخطاب أول من أذن على الكعبة يا ولاد الكلب؟»(٢).

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس، المنصورة، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) النص السابق.

وقد عرضناه في الفصل الثاني من هذا التقرير كيف نقلت صحيفة الأهرام عن مصدر بنيابة أمن الدولة العليا أن سبب اعتقال المتهمين في نفس القضية عام ٨٩ هو «اعتناق أعضاء التنظيم للمذهب الشيعي الجعفري الذي يتعارض مع السنة النبوية الشريفة ويسب الصحابة والسيرة النبوية»[١].

وفي تقرير صحفي عن واقعة القبض على محمد الدريني في أحداث ٢٠٠٤ نقلت صحيفة صوت الأمة عن أحد أقارب الدريني الذي شهد القبض عليه أن أحد ضباط الأمن الذين ألقوا القبض على الدريني سأله «مش عاجبك تفسير القرآن يا دريني؟ عايز تفسره من جديد؟»[٢].

كما أن أحمد جمعة المقبوض عليه مع مجموعة رأس غارب في العام ذاته شكا لباحثي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية كيف كان ضباط أمن الدولة يتعمدون سبّه وسبّ آل البيت أثناء التحقيقات[٣]. وروى لنا زميله عادل الشاذلي كيف أُجبر مع أحمد جمعة في الغردقة على كتابة إقرارات «بالابتعاد عن جميع المذاهب الإسلامية المتطرفة والالتزام بالنهج المعتدل»[٤].

---

(١) الأهرام، التحقيق مع تنظيم شيعي متطرف تابع لإيران يضم ٥٢ متهماً، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩.

(٢) عبده مغربي، وقائع عملية القبض على أمين مجلس رعاية آل البيت، صحيفة صوت الأمة، عدد ٢٩ مارس ٢٠٠٤.

(٣) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة، سجن وادي النطرون، ١ إبريل ٢٠٠٤.

(٤) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي، سجن وادي النطرون، ١٣ إبريل ٢٠٠٤.

وإلى جانب هذا التعصب الديني البغيض وازدراء الأديان المجرم قانوناً [١]، فإن كلاً من ضباط مباحث أمن الدولة ووكلاء نيابة أمن الدولة العليا لم يتورعون أثناء التحقيقات عن انتهاك خصوصيات المقبوض عليهم والتفتيش في ضمائرهم ومعتقداتهم بحثاً عن دليل إدانة ما. **فيحيى شفيق** مثلاً يروي كيف تعرض لتحقيق مفصل ومتكرر حول معتقداته كشيعي في كل مرة يتم القبض عليه أو يستدعى لمقابلة أحد ضباط مباحث أمن الدولة. فيواجه أسئلة من قبيل «إيه رأيك في عمر بن الخطاب؟» و«لسه بتصلي على الشقفة ولا بطلت؟»[٢]. وهي نفس الأسئلة التي تم توجيهها إلى **إسماعيل الحاج** حين تم توقيفه ضمن المجموعة الأولي من موقوفي رأس غارب في ديسمبر ٢٠٠٤. وهذا بالطبع بعد توجيه السؤال الأكثر شيوعاً: «**بتصلي ازاي؟**».

وكان المثال الصارخ على محاكم التفتيش التي ينصبها وكلاء نيابة أمن الدولة العليا للمسلمين الشيعة هي القائمة الطويلة من الأسئلة الدينية البحتة التي تم توجيهها لبعض المقبوض عليهم في قضية ١٩٩٦ والتي تم عرضها في الفصل الثاني من هذا التقرير. حيث تضمنت هذه القائمة أسئلة من قبيل «ما هو الدليل الشرعي على عدم جواز قول (آمين) في نهاية الفاتحة؟» و«ما هي كيفية أدائك للصلاة؟» و«ما موقفك من الصحابة؟».

---

(١) تعاقب المادة ٩٨ (و) من قانون العقوبات المصري كل من قام بـ«تحقير أو ازدراء أحد الأديان السماوية أو الطوائف المنتمية إليها» بالحبس بين ستة أشهر وخمس سنوات والغرامة بين خمسمائة وألف جنيه مصري.

(٢) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

غير أن هذا الشكل المزعج من الاعتداء على الحق في حرية المعتقد يتوارى خجلاً إلى جانب محاولة بعض ضباط أمن الدولة تغيير المعتقدات الدينية للمقبوض عليهم. فالدكتور أحمد راسم النفيس يحكي: أن أحد الضباط عرض عليه أثناء التحقيق أن يأتي له بأحد شيوخ الأزهر ليناقشه في معتقداته بغرض إرجاعه للمذهب السني[(١)].

وفي مناسبة أخرى قال له ضابط آخر صراحة! «إحنا مش عاوزين في مصر وهابيين ولا شيعة [!]»[(٢)].

بينما يروي يحيى شفيق كيف سأله ضابط أمن الدولة بالقاهرة بعد إخلاء سبيله في قضية ٢٠٠٢: «إنت مش عايز تتوب؟»[(٣)].

ويضيف يحيى:

«في الاستدعاءات ضابط أمن الدولة يسألني عن المذهب الشيعي أقول له يا بيه ده مذهب خامس ويجوز التعبد بيه والأزهر بيعترف بيه فيقول لي «مذهب خامس يا بن الكلب؟ ده مذهب مبتدع مالهوش أصل». وواحد تاني يفضل يقول لي «يا له ده انت على الباطل. ده مذهب عبد الله بن سبأ. انتوا بتحرفوا القرآن وتكفروا أمهات المؤمنين وتغيروا ترتيب سور القرآن. مش ناوي ترجع للحق؟»[(٤)].

---

(١) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس، المنصورة، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢.

(٤) مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق، القاهرة، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

في القانون

يضمن الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١ حماية حرية العقيدة، حيث تنص المادة ٤٦ من الدستور على أن «تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية.» كما يضمن الدستور المصري المساواة بين المواطنين في ممارسة جميع الحقوق والحريات التي ينص عليها ويجرم التمييز بين المواطنين على أسس عدة، من بينها الدين والعقيدة[١]. وإضافة إلى الحماية الدستورية، فإن الحكومة المصرية تخضع لالتزام قانوني بضمان وحماية حرية الدين والعقيدة بعد تصديقها على كل من **العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في عام ١٩٨٢، والميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب في عام** ١٩٨٤[٢]. حيث تنص المادة ١٨(١) من العهد الدولي على أن:

«لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين. ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة»[٣].

---

(١) نص المادة ٤٠ من الدستور المصري: «المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة».

(٢) وفقاً للمادة ١٥١ من الدستور المصري فإن الاتفاقيات الدولية تكون لها قوة القانون الداخلي بعد التصديق عليها ونشرها.

(٣) العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، متاح بالعربية على http// www1.umn.edu/humanrts/arab/b003.html زيارة يوليو ٢٠٠٤.

كما تضمن المادة ٨ من الميثاق الأفريقي أن «حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية مكفولة»[(١)].

ويشترك الدستور المصري مع العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في اعتبارهما الحق في عدم التعرض للإكراه بسبب المعتقد الديني أو من أجل تغييره المكون الأساسي لحرية الدين والمعتقد. فقد قالت المحكمة الدستورية العليا في مصر في معرض تفسيرها لأبعاد ومكونات الحماية الدستورية للحق في حرية العقيدة إن:

هذه الحرية ـ في أصلها ـ تعنى ألا يحمل الشخص على القبول بعقيدة لا يؤمن بها أو التنصل من عقيدة دخل فيها أو الإعلان عنها [ب] ولا يجوز كذلك في المفهوم الحق لحرية العقيدة [ب] أن تيسر الدولة - سراً أو علانية - الانضمام إلى عقيدة ترعاها إرهاقاً لآخرين من الدخول في سواها ولا أن يكون تدخلها بالجزاء عقاباً لمن يلوذون بعقيدة لا تصطفيها»[. . .][(٢)].

وبالمثل فإن المادة ١٨(٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية تجرم «تعريض أحد لإكراه من شأنه أن يخل بحريته في أن يدين بدين ما، أو بحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره».

---

(١) الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، متاح بالعربية على http:// www1.umn.edu/humanrts/arab/b003.html، زيارة يوليو ٢٠٠٤.

(٢) حكم المحكمة الدستورية العليا في الطعن رقم ٨ للسنة القضائية ١٧، صدر بتاريخ ١٨ مايو ١٩٩٦. قضت المحكمة في هذا الحكم برفض الطعن بعدم دستورية قرار لوزير التعليم بتنظيم ارتداء طالبات المدارس لغطاء الرأس بناء على مخالفته لحرية العقيدة.

وفي التفسير الرسمي لمحتوى الحق في حرية الدين والعقيدة قالت **لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان**، وهي الهيئة المسؤولة عن تفسير ومراقبة تنفيذ العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية:

(حرية كل إنسان في أن «يكون له أو يعتنق» أي دين أو معتقد تنطوي بالضرورة على حرية اختيار دين أو معتقد، وهي تشمل الحق في التحول من دين أو معتقد إلى آخر أو في اعتناق آراء إلحادية، فضلاً عن حق المرء في الاحتفاظ بدينه أو معتقده. وتمنع المادة ١٨-٢ الإكراه الذي من شأنه أن يخل بحق الفرد في أن يدين بدين أو معتقد أو أن يعتنق ديناً أو معتقداً، بما في ذلك التهديد باستخدام القوة أو العقوبات الجزائية لإجبار المؤمنين أو غير المؤمنين على التقيد بمعتقداتهم الدينية والإخلاص لطوائفهم، أو على الارتداد عن دينهم أو معتقداتهم أو التحول عنها)[١].

ومثلما نصت المحكمة الدستورية العليا في حكمها المذكور أعلاه على أن حرية العقيدة «لا قيد عليها»[٢]، فإن المادة ٤(٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية تمنع فرض أية قيود على حرية العقيدة حتى في أوقات الطوارئ العامة. وهو نفس الرأي الذي ردده **المقرر الخاص لحرية الدين والمعتقد لدى الأمم المتحدة** عندما حذر من «ردود الفعل العاطفية» تجاه تهديد الإرهاب والتي «أطاحت

(١) لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، التعليق العام رقم ٢٢، الدورة رقم ٤٨ (١٩٩٣)، وثيقة الأمم المتحدة رقم HRI/GEN/1/Rev.5.
(٢) حكم المحكمة الدستورية العليا، السابق.

بعيداً بالمنطق»، وأكد أن «الإرهاب والتطرف يجب أن يحاربا، ولكن هذه الحرب لا ينبغي أن تبرر أي فعل»[(١)].

ومن ثم فإن التحقيق مع المعتقلين في قضايا الشيعة بشأن معتقداتهم الدينية بأسئلة من نوع «بتصلي إزاي؟» أو محاولة إثنائهم عنها بأسئلة من نوع «مش ناوي تتوب؟» أو تعريضهم للاعتقال والتعذيب بسبب معتقداتهم الدينية أو بغرض تغييرها كلها تعد انتهاكاً للمسئولية القانونية للدولة عن حماية حق هؤلاء الأفراد في حرية الدين والعقيدة، حتى لو تم ذلك أثناء فرض حالة طوارئ أو شن حرب مزعومة على الإرهاب.

كما أكدت المحكمة الدستورية العليا على كون حرية ممارسة الشعائر الدينية جزءاً لا يتجزأ من الحق في حرية العقيدة، حيث قالت:

«إن [. . .] حرية العقيدة لا يجوز فصلها عن حرية ممارسة شعائرها، وهو ما حمل الدستور على أن يضم هاتين الحريتين في جملة واحدة جرت بها مادته السادسة والأربعون بما نصت عليه من أن حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية مكفولتان وهو ما يعنى تكاملهما وأنهما قسيمان لا ينفصلان وأن ثانيتهما تمثل مظاهر أولاهما باعتبارها انتقالاً بالعقيدة من مجرد الإيمان واختلاجها في الوجدان إلى التعبير عن محتواها

---

(١) 'OSCE religion conference opens with call for respect of religious freedom in fight against terrorism,' a press release available at http//www.osce.org/news/generate.php3?news_id=3431، زيارة يوليو ٢٠٠٤.

عملاً ليكون تطبيقها حياً فلا تكمن في الصدور [ب]»[(١)].

وهو نفس المعنى المتضمن في المادة ١٨(١) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية التي أكدت على حرية الإنسان «في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة».

وبينما لا يجوز فرض أية قيود على حرية العقيدة، فإن الدستور المصري والقانون الدولي يسمحان بتقييد حرية إقامة الشعائر في ظروف معينة وبضمانات محددة. فالمحكمة الدستورية أضافت في الحكم ذاته.

«[. . .] ومن ثم ساغ القول بأن أولاهما [حرية العقيدة] لا قيد عليها وأن ثانيتهما [حرية إقامة الشعائر] يجوز تقييدها من خلال تنظيمها توكيداً لبعض المصالح العليا التي ترتبط بها وبوجه خاص ما يتصل منها بصون النظام العام والقيم الأدبية وحماية حقوق الآخرين وحرياتهم»[(٢)].

أما العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية فكان أكثر تحديداً للأسباب التي يجوز على أساسها تقييد حرية ممارسة الشعائر. فقد حصرتها المادة ١٨(٣) من العهد في الأسباب «التي تكون ضرورية لحماية السلامة العامة أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو حقوق الآخرين وحرياتهم الأساسية». ثم أضافت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان ضمانات أخرى حين نصت على أن:

---

(١) حكم المحكمة الدستورية العليا، السابق.

(٢) المصدر السابق.

[. . .] القيود المفروضة يجب أن ينص عليها القانون كما يجب عدم تطبيقها على نحو يبطل الحقوق المكفولة.

في المادة ١٨[بشأن حرية الدين والمعتقد]. وتلاحظ اللجنة أنه ينبغي تفسير الفقرة ٣ من المادة ١٨ تفسيرا دقيقاً: فلا يسمح بفرض قيود لأسباب غير محددة فيها، حتى لو كان يسمح بها كقيود على حقوق أخرى محمية في العهد، مثل الأمن القومي. ولا يجوز تطبيق القيود إلا للأغراض التي وضعت من أجلها، كما يجب أن تتعلق مباشرة بالغرض المحدد الذي تستند إليه وأن تكون متناسبة معه. ولا يجوز فرض القيود لأغراض تمييزية أو تطبيقها بطريقة تمييزية[1].

وبالنسبة للميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب فقد خلا من أية ضمانات ضد التوسع في القيود المفروضة على حرية العقيدة أو ممارسة الشعائر. فقد نصت المادة ٨ من الميثاق على أنه:

«لا يجوز تعريض أحد لإجراءات تقيد ممارسة هذه الحريات، مع مراعاة القانون والنظام العام.» وبالرغم من هذا السقف المنخفض للحماية فإنه يبدو أن توجه اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب، والمنوط بها مراقبة تنفيذ الميثاق والحكم في الشكاوى المقدمة ضد الدول بشأن انتهاكه، هو السماح للدول بتقييد حرية ممارسة الشعائر فقط في حال كون هذه الشعائر تمثل «تهديداً للقانون

---

(١) لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، التعليق العام رقم ٢٢، السابق، التوكيد من الكاتب.

والنظام»[١].

ومن هنا فإن القبض على الشيعة أو التحقيق معهم بـ«تهمة» الصلاة على شقفة، أو الجهر باتباع المذهب الشيعي، أو الإيمان بفكرة المهدي المنتظر، الخ تمثل تقييداً مجرماً بموجب الدستور المصري - حيث لا يحقق أياً من «المصالح العليا» التي تحدثت عنها المحكمة الدستورية العليا - وكذلك القانون الدولي لعدم وقوعه تحت أي من الأسباب التي تبرر التقييد.

كما أن الدولة ترتكب انتهاكاً صارخاً لحق المواطنين في الخصوصية عندما تستجوبهم بشأن معتقداتهم الدينية وتفتش في ضمائرهم بحثاً عن دليل إدانة. وقد أظهرت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان العلاقة بين الحق في حرية المعتقد والحق في الخصوصية عندما أحالت في تعليقها العام عن المادة ١٨ من العهد الدولي الخاصة بحرية الدين والمعتقد إلى المادة ١٧ من العهد والخاصة بالحق في الخصوصية لتؤكد أنه:

> **«وفقا للمادتين ١٨-٢ و١٧ [من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية] لا يمكن إجبار أي شخص على الكشف عن أفكاره أو عن انتمائه إلى دين أو عقيدة»[٢].**

وكانت اللجنة من قبل في شرحها لمعنى الحق في الخصوصية

---

(١) انظر مثلاً الحكم الصادر في ١٠ فبراير ١٩٩٥ في الشكوى المقدمة ضد زائير من كل من جماعة المساعدة القانونية المجانية ولجنة المحامين لحقوق الإنسان والاتحاد عبر الأفريقي لحقوق الإنسان وجماعة شهود يهوه.

(٢) لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، التعليق العام رقم ٢٢، السابق.

قد أكدت على هذه الحقيقة الهامة:

«وحيث أن جميع الأشخاص يعيشون في المجتمع، فإن حماية الحياة الخاصة مسألة نسبية بالضرورة، بيد أنه ينبغي ألا يكون بمقدور السلطات العامة المختصة أن تطلب من المعلومات المتعلقة بالحياة الخاصة للفرد إلا ما يكون معرفته ضرورياً حرصاً على مصالح المجتمع على النحو المفهوم بموجب العهد»[١].

ومن نافلة القول أن توجيه مباحث ونيابة أمن الدولة أسئلة من قبيل «بتصلي إزاي؟» أو «هل تؤمن بالمذهب الشيعي؟» أو «هل تقول أمين في نهاية الفاتحة؟» لا يمثل أي معلومات ضرورية «حرصاً على مصالح المجتمع». كما أن نفس الحماية لخصوصية المعتقد الديني أكدتها المحكمة الدستورية العليا حين قالت: - إن حرية العقيدة تعني - ضمن ما تعني- ألا يحمل الشخص على الإعلان عن عقيدته[٢].

كما أن المبادرة المصرية للحقوق الشخصية ترى أن حماية الحق في الخصوصية بموجب الدستور المصري والقانون الدولي تشمل كذلك حماية الحق في حرية الدين والمعتقد وفي الحفاظ على خصوصية المعتقد الديني. فالدستور المصري ينص في المادة ٤٥

(١) لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، التعليق العام رقم ١٦، الدورة رقم ٣٢ (١٩٨٨)، وثيقة الأمم المتحدة رقم HRI/GEN/1/Rev.5. التوكيد من الكاتب.

(٢) حكم المحكمة الدستورية العليا، السابق.

على أن: «الحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها القانون». كما تنص مادته رقم ٥٧ على أن: «كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم، وتكفل الدولة تعويضا عادلا لمن وقع عليه الاعتداء».

والمحكمة الدستورية العليا في تفسيرها لنطاق الحرية الشخصية التي يحميها الدستور قالت إن مجال هذه الحرية هو «ما يكون لصيقاً بالشخصية، مرتبطاً بذاتية الإنسان في دائرة تبرز معها ملامح حياته وقراراته الشخصية في أدق توجهاتها، وأنبل مقاصدها، كالحق في اختيار الزوج وتكوين الأسرة وأن يتخذ الشخص ولداً»[١] وهو ما ينطبق بوضوح على الحق في اختيار المعتقد الديني والتعبير عنه.

وبالمثل فإن لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان قدمت التعريف التالي للحق في الخصوصية في معرض حكمها في شكوى مقدمة ضد هولندا.

«تعتبر اللجنة أن مفهوم الخصوصية يحيل إلى ذلك النطاق في حياة الشخص الذي يمكن له/ لها فيه التعبير بحرية عن هويته/ هويتها. سواء بالدخول في علاقات مع آخرين أو على حدة»[٢].

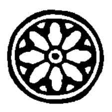
---

(١) حكم المحكمة الدستورية العليا، السابق.

(٢) Netherlands, Human Rights Coeriel and Aurik v The - 131 Committee (453/ 91).

والمعنى نفسه يردده أحد أهم شراح العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية حين يقول إن الخصوصية تحمي الصفات الخاصة والفردية في وجود الإنسان وهوية الشخص(١).

وإنّ الدين والعقيدة جزء أساسي من هوية الإنسان وخصوصيته. وقيام أجهزة الأمن المصرية ليس فقط باستجواب المحتجزين بشأن معتقداتهم الدينية وإنما باعتقالهم وتعذيبهم على أساسها سلوك يليق بالعصور الوسطى ويعصف بقرابة ستين عاماً من تطوير الحماية القانونية لحقوق الإنسان وكرامته(٢).



(١) Manfred Nowak, UN Covenant on Civil and Political - 132 Arlington, Va., Engel Pub, Rights¤ CCPR Commentary, 1993, p 249.

(٢) ينطبق الانتهاك المشين ذاته على ما يطلق عليه سياسة وزارة الداخلية في الإفراج عن «التائبين»، حيث تشترط وزارة الداخلية التأكد من تغيير المعتقلين لأفكارهم قبل إطلاق سراحهم بعد سنوات طويلة من الاعتقال دون اتهام أو محاكمة بموجب قانون الطوارئ بسبب الاشتباه في انتمائهم لجماعات العنف الديني.

مصر.. الشيعة يطلبون اعترافا رسميا

القاهرة - عبد الرحيم علي - إسلام أون لاين.نت/ ١٠-٢-٢٠٠٤.

حبيب العادلي

في خطوة غير مسبوقة في التاريخ المصري الحديث، قدم أستاذ بكلية الطب في إحدى الجامعات المصرية طلبًا لوزير الداخلية المصري حبيب العادلي يطالب فيه بالاعتراف رسميًّا بالطائفة الشيعية في مصر، والسماح لأفرادها القليلين بممارسة شعائرهم دون تجريم أو ملاحقة أمنية.

وفي تصريح لـ«إسلام أون لاين.نت» الثلاثاء ١٠-٢-٢٠٠٤، قال الدكتور أحمد راسم النفيس الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة (دلتا مصر) في الطلب الذي تقدم به قبل أسبوع: إن الدستور المصري الصادر في ١٩٧١ نص على أن «المواطنين لدى القانون سواء، وأكد على كفالة الدولة لحرية العقيدة، وحق ممارسة الشعائر الدينية».

وأرجع النفيس طلبه إلى أن «الشيعة المصريين يعانون أشد العناء من الملاحقات الأمنية المستمرة خاصة في السنوات الأخيرة»، مشيرًا إلى أن عدد الشيعة فى مصر يتجاوز ٧٠٠ ألف (إجمالي السكان يصل إلى ٧٠ مليون نسمة) «لم تسجل ضد أحد منهم حادث عنف أو غلو واحد»، على حد قوله.

وطالب النفيس في نهاية مذكرته التي تقدم بها نيابة عنه هاني أبو شنب المحامي بالاعتراف بالشيعة المصريين «كطائفة مذهبية رسمية لها الحق في ممارسة شعائرها الدينية بشكل حر بعيدًا عن الملاحقات الأمنية».

يذكر أن قانون الطوائف الدينية رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧ يعطي لكل منتمٍ لطائفة دينية أو مذهب ديني أن يتقدم لوزارة الداخلية بطلب للاعترافَ بطائفته رسميًّا، وفي حالة عدم الرد على طلبه خلال ٦٠ يومًا يحق له اللجوء للقضاء الإداري للحصول على حكم للاعتراف القانوني بالطائفة.

وكان الأزهر الشريف قد أصدر عددًا من الفتاوى المتكررة بدأت بالشيخ سليم البشري وانتهت عند المرحوم الإمام محمود شلتوت الذي أفتى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري (الشيعي) في فتواه الصادرة في ١٦ شوال سنة ١٣٧٩هـ، معتبرًا أن مذهب الشيعة الإمامية مذهب «يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة»، وما زالت هذه الفتوى سارية ومعترفا بها من قبل الأزهر الشريف حتى الآن.

توقيت الطلب

وفي الوقت الذي تبذل فيه محاولات من أكثر من جهة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين إيران ومصر، ينفي الدكتور أحمد راسم النفيس أن يكون لتوقيت تقديم الطلب أية علاقة بملف العلاقات المصرية الإيرانية.

وأضاف أن «السبب الرئيسي وراء تقديمه للطلب ما حدث في محافظة البحر الأحمر مؤخرًا، حيث تم القبض على عدد من

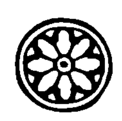
المواطنين المصريين المتشيعين، وتم تقديمهم للمحاكمة بتهمة ازدراء الأديان».

وأشار النفيس إلى أن هذه الحوادث تكررت كثيرًا في الفترة الماضية على الرغم من اعتراف المؤسسة الدينية الرسمية فى مصر (الأزهر) بمذهب آل البيت.

وشدد على أن خطوته التالية ستتمثل في «رفع دعوى أمام القضاء الإداري المصري للتظلم من قرار وزير الداخلية (في حال رفض الطلب)»، مضيفًا أن «كل ما يتمناه الشيعة فى مصر هو السماح لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية على مذهب آل البيت دون اعتبار ذلك جريمة يعاقبون من أجلها».

حوار الشيكاغو تريبيون:

في أعقاب تقدمي بطلب الاعتراف في أواخر يناير ٢٠٠٤ زارني الصحفي الأمريكي إيفان أوسينوس وأجرى معي حوارا نشرت الصحيفة مقتطفات منه في إطار تقييمها للهجوم العربي على الشيعة عامة وعلى الشيعة في مصر والذي يبدو أنه جاء كرسالة تضامن من النظام العربي الرسمي الزرقاوي مع ما يقوم به بطل العروبة والإسلام (أبو مصعب الزرقاوي) في العراق.



Arab leaders warily view Shiite stirrings

By Evan Osnos
Tribune foreign correspondent
Published April 10, 2004

CAIRO - The dramatic yearlong ascent of Iraqi Shiite Muslims, from long-suffering victims of repression to a force capable of confronting the U.S.-led occupation, has hit a central nerve in the Mideast balance of power, emboldening Shiites across the region to voice rising demands for rights and recognition.

But that is a singularly chilling prospect to Arab leaders from Egypt to Bahrain, as Iraqi Shiites enter the second week of a bloody uprising against U.S.-led forces.

"If civil strife erupts, it will burn us all and burn down our country", Kuwaiti Prime Minister Sheik Sabah al-Ahmed warned his countrymen this week, amid growing tension between Kuwait's Sunni and Shiite clerics.

In some places, the Shiite stirrings are drawing sharp, often brutal, government reactions as regimes seek to blunt what they consider to be among the most volatile regional consequences of the war in Iraq.

The liberation and upheaval within Iraq's Shiite community puts new pressure on the central fault line of the Muslim world: the 7th Century schism between Sunnis and Shiites.

It was then that the death of the Prophet Muhammad in 632 spawned a dispute over who should lead the Muslim world. Shiites broke with Sunnis by venerating Muhammad's son-in-law Ali as the prophet's rightful successor, and a

bloody feud ensued. Shiite empires once ruled Egypt, Tunisia and the Eastern Mediterranean. But today, they make up 10 percent to 15 percent of all Muslims, holding a majority only in Iran, Iraq and Bahrain.

Thus, even though today's Shiite awakening seems to pose no likely challenge to the existing order in the Middle East, Arab leaders see high political stakes. In Egypt and Kuwait, Shiite calls for legal recognition, the right to worship and other concessions have reached their highest pitch since 1979, when the Shiite revolution in Iran touched off violence and assertions of Shiite autonomy throughout the region. Arab regimes are intent on preventing a repeat of those events.

Shiites "were inspired by Iran, but they are more inspired by Iraq", said Shafeeq Ghabra, a political scientist and president of the American University of Kuwait. "While Iran is Persian, Iraq is the first Arab country to have a situation where Shias felt a long sense of persecution and now they have made an entire turnaround".

Like all but a few Arab regimes, the Kuwaiti royal family is Sunni, and it worries that strife in Iraq could inflame Shiites, who make up roughly 30 percent of the tiny Persian Gulf emirate's population. Earlier this year, Kuwait Shiites staged public self-flagellation rites for the first time in three decades, and Shiite and Sunni commentators since have sparred on Kuwaiti airwaves.

In the tense politics of the Middle East, governments protect their delicate sectarian balances. Lebanon, where Shiite, Sunni and Christian militias battled each other during a 16-year civil war, is governed under a power-sharing deal requiring that the president be Maronite Christian, the prime minister Sunni and the speaker of the legislature a Shiite.

No Lebanese leader has dared take an official census since 1932, for fear of what its findings could trigger.

In the Persian Gulf state of Bahrain, the Sunni ruling family is sensitive to efforts by the thin Shiite majority to expand its power. Shiites waged a violent campaign in the 1990s to win a role in government, and today the leadership is wary of that movement.

In Saudi Arabia, Shiites make up about 10 percent of the population, but the kingdom's official brand of Islam is the hard-line Wahhabi sect that brands Shiites as infidels. In the past, activists have been imprisoned, and Shiites were barred from the top tiers of government. But in May, a dozen Shiite leaders took the unusual step of presenting a petition to Saudi Crown Prince Abdullah seeking equal political and religious rights.

The Saudi government is particularly sensitive about Shiite autonomy because the minority is concentrated in the oil-rich Eastern province, and any unrest or effort at secession might devastate Saudi oil production. A year after the war in Iraq, the Saudi regime has reached out to Shiite leaders.

"Things are really better than before. And Saudi Shia are ready for more and more", said King Saud University professor A.A. Abdul Hai, a Shiite recently appointed to a new state-sponsored human-rights commission. "It is a natural thing that the majority should get their share of things, but at the same time that does not mean they deny the rights of the minority".

In Egypt, where Shiism is not legally recognized as a sect of Islam, Shiites have, for the first time, formally petitioned the government for legal status that would ensure their right to worship without harassment.

Protections sought

Ahmed Rasim Al-Nafis, who heads the Egyptian wing of Ahl el-Bait, the global Shiite religious network, requested formal recognition from the Interior Ministry in January, saying he seeks the same protections afforded to Sunni Muslims, Roman Catholics, Protestants and Jews. Shiites are estimated to make up less than 1 percent of Egypt's 74 million people.

"We have no right to gather. We have no chance to do anything public", Al-Nafis said at his home in Al-Mansoura, a conservative city in the Nile Delta. "You are sitting in front of a 15-year-old university professor who has been arrested four times, and they have never found any arms, any plans of any kind. I denounce any form of violence, so why are you stopping us?".

Like other Arab governments, the Egyptian leadership is troubled by Shiite assertions of power because of long-held fears that collusion with Iran could foster a revolution of the kind that swept clerics to power in Tehran in 1979.

The Egyptian government also considers Al-Nafis and other Shiite activists a threat akin to conservative Sunni forces such as the Muslim Brotherhood, which call for the establishment of a state based on Islamic law. Like the Brotherhood, Al-Nafis calls for an Islamic state but he says he would be satisfied, for now, with government reforms that would permit dissent.

"I am writing my books.... We deny violence and say things that are beneficial to the country".

Several detained

Two weeks ago, Egyptian authorities arrested another prominent Shiite leader and, according to local reports, he is

expected to be charged soon with offenses including "contempt of heavenly religions". Authorities detained Mohammed el-Darni, secretary of Ahl el-Bait, on March 23, also seizing his computer and more than $7,000, said Hossam Bahgat of the Egyptian Initiative for Personal Rights, a legal advocacy group that is representing el-Darni.

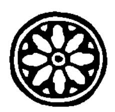
That arrest came after the detention late last year of 11 suspected Shiites in the Red Sea town of Ras Ghareb.

Most were released, but three men--Adel al-Shazli, Ahmed Goma'a and Mohamed Omar--remain in custody without being charged.

Bahgat, who interviewed al-Shazli, said he described being "stripped naked, handcuffed, beaten with batons and subjected to electric shocks to the head, ears, tongue and genitals". Bahgat said al-Shazli is being held despite a Feb13. court ruling to release him.

Rights groups say the men's detention violates international norms of freedom of expression and the Egyptian Constitution.

"They were not asked about political activities but only asked questions about their religious beliefs", Bahgat said. "Questions like: How do you pray? What are your views of the Prophet Muhammad? Are you Shia?".



الفهرس

ملحق نص تقرير منظمة المبادرة الشخصية
لحقوق الإنسان المصرية عن اعتقالات الشيعة في مصر